المقتضب
في تاريخ
لسان العرب

تأليف
الدكتور عمر إسحاق أوغلو
أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب – جامعة إسطنبول

DEMAVEND

Demavend Yayınları

Elektronik Yayınlar Serisi: 26

İstanbul, Ekim 2022

Yayın yönetmeni: Neval Güzelyüz

Editör: Prof. Dr. Ali Güzelyüz

Kapak tasarımı ve iç düzen: Demavend

Dili: Arapça

© Bütün hakları saklıdır. 5846 Sayılı Fikir ve Sanat Eserleri Yasası'nın hükümlerine göre bu kitabın tamamı ya da bir bölümünün, Demavend Yayınları'nın yazılı izni olmadan elektronik, mekanik, fotokopi veya herhangi bir kayıt sistemi ile yayınlanması, çoğaltılması ya da depolanması yasaktır.

T.C. Kültür ve Turizm Bakanlığı Yayıncı Sertifika No: 27406

ISBN: 978-625-7087-29-2

Kütüphane Bilgi Kartı (Cataloging-in-Publication Data)

1. Arap dili ve edebiyatı 2. Arap dili tarihi 3. el-Muktadab 4. Nahiv

Demavend Yayınları

Başak Mah. Mimar Sinan Cad. Vadipark, D14 Blok, D. 47
Başakşehir-İSTANBUL

: 0090 212 500 36 07 – 0090 542 311 17 89

E-mail: demavend@demavend.com.tr

Web: http://www.demavend.com.tr

المقدمة

إنّ اللغة العربية التي تدين بتطورها إلى كونها لغة القرآن، يستخدمها ملايين الأشخاص منطوقة ومكتوبة في مناطق جغرافية واسعة جدًا اليوم، وتُدرّس لغة أجنبية في المؤسسات التعليمية لأغراض مختلفة من قبل العديد من الدول غير العربية.

والدراسات التي بدأت في صدر الإسلام حول هذه اللغة، استمرت بحماس في القرون التالية، وشكل اللغويون والنحاة الذين بدؤوا هذه الدراسات وطلابهم الذين حملوها إلى مناطق عديدة، مدارس نحوية مختلفة حسب بعض العوامل. إن محاور التفكير في هذه المدارس، ووجهات نظر العلماء حول المواضيع ومقارباتهم للغة، واختلافاتهم في الفهم والإدراك، وتدوين المواد المتعلقة باللغة والقواعد، كلّها زادت من أهمية هذا المجال الذي يتمتع بأرضية واسعة جدًا.

تهدف هذه الدراسة التي بين أيديكم إلى رصد الدراسات والجهود المبذولة في اللغة العربية وقواعدها من خلال إخضاعها لمنظور تاريخي. وفي هذا السياق، تمّ أولاً تقديم الدراسات لخمس مدارس نحوية كمدرسة البصرة والكوفة وبغداد والأندلس ومصر- الشام، ثم كشف وضع هذه اللغة في العهد العثماني الذي وُصف بأنه فترة ركود للغة العربية وآدابها، وسُلّط الضوء على القضايا التي غالبًا ما كانت مهملة، وأخيرًا تمت مناقشة دراسات اللغة العربية وقواعدها في العصر الحديث والمحاولات الهادفة إلى مراجعة قواعد اللغة العربية وتيسيرها.

وأثناء كتابة هذه الدراسة المتواضعة، تم الاعتماد على الدراسات الحديثة باللغتين العربية والتركية إلى جانب المصادر الأساسية للغة العربية، وكان الهدف منها توفير المعلومات اللازمة والأساسية بشكل موجز لطلاب الجامعة والدراسات العليا والأشخاص المهتمين بهذه اللغة. وأثناء التعامل مع المراحل التي مرت بها اللغة العربية من البداية إلى الوقت الحاضر، في إطار خطة معينة تم أولاً تقديم معلومات عن الفترة، وبعد ذلك الممثلين المهمين لتلك الفترة والأعمال التي قاموا بإنتاجها، وعمومًا التركيز على أهم الأعمال التي قام بها كل عالم.

ثم إنّ هذه الدراسة عامل مساعد لمَن يرغب من الدارسين أن يفتح باباً جديداً في تاريخ اللغة العربية ويتوسع في مطالعته ومتابعة وقائعه والاطلاع على سير أقطابه الذين قدّموا للعلوم اللغوية فوائد جليلة خلدت على الزمان في أسفار ليس لها مثيل في أية لغة أخرى. ولا أزعم أني أتيت فيها بجديد، وإنما هي معلومات جمعتها من مصادرها ومراجعها ووضعت كل جزء منها مع قرينه وحاولت عرضها وبيانها مع تعليقات مناسبة فتح الله بها.

وقد سمّيت هذه الدراسة المتواضعة «المقتضب في تاريخ لسان العرب» لعلّها تحبّب الدارسين في هذه المادة وترغّبهم في مطالعتها ومتابعتها فتحقق لهم خطوة إلى الأمام. والله ولي التوفيق.

عمر إسحاق أوغلو

إسطنبول في 2022/9/26

أصل العرب

كانت للعرب أهمية كبيرة في تاريخ البشرية لِما قاموا به من إسهام ضخم في الحفاظ على العلوم الإنسانية التي استقوها من الأمم السابقة، مثل اليونان والفرس والرومان وغيرهم ممن سبقوهم. كما أن هذه الأهمية تزداد عند الاطلاع على تطويرهم لكثير من العلوم والمعارف الإنسانية، وتلك الإضافات الرائعة التي أدخلوها في كل علم وفن. فهم قد برعوا في الفلسفة، واستوعبوها وشرحوها شرحاً وافياً، كما أنهم تفوقوا في الرياضيات، وامتازوا بما قدموه للعالم في الطب والهندسة والفلك والعمارة والفنون الجميلة والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وسائر العلوم الأخرى.

ولقد قام العرب بعد ظهور الإسلام بتطوير كبير لهذه المعارف، حتى أصبحت لهم المكانة الأولى فى ذلك طَوال القرون الوسطى التي كانت فيها أوروبا تعيش فترات جهل وشعوذة.

وصف المؤرخون العربَ بأنهم شعب ساميّ، أي إنه ينتمي إلى سام بن نوح، وذكروا أنهم ربما نزحوا من حوض البحر الأبيض المتوسط أو بلاد ما بين النهرين منذ تاريخ بعيد، ثم استقروا في شبه الجزيرة العربية. وانتشروا بعد ذلك فى ربوعها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ووسطاً، وأصبحت الجزيرة العربية منذ ذلك العهد وطناً لهم، استقروا فيه طوال الحقب حتى جاء الإسلام، فنزحوا إلى كثير من بلدان آسيا وإفريقيا وأوروبا.[1]

ورد ذكر العرب للمرة الأولى في الوثائق التاريخية من بين ما ورد في كتابات الملك الآشوري شالمنصر الثالث، حيث أفادت الألواح المكتوبة التي عثر عليها في بلاد ما بين النهرين أنه كانت هناك جماعات من القبائل البدوية تعيش في أطراف مملكته المتاخمة لصحراء الجزيرة العربية. وكانت هذه الجماعات تُغِيرُ على أطراف مملكته الفَيْنَة بعد الأخرى. وعرفت هذه الجماعات باسم العرب دون تحديد دقيق لنطق الكلمة أو شكلها، وذلك لعدم وجود الحركات والشكل في لغة أولئك الآشوريين القدماء، إلا أن الحروف الأصلية للكلمة كانت محددة وواضحة وهي عربو. وكانوا معروفين لدى الآشوريين بأنهم رجال بادية

[1] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، 3 ج، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000، ص: 35/1.

لا يقيمون في مدن حضرية، كما كانوا يستخدمون الجِمال في حلّهم وترحالهم، في حربهم وسلمهم.[2]

عرف هؤلاء العرب تربية الجمال واستأنسوها بين عامي 1500 و1200 ق.م. وكان لعملهم هذا أهميته في التجارة العالمية بين الشرق والغرب، أي بين آسيا وأوروبا عبر الهلال الخصيب. وكانت هذه الإبل خير وسيلة لترويج التجارة بين أقطار العالم القديم، كما كانت أفضل السبل التي ساعدت على انتشار العرب فى سائر أنحاء شبه الجزيرة العربية.

عاش العرب في شبه جزيرة العرب في جماعات قبلية صغيرة، وكانوا يتبعون الكلأ والمرعى والمياه في شيء من عدم الاستقرار، رغم أنه كانت لكل قبيلة أراضيها التي فرضت عليها سلطانها، وادّعت ملكيتها. وكان التنازع على الكلأ والماء السمة الغالبة على هذه القبائل المتجاورة في تلك الأراضي، خصوصاً عندما تهطل الأمطار وينبت الكلأ وتنتشر المياه. وكانت كل قبيلة تدعي حمى الأراضي التي تسقيها الغمائم، وتقاتل القبائل الأخرى عنها، وكانت هذه المنازعات تنتهي في معظم الأحيان بقتال عنيف بين الجانبين.

وبالإضافة إلى أن العرب عرفوا بهذا الاسم لدى الآشوريين، فإنهم عرفوا به أيضاً لدى اليونانيين والرومان. وقد ذكرهم سترابو المؤرخ والجغرافي اليوناني الذي عاش بين عامي 63 ق.م و 24 م في كتابه الجغرافيا الذي أخرجه في 17 مجلداً، فذكر شيئاً عن زيارته لبلاد العرب، كما ذكر أنهم كانوا يستخدمون جِمالهم في نقل السلع التجارية على الساحل الغربي للبحر الأحمر مروراً بسيناء، ووصولاً إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط الشرقية. وهذا يؤكد نشاط العرب في التجارة منذ فجر التاريخ.[3]

[2] محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، بيروت، 2009، ص: 26.

[3] الموسوعة العربية العالمية، 30 ج، ط 2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999، ص: 198/16.

أقسام العرب

قسم مؤرخو العرب الأوائل العرب إلى ثلاثة أقسام هي: العرب البائدة والعرب العاربة والعرب المستعربة.

-العرب البائدة: يراد بالعرب البائدة تلك القبائل العربية التي كانت تعيش في الجزيرة العربية منذ أقدم العصور، ثم اندثرت لسبب من الأسباب. وقد اشتهرت من بينها أمّتان جاء ذكرهما في القرآن الكريم عدة مرات، وقصّ علينا القرآن الكريم أن هاتين الأمّتين - وهما عاد وثمود - قد أهلكهما الله سبحانه وتعالى، فاندثرت عاد بعد أن أرسل الله عز وجل عليها ريحاً صرصراً عاتية، وبسبب ذلك العذاب اندثرت عاد إلا مَن آمن فإنه بقي وانتشر في أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية.

أما ثمود فقد أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم رسوله صالحاً عليه السلام، ولكنهم كفروا بما بلّغهم به من آيات الله، فأهلكهم الله بالطاغية واندثروا في الجزيرة العربية.

وبالإضافة إلى هاتين المجموعتين، هناك قبائل أخرى من العرب البائدة هي طَسَم وجَديس والعماليق وجُرْهم الأولى وغيرها، وكل هذه القبائل لم تبق منها بقية في الجزيرة العربية، ومن بقي منها انتشر في البلاد دون أن يبقى له أثر .[4]

العرب العاربة: تنتمي العرب العاربة إلى يعرب بن قحطان، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم مؤرخو العرب القحطانيين، كما سموهم أيضا اليمنيين أو عرب الجنوب. وكان موطنهم الأصلي في جنوبي الجزيرة العربية، ولكن لظروف مختلفة - منها الجفاف وانهيار سد مأرب والبحث عن مكان أفضل - هاجر كثير من قبائلهم إلى أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة. ومن أهم فروعهم الرئيسية حِمْيَر وكَهلان، وهما أبناء يعرب بن قحطان. ومن هذه الفروع الرئيسية تفرعت سائر القبائل اليمنية مثل طَيْء وجُهَيْنة وبلي وغيرها من القبائل اليمنية الأخرى.[5]

العرب المستعربة: ظهرت العرب المستعربة عندما رحل سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى مكة المكرمة مع زوجته هاجر، وهناك وهبهما الله سيدنا إسماعيل عليه السلام. ولما كبر

---

[4] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 10 ج، ط 2، بغداد، 1993، ص: 1/298-300.

[5] المرجع نفسه ص: 1/354-355.

إسماعيل تزوج من العرب العاربة وهي جُرْهم الثانية، وسمي نسله العرب المستعربة أو المتعربة. ويطلق على العرب المستعربة أيضاً العدنانيون والنزاريون والمعديون، وكلها أسماء للدلالة عليها. ومن قبائلهم قُرَيش وعَبْس وفَزارة ورَبِيعة ومُضَر وغيرها.[6]

اللغة العربية

العربية إحدى اللغات السامية، وهي تنتمي إلى الفرع الجنوبي من اللغات السامية الغربية، ويشمل هذا الفرع شمال الجزيرة العربية وجنوبها والحبشة. وقد نشأت العربية الفصيحة فى شمال الجزيرة، ويرجع أصلها إلى العربية الشمالية القديمة التي كان يتكلم بها العدنانيون. وهي مختلفة عن العربية الجنوبية القديمة التي نشأت في جنوب الجزيرة، وعرفت قديماً باللغة الحميرية، وكان يتكلم بها القحطانيون.

وتعد النقوش القليلة التي عثر عليها الدليل الوحيد لمعرفة المسار الذي سارت فيه نشأة العربية الفصيحة. ويمكن القول من خلال تلك النقوش: إن أسلاف العربية الفصيحة هي: الثمودية واللحيانية والصفوية، وتشمل معاً فترة تقارب ألف عام، إذ يؤرخ أقدم النقوش الثمودية بالقرن الخامس قبل الميلاد، ويؤرخ أحدثها بالقرن الرابع أو الخامس الميلاديين، وترجع النقوش اللحيانية والصفوية إلى زمن يقع في الفترة ذاتها .[7]

أما أقدم نص وجد مكتوباً بالعربية الفصيحة فهو نقش النمارة الذي يرجع إلى عام 328 م، ولكنه كان مكتوباً بالخط النبطي. ويلاحظ في ذلك النص التطور الواضح من الثمودية واللحيانية والصفوية إلى العربية الفصيحة .[8]

وأما أقدم نص مكتوب بالخط العربي فهو نقش زَبَد الذي يرجع إلى سنة 513 م، ثم نقشا حَرّان وأم الجِمال اللذان يرجعان إلى عام 568 م. وقد لوحظ أن الصورة الأولى للخط

---

[6] المرجع نفسه ص: 375/1.

[7] الموسوعة العربية العالمية، ص: 133/21.

[8] صالح بن إبراهيم الحسين، الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط، دار الفيصل الثقافية، الرياض، 2003، ص: 40.

العربي لا تبعد كثيراً عن الخط النبطي، ولم يتحرر الخط العربي من هيئته النبطية إلا بعد أن كتب به الحجازيون لمدة قرنين من الزمان .[9]

وظلت الكتابة العربية قبيل الإسلام مقصورة على المواثيق والأحلاف والصكوك والرسائل والمعلقات الشعرية، وكانت الكتابة آنذاك محصورة في الحجاز. ويعد القرن السابق لنزول القرآن الكريم فترة تطوّر مهمة للعربية الفصيحة، وصلت بها إلى درجة راقية. ويدل على ذلك ما وصل إلينا على ألسنة الرواة من الشعر والنثر الجاهليين .[10]

العربية بعد نزول القرآن الكريم

كان نزول القرآن الكريم بالعربية الفصحى أهم حدث فى مراحل تطورها، فقد وحد لهجاتها المختلفة في لغة فصيحة واحدة قائمة في الأساس على لهجة قريش، وأضاف إلى معجمها ألفاظاً كثيرة، وأعطى لألفاظ أخرى دلالات جديدة. كما ارتقى ببلاغة التراكيب العربية. وكان سبباً فى نشأة علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والأصوات وفقه اللغة والبلاغة، فضلاً عن العلوم الشرعية، ثم إنه حقق للعربية سعة الانتشار والعالمية.

لقد حملت العربية الفصيحة القرآن الكريم، واستطاعت من خلال انتشار الإسلام أن تبدأ زحفها جنوباً لتحل محل العربية الجنوبية القديمة، ثم عبرت البحر الأحمر إلى شرقي إفريقيا، واتجهت شمالاً فقضت على الآرامية في فلسطين وسورية والعراق، ثم زحفت غرباً فحلت محل القبطية في مصر. وانتشرت في شمال إفريقيا فخلفت لهجات البربر، وانفتح لها الطريق إلى غرب إفريقيا والسودان، ومن شمال إفريقيا انتقلت إلى إسبانيا وجزر البحر المتوسط.

كما كان للعربية أثر عميق في لغات الشعوب الإسلامية، فتأثيرها واضح في الفارسية والأردية والتركية والبشتو ولغة الملايو واللغات واللهجات الإفريقية. ومن غير الممكن الآن معرفة لغة أي بلد إسلامي وأدبه ومناحي تفكيره معرفة جيدة دون الإحاطة الجيدة بالعربية. وحين أخذ الأوروبيون ينهلون من الحضارة الإسلامية في الأندلس دخلت ألفاظ

---

[9] المرجع نفسه ص: 40-42.

[10] الموسوعة العربية العالمية، ص: 133/21.

عربية كثيرة إلى اللغات الأوروبية، ففي الإنجليزية مثلاً ألفاظ عديدة ترجع إلى أصل عربي، كالجبر، والكحول، وتعريفة، ومخزن، وعود، وغير ذلك كثير.[11]

ظلت العربية تكتب غير معجمة (غير منقوطة) حتى منتصف القرن الأول الهجري، كما ظلت تكتب غير مشكولة بالحركات والسكنات. فحين دخل أهل الأمصار في الإسلام واختلط العرب بهم، ظهر اللحن على الألسنة، وخيف على القرآن الكريم أن يتطرّق إليه ذلك اللحن. وحينئذ توصل أبو الأسود الدؤلي إلى طريقة لضبط كلمات المصحف، فوضع بلون مخالف من المداد نقطة فوق الحرف للدلالة على الفتحة، ونقطة تحته للدلالة على الكسرة، ونقطة عن شماله للدلالة على الضمة، ونقطتين فوقه أو تحته أو عن شماله للدلالة على التنوين، وترك الحرف الساكن خالياً من النقط. إلا أن هذا الضبط لم يكن يستعمل إلا في المصحف[12]. وفي القرن الثاني الهجري وضع الخليل بن أحمد طريقة أخرى، بأن جعل للفتحة ألفاً صغيرة مضطجعة فوق الحرف، وللكسرة ياء صغيرة تحته، وللضمة واواً صغيرة فوقه، وكان يكرّر الحرف الصغير في حالة التنوين. ثم تطورت هذه الطريقة إلى ما هو شائع اليوم.[13]

أما إعجام الحروف (تنقيطها) فتم في زمن عبد الملك بن مروان، وقام به نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني، كما قاما بترتيب الحروف ألفبائياً حسب ما هو شائع اليوم، وتركا الترتيب الأبجدي القديم (أبجد هوز) .[14]

وخطت العربية خطواتها الأولى نحو العالمية في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري، وذلك حين أخذت تنتقل مع الإسلام إلى المناطق المحيطة بالجزيرة العربية. وفي تلك الأمصار، أصبحت العربية اللغة الرسمية للدولة، وأصبح استخدامها دليلاً على الرقي والمكانة الاجتماعية. وظلت لغة البادية حتى القرن الثاني الهجري الحجة عند كل اختلاف. وكان من دواعي الفخر للعربي القدرة على التحدث بالعربية الفصحى كأحد أبناء البادية. أما

---

[11] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، 4 ج، بيروت: دار الفكر، 2005، ص: 1/36-37.

[12] صالح الحسين، المرجع السابق، ص: 201.

[13] المرجع نفسه، ص: 216-217.

[14] وهو المنتظم في قولهم (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) وهذه الألفاظ لم يقصد منها إلا جمع الحروف في كلمات سهلة الحفظ.

سكان الأمصار الإسلامية، فقد بدأت صلتهم بلغاتهم الأصلية تضعف شيئاً فشيئاً، وأخذ بعضهم يتكلم عربية مولدة متأثرة باللغات الأم. وقد كانت منطقة الشام أولى المناطق تعرّباً. ويلاحظ اختلاف لهجات أهل الأمصار في العربية تبعاً لاختلاف القبائل العربية الوافدة، ومن هنا كان اختلاف لهجات الكوفة والبصرة والشام والعراق ومصر بعضها عن بعض. وقبيل نهاية العصر الأموي، بدأت العربية تدخل مجال التأليف العلمي بعد أن كان تراثها مقصوراً على شعر وأمثال على ألسنة الرواة.[15]

شهد العصر العباسي الأول مرحلة ازدهار الحضارة الإسلامية في مشرق العالم الإسلامي وفي مغربه والأندلس، وبدأت تلك المرحلة بالترجمة، وخاصة من اليونانية والفارسية، ثم الاستيعاب وتطويع اللغة، ثم دخلت طور التأليف والابتكار. ولم يعد معجم لغة البادية وحده قادراً على التعبير عن معاني تلك الحضارة، فحمل العلماء على عاتقهم مهمة تعريب مصطلحات غير عربية، وتوليد صيغ لمصطلحات أخرى، وتحميل صيغ عربية دلالات جديدة لتؤدي معاني أرادوا التعبير عنها. وبهذا استطاعت العربية التعبير عن أدق المعاني في علوم تلك الحضارة الشامخة وآدابها. وفي مطلع ذلك العصر، بدأ التأليف في تعليم العربية، فدخلت العربية مرحلة تعلّمها بطريق الكتاب، وكان هذا هو الأساس الذي قام عليه صرح العلوم اللغوية كالنحو والصرف والأصوات وفقه اللغة والبلاغة والمعاجم. وعلى الرغم من انقسام العالم الإسلامي إلى دويلات في العصر العباسى الثاني، واتخاذ لغات أخرى للإدارة كالفارسية والتركية، فإن اللغة العربية بقيت لغة للعلوم والآداب، ونمت الحركة الثقافية والعلمية في حواضر متعددة، كالقاهرة وحلب والقيروان وقرطبة.[16]

نشأة علم النحو

إن علم النحو هو جزء أو أحد علوم اللغة العربية التي يتوصل بها إلى عصمة اللسان والقلم عن الخطأ. وهي اثنا عشر علماً: "النحو، الصرف، متن اللغة، المعاني، البيان، البديع، العروض، القوافي، قرض الشعر، الإنشاء، الاشتقاق، تاريخ الأدب. ويعد علم النحو أعلاها

---

[15] يوهان فك، العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة عبد الحليم النجار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص: 7-9.

[16] محمود فهمي حجازي، اللغة العربية عبر القرون، دار الثقافة، القاهرة، 1978، ص: 57-60.

مرتبة؛ إذ بدونه لا تصحّ كل هذه العلوم. وهو يبحث في أصول تكوين الجملة وقواعد الإعراب وهدفه أن يحدد أساليب تكوين الجمل ومواضع الكلمات والخصائص التي تكتسبها الكلمة من ذلك الموضع.

ولم يكن العرب قبل الإسلام في حاجة إلى علم النحو، لأنهم كانوا ينطقون النطق الصحيح بالفطرة السليمة والسليقة النقية. ولما اتسعت الدولة العربية بعد الإسلام واختلط العرب بغيرهم من العناصر غير العربية فسدت الألسنة وظهر اللحن أيام الرسول والخلفاء الراشدين وانتشر بانتشار الإسلام أيام خلافة الأمويين والعباسيين.

ولذلك كان الهدف الرئيسي لنشأة علم النحو وتطوره، هو المحافظة على اللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم وصيانتها من اللحن الذي أخذ يشيع بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية. بالإضافة إلى هذا، هناك أسباب أخرى عجّلت ظهور هذا العلم تتمثل في اعتزاز العرب بلغتهم وتراثهم وحرصهم عليهما مما قد يفسدهما ويؤثر فيهما، وحاجة الجيل الجديد وخصوصاً الموالي إلى فهم اللغة العربية وتعلّمها، والعوامل السياسية التي حاولت تفضيل العرب على غيرهم من الأمم.

من بوادر اللحن التي كانت سبباً في وضع علم النحو

بدأ اللحن قليلاً خفيفاً منذ أيام الرسول على ما يظهر، فقد لحن رجل بحضرته فقال: "أرشدوا أخاكم؛ فإنه قد ضلّ"[17] والظاهر أيضاً أنه كان معروفاً بهذا الاسم نفسه (اللحن) بدليل أن السيوطي روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله: "أنا من قريش ونشأت في بني سعد، فأنّى لي اللحن؟!" وقد كان أبو بكر الصديق يقول: "لأن أقرأ فأسقط أحبّ إليّ من أن أقرأ فألحن" .[18]

فإذا بلغنا عهد عمر - رضي الله عنه - رأينا المصادر تثبت عدداً من حوادث اللحن. فتذكر أن عمر مرّ على قوم يُسيئون الرمي فقرعهم، فقالوا: "إنّا قوم متعلمين"، فأعرض

---

[17] ابن جني، الخصائص، 3 ج، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1950، ص: 8/2.

[18] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مجلدان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ص: 397/2.

مغضباً وقال: "والله لخطؤكم في لسانكم أشدّ عليّ من خطئكم في رميكم"[19]. وورد إلى عمر كتاب أوله: "من أبو موسى الأشعري"، فكتب عمر لأبي موسى بضرب الكاتب سوطاً. والأنكى من ذلك تسرّب اللحن إلى قراءة الناس للقرآن[20]، فقد قدم أعرابي في خلافة عمر فقال: "من يُقرئني شيئاً مما أنزل على محمد؟ " فأقرأه رجل سورة براءة بهذا اللحن: {وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ ... }[21] فقال الأعرابي: "إن يكن الله بريئاً من رسوله، فأنا أبرأ منه" فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال: يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة ... وقصّ القصة فقال عمر: "ليس هكذا يا أعرابي" فقال: "كيف هي يا أمير المؤمنين؟ " فقال: {أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} فقال الأعرابي: "وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم". فأمر عمر ألا يُقرئ القرآن إلا عالم باللغة[22]. ولعمر تنسب تلك المقولة المأثورة: "تعلموا العربية؛ فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة".[23]

ونتقدم خطوة في الزمن فيقصّ علينا ابن قتيبة المتوفى في سنة 276 هـ أن رجلاً دخل على والي العراق زياد بن أبيه فقال له: "إن أبينا هلك وإن أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا" فقال زياد: "ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك"، وأن أعرابياً سمع مؤذناً يقول: "أشهد أن محمداً رسولَ الله" بالنصب فقال: "ويحك، يفعل ماذا؟"، وأن أعرابياً دخل السوق "فسمعهم يلحنون فقال: سبحان الله! يلحنون ويربحون، ونحن لا نلحن ولا نربح!".[24]

وقد انتشر اللحن حتى أعدى الخاصة فأصبح مَن لا يلحنون يُعَدُّون على الأصابع، قال الأصمعي المتوفى في سنة 216 هـ: "أربعة لم يلحنوا في جدّ ولا هذل: الشعبي وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وابن القرية، والحجاج أفصحهم"[25]. وانتقل اللحن من

---

[19] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 20 ج، مطبوعات دار المأمون، ص: 67/1.

[20] سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، دار الفكر، ص: 9.

[21] سورة التوبة 3/9.

[22] كمال الدين الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، 1998، ص: 17-18.

[23] معجم الأدباء، ص: 77/1.

[24] ابن قتيبة، عيون الأخبار، 3 ج، تحقيق: منذر محمد سعيد أبو بشر، بيروت: المكتب الإسلامي، 2008، ص: 181/2.

[25] محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط 2، القاهرة: دار المعارف، ص: 17.

الحاضرة إلى البادية، روى الجاحظ المتوفى في سنة 255 هـ أن أول لحن سمع بالبادية: "هذه عَصاتي" بدل "عَصايَ" وأول لحن سمع بالعراق: "حيّ على الفلاح"[26] بكسر الياء بدل فتحها. وكل هذه البوادر وأمثالها كانت السبب العام لوضع قواعد النحو.

واضع علم النحو

وقد اختلف العلماء في الواضع الأول لعلم النحو؛ فقال الأنباري المتوفى في سنة 577 والقفطي المتوفى في سنة 646: إنّه الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال آخرون: أبو الأسود الدؤلي رضي الله عنه، والأرجح أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب أوّل من وضع علم النحو، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي ذلك.

روي أنّ أبا الأسود الدؤليّ دخل على عليّ بن أبي طالب، فوجد معه رقعة؛ فسأله عنها؛ فقال له إنّه اطّلع على كلام العرب، وقد وجد أنّ كلام الأعاجم -غير العرب- اختلط بكلام العرب وأفسده، وأنّه يريد وضع مرجع يعتمد عليه النّاس في كلامهم، وكان قد كتب على الرقعة "الكلام كلّه اسمٌ وفعلٌ وحرف، فالاسم يدلّ على المسمّى، والفعل على ما أنبأ به، والحرف ما يُفيد المعنى"، وأخبر عليّ أبا الأسود الدؤلي بأن ينحو هذا النحو، ويُضيف إليه ما يعرفه؛ فأضاف أبو الأسود بابَي العطف والنعت، وبابَي التعجب والاستفهام، وعندما وصل إلى باب إنّ وأخواتها عرضها على عليّ، فأمره بضمّ (لكنّ)، وعندما انتهى أبو الأسود من وضع النحو، قال له عليّ: "ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت!"؛ لهذا سمي بعلم النحو.[27]

من خلال هذه الرواية نستنتج أنّ لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فضلَ وضع أساس علم النحو وإرشاد أبي الأسود الدؤلي والإشراف عليه، وأنّ لأبي الأسود فضلَ القيام بتطويره على ضوء هدي الإمام. وهناك رواية صريحة تأكد هذا الأمر؛ أنّ أبا الأسود سُئل: "من أين لك هذا النحو؟" فقال: "لَقِفت[28] حدوده من عليّ بن أبي طالب"[29]

---

[26] الجاحظ، البيان والتبيين، 6 ج، ط 7، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998، ص: 219/2.

[27] الطنطاوي، المرجع السابق، ص: 21-25.

[28] لَقِفْتُ: أي أَخَذْتُ

[29] نزهة الألباء، ص: 11.

تطوّر النحو بعد النشأة

شهد التاريخ أن البصريين هم الذين تعهدوا النحو بعد مرحلة الوضع المبكرة بالعناية والرعاية قرابة قرن، كان فيه الكوفيون منصرفين عنه إلى رواية الأشعار والأخبار والمُلَح والنوادر، ثم تكاتف البصريون والكوفيون في السعي في مضمار هذا الفن مع التنافس في ذلك تنافساً لم يلبث أن يكون شديداً قرابة قرن آخر من الزمان، وخرج بعد ذلك علم النحو تامَّ الأصول كاملَ العناصر الأساسية[30]، ثم هدأ التنافس بعد ذلك فتعاونت المدرستان على استكمال مباحث النحو ونشرها إلى أطراف مترامية من بقاع الدولة، وأدى ذلك إلى ظهور مدارس أخرى وهي المدرسة البغدادية، ثم الأندلسية، والمصرية. وهذه المدارس الثلاث شاركت في هذ العمل الجليل وأخذت ترجح ما أودعته المدرستان من الأراء والعلل، وأضافت إلى النحو ما يهمه إلى أن استوت القواعد النحوية كما نراها اليوم.

وقد ذهب المؤرخون إلى القول بأن النحو العربي مرّ بأطوار أربعة، وهي: طور الوضع والتكوين، وطور النشوء والنمو، وطور النضج والكمال، وطور الترجيح.

1- طور الوضع والتكوين

صرف البصريون وحدهم الجهد في غرس البذور الأولى للنحو العربي، وقد سبقوا غيرهم في إنجاز هذا العمل؛ وذلك لأن البصرة في عهد الأمويين قد فازت بقصب السبق على غيرها، لأن سكانها كانوا يناصرون الأمويين، فيما كان الكوفيون أميل إلى الطاعة والهدوء وكانوا يناصرون العباسيين، أضف إلى ذلك الموقع الجغرافي للبصرة؛ حيث كانت البصرة أقرب مدن العراق إلى العرب الأقحاح الذين لم تلوث لغتهم بعامية الأمصار، فعلى مقربة منها بوادي نجد غرباً والبحرين جنوباً، والأعراب يفدون إليها منهما، وليست كذلك الكوفة وبغداد، فهذا مكّن أهل البصرة من أن يأخذوا عن العرب دون أن يتكلفوا مشاق السفر. وقد تميزت البصرة بقربها من المربد، وهو أشهر أسواق العرب في الإسلام كما كان عكاظ في

[30] عبد الكريم محمد الأسعد، الوسيط فى تاريخ النحو العربى، ط 1، دار الشوّاف، الرياض، 1992، ص: 34.

الجاهلية، وقد كان مجتمع الأعراب فيه يتبادلون مع أهل البصرة المنافع والآراء، ويلتقي الحاضر بالبادي، ويتسع المجال للقاء العلماء البصريين أعراب البادية والأخذ عنهم.[31]

اتّبع علماء هذا الطور في البداية منهجاً مبسطاً، حيث وضع أبو الأسود القواعد العامة في الأبواب التي سبقت الإشارة إليها مقصورة على السماع، ثم تطور وأخذ ينهج منهج الاستنباط واستعمال القياس، فَوُضِعَ كثيرٌ من أصول النحو ومسائله. واقتصرت مباحثهم – غالباً – على البحث في أواخر الكلمات لانتشار اللحن فيها. وكانت المباحث النحوية ممتزجة بمباحث اللغة والأدب وغيرهما من فروع اللغة.

ومن أعلام هذا الطور أبو الأسود الدؤلي (69هـ) المؤسس لهذ العلم، ونصر بن عاصم (89هـ) واضع نقط الإعجام، وعنبسة الفيل (100هـ)، وعبد الرحمن بن هرمز (117هـ)، ويحيى بن يعمر العدواني (129هـ)، وابن أبي إسحاق الحضرمي (117هـ)، وعيسى بن عمر الثقفي (149هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (154هـ). وعن علماء هذا الطور تلقى رؤساء أهل الكوفة النحو.

مشاهير النحاة في طور الوضع والتكوين

الطبقة البصرية الأولى

- **أبو الأسود الدؤلي (16 ق.هـ/69هـ):**

أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني[32]، من سادات التابعين وأعيانهم، وهو عالم نحوي وأول واضع لعلم النحو في اللغة العربية، وشكّل أحرف المصحف. ولد قبل بعثة النبي محمد وآمن به لكنه لم يره فهو معدود في طبقات التابعين، وصَحِب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي ولاه إمارة البصرة في خلافته، وشهد معه

---

[31] محمد الشاطر أحمد محمد، الموجز في نشأة النحو، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1983، ص: 41-48

[32] انظر في ترجمته: أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، 1955، ص: 6، أبو سعيد السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تحقيق فريتس كرنكو، بيروت، 1936، ص: 13، أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، مصر، 1954، ص: 21، نزهة الألباء، ص: 6، معجم الأدباء، 34/12، ابن القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 4 ج، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص: 13/1.

وقعة صفين والجمل ومحاربة الخوارج. لُقِّبَ بملك النحو لوضعه علم النحو، فهو أول من ضبط قواعد النحو، وكانت مساهماته في تأسيس النحو الأساس الذي تكوَّن منه لاحقاً المذهب البصري في النحو.

وكان أبو الأسود الدؤلي في نفس الوقت مؤدّب أولاد زياد بن أبيه وهو والي العراق. وعندما أراد أبو الأسود ضبط المصحف فقد بعث إليه زياد ثلاثين كاتباً فاختار منهم واحداً من عبد القيس كان فطناً حاذقاً وقال له: "إذا رأيتَني قد فتحتُ فمي بالحرف؛ فانقط نقطة أعلاه، وإذا رأيتني قد ضممتُ فمي؛ فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرتُ؛ فانقط نقطة تحت الحرف، فإذا أتبعتُ شيئاً من ذلك غُنَّةً؛ فاجعل مكان النقطة نقطتين". وأخذ يقرأ القرآن في أناة والكاتب يضع النقط بمداد يخالف لونُهُ لونَ المداد الذي كتبت به الآيات، وكلّما أتمّ صفحة أعاد أبو الأسود نظره عليها حتى ضبط المصحف كلّه على هذا النهج. وقد أخذ الناس في زمانه هذه الطريقة عنه وشكّلوا بها الحروف، وكانوا لا يضعون على الحرف الساكن شيئاً. وقد تفنّن الناس بعد أبي الأسود في شكل النقط فجعلوها مربّعة أو مدوّرة مسدودة الوسط أو خاليته، واخترعوا كذلك علامات للحرف المشدّد وللسكون، وكل ذلك كان بمداد مخالف في اللون لمداد الكتابة.

وممّا يروى في أسباب ضبط أبي الأسود قواعدَ النحو ما قالته بنته له يوماً: "ما أحسنُ السماءِ" وهي تقصد التعجّب، فأجابها: "نجومُها"، فقالت له: "إنّي أقصد التعجّب" فقال لها: "قولي ما أحسنَ السماءَ". ومن الواضح الفرق بين إعراب الأسلوبين، فوضع باب التعجّب وباب الاستفهام.

ولأبي الأسود تلاميذ اشتهروا في علم النحو كنصر بن عاصم وعَنْبَسَة الفِيل وعبد الرحمن بن هُرْمُز ويحيى بن يَعْمُر، فهو أستاذهم ورائدهم وشيخ طبقتهم.

توفي أبو الأسود بالبصرة في الطاعون الجارف في سنة 69 هـ، وعمره خمس وثمانون سنة.

- **نصر بن عاصم الليثي (89هـ):**

هو نصر بن عاصم[33] من قبيلة كنانة، كان فقيهاً فصيحاً عالماً بالعربية، من تلاميذ أبي الأسود الدؤلي. يعدّ من علماء النحو البارزين في زمانه، يقال: إنه قام مع يحيى بن يعمر بإعجام حروف القرآن كالجيم والخاء والغين بالنقط لدفع التصحيف، وتمييزاً لهذه الحروف المعجمة من الحروف المهملة، وذلك بأمر الحجاج بن يوسف في عهد عبد الملك بن مروان.

إنّ نصر بن عاصم هو أول من أخذ النحوعن أبي الأسود، وفتق فيه القياس، وكان أنبل الجماعة الذين أخذوه عنه، ووضع شيئاً من النحو في كتاب، فقد روى ياقوت الحموي أنّ له كتاباً في النحو. وله تلاميذُ مشهورون في النحو كعبد الله بن أبي إسحاق وأبي عمرو بن العلاء.

- **عَنْبَسَة الفِيل (100هـ):**

عنبسة بن معدان المهري[34]، ويُلَقَّب بالفيل لأنّ أباه كان يروّض فيلاً للحجاج فغلب عليه اللقب، ثم انتقل منه إليه. هو من أوائل النحاة بعد أبي الأسود الدؤلي، عاش في القرن الأوَّل الهجري على وجه التقريب، يَعُدُّه مُؤَرِّخو النحو العربي من رجال الطبقة الأولى من نحاة البصرة.

لا يُعرَفُ الكثير عن تفاصيل حياة عنبسة الفيل، ولا تروي لنا كُتُب التراجم تاريخ ولادته أو وفاته، ولكن من المُرَجَّح أنَّه عاش في القرن الأوَّل الهجري. استوطن مدينة البصرة وربما ولد فيها، لكنَّ والده لم يكن من هذه المدينة، حيث قدم إليها من أهل ميسان. وانتمى عنبسة الفيل إلى بني أبي بكر بن كلاب.

---

[33] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 13، أخبار النحويين ص: 20، طبقات النحويين، ص: 27، نزهة الألباء، ص: 14، معجم الأدباء، 224/19، إنباه الرواة، ص: 343/3.

[34] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 11، أخبار النحويين ص: 23، طبقات النحويين، ص: 29-30، نزهة الألباء، ص: 12، معجم الأدباء، 133/16، إنباه الرواة، ص: 381/2، جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مجلدان، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، 1979، ص: 233/2.

لم يترك عنبسة الفيل أيَّ نصوص من تأليفه، ولا نجد عند النحاة أي ذكرٍ لآرائه، غير أنَّ المؤرّخين يضعون له دوراً مهماً في تأسيس النحو، باعتباره رئيساً لطبقة النحاة بعد الدؤلي الذي حمل بذرات النحو إلى الجيل التالي.

- **عبد الرحمن بن هُرْمُز (117هـ):**

ولد أبو داود عبد الرحمن بن هرمز[35] الأعرج بالمدينة المنورة. وسمع بعض الصحابة الذين أدركهم في المدينة، وأكثر من رواية الحديث النبوي عنهم. كما حفظ القرآن الكريم وعلّمه وكتب المصاحف. إضافة إلى ذلك كان من علماء اللغة العربية التي أخذ علمها عن أبي الأسود الدؤلي، وكذلك كان من أعلم الناس بنسب قريش .

سافر عبد الرحمن بن هرمز في آخر عمره إلى مصر، ومات بالإسكندرية سنة 117هـ، وقد جاوز عمره الثمانين وكان يعاني من العرج.

- **يحيى بن يَعْمُر (129هـ):**

أبو سليمان يحيى بن يعمر العدواني البصري[36]، فقيه، علامة، مقرئ، كان قاضي مرو، ويقال: إنه من نقط المصاحف، وكان من فضلاء الناس وعلمائهم. وكان أحد الفصحاء، أخذ العربية عن أبي الأسود الدؤلي وعليه قرأ القرآن.

ويروى أن الحجاج بن يوسف قال له: أتجدني ألحن؟ فقال: الأمير أوضح من ذلك، فقال: عزمت عليك لتخبرني؛ أألحن؟ قال يحيى: نعم، فقال له: في أي شيء؟ فقال: في كتاب الله، فقال: ذلك أشنع، ففي أي شيء من كتاب الله؟ قال: قرأت (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ...) (سورة التوبة، الآية 24) فرفعت (أحبّ) وهو منصوب. فقال له الحجاج: لا جرم أنّك لا تسمع لي لحناً بعد هذا. ثم نفاه إلى خراسان، فولّاه يزيد بن المهلّب القضاء فيها. كان فصيحاً بليغاً يستعمل الغريب في كلامه، توفي سنة129 للهجرة.

---

[35] انظر في ترجمته: أخبار النحويين ص: 21، طبقات النحويين، ص: 26، نزهة الألباء، ص: 15، إنباه الرواة، ص: 172/2.

[36] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 25، أخبار النحويين ص: 22، طبقات النحويين، ص: 27-29، نزهة الألباء، ص: 16، معجم الأدباء، 42/20، بغية الوعاة، ص: 345/2.

الطبقة البصرية الثانية

- **عبد الله بن أبي إسحاق (117هـ):**

يعدّ من أشهر علماء هذه الطبقة، كان إماماً في العربية والقراءة، أخذ عن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر. بلغ الغاية في النحو حتى قال فيه يونس بن حبيب: "هو والنحو سواء". كان كثير السؤال للشاعر الفرزدق والاعتراض عليه والإعنات له في شعره.

وكان ابن أبي إسحاق أوّل مَن علّل النحو، وأشدّ الناس اهتماماً بالقياس والعمل به، ولم يُؤثر عنه كتاب في النحو، وكأنه كان يكتفي بمحاضراته وإملاءاته على تلاميذه، وكل ما أُثر عنه كتاب في الهمز، ويبدو أنه عالج فيه مسألة رسمها. توفي في البصرة سنة 117 هـ في أيام هشام بن عبد الملك.[37]

- **عيسى بن عمر الثقفي (149هـ):**

عيسى بن عمر الثقفي النحوي البصري[38]، قيل: كان مولى خالد بن الوليد رضي الله عنه، ونزل في قبيلة ثقيف فنسب إليهم. أخذ النحو عن عبد الله بن أبي إسحاق وغيره، وأخذ عنه النحو الخليل بن أحمد وسيبويه. كان ثقة عالماً بالعربية والنحو والقراءة، له صحبة مع أبي عمرو بن العلاء وجرت بينهما مسائل ومجالس، عُرف بولعه بالغريب والتشادق، وهو الذي قال حين سقط عن حماره واجتمع عليه الناس "ما لكم تكَأْكَأْتُم عَليَّ كَتَكَأْكُئِكُم على ذي جِنَّةٍ، اِفْرَنْقَعُوا عَنِّي"؛ معناه: ما لكم تجمّعتم عليّ كتجمّعكم على مجنون، انكشفوا عني.

له الكتاب الذي سماه (الجامع) في النحو، ويقال: إن سيبويه أخذ هذا الكتاب وبسطه، وحشا عليه من كلام الخليل وغيره، ولما كمل بالبحث والتحشية نسب إليه، وهو كتاب سيبويه المشهور، والذي يدل على صحة هذا القول أن سيبويه لما فارق عيسى بن عمر المذكور ولازم الخليل بن أحمد سأله الخليل عن مصنفات عيسى، فقال له سيبويه: "صنف نيفاً وسبعين

---

[37] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 12، أخبار النحويين ص: 25، طبقات النحويين، ص: 31، نزهة الألباء، ص: 18، إنباه الرواة، ص: 104/2.

[38] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 21، أخبار النحويين ص: 31، طبقات النحويين، ص: 40، نزهة الألباء، ص: 21، معجم الأدباء، 136/16، إنباه الرواة، ص: 374/2، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 8 ج، مكتبة القدسي، القاهرة، 1351، 224/1.

مصنفاً في النحو، وإن بعض أهل اليسار جمعها، وأتت عنده عليها آفة فذهبت، ولم يبق منها في الوجود سوى كتابين: أحدهما اسمه «الإكمال»، وهو بأرض فارس عند فلان، والآخر «الجامع» وهو هذا الكتاب الذي أشتغل فيه وأسألك عن غوامضه". فأطرق الخليل ساعة ثم رفع رأسه وقال: رحم الله عيسى، وأنشد:

ذهب النحو جميعاً كلّه غير ما ألّف عيسى بن عمر

ذاك إكمالٌ وهذا جامعٌ فهما للناس شمسٌ وقمر

وقد رتّب هذين الكتابين وهذّبهما وجعل أساس ما فيهما الذائع الأكثر من كلام العرب، وسمّى ما شذّ عن ذلك لغات، وكان عيسى بن عمر يطعن على العرب ويخطئ المشاهير منهم، مثل النابغة الذبياني في بعض أشعاره وغيره، ولعلّ السبب في هذا أنّه كان متشدّداً متقعّراً في اللغة.

ويروى أن يوسف بن عمر الثقفي والي العراق كان قد ضربه بالسياط ولزمته علّة من الضرب الذي أصابه بقيّة حياته، وتوفي في البصرة سنة 149 هـ في خلافة أبي جعفر المنصور.

- **أبو عمرو بن العلاء (70هـ/154هـ):**

وُلد سنة 70 للهجرة بمكة ونشأ وعاش بالبصرة حتى توفى بها، وقد تتلمذ لابن أبي إسحاق على نحو ما تتلمذ عيسى بن عمر، غير أن عيسى قصر عنايته أو كاد على النحو، أما أبو عمرو فعُنِي بإقراء الناس القرآن بالمسجد في البصرة، وهو أحد قرائه السبعة المشهورين، كما عُنِي بلغات العرب وغريبها وأشعارها وأيامها ووقائعها، وفي ذلك يقول الجاحظ عنه: "كان أعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن والشعر، وبأيام العرب وأيام الناس". فهو إلى اللغويين والقراء أقرب منه إلى النحاة، غير أنه نُقلت عنه بعض أنظار نحوية، جعلتنا نسلكه بين أوائلهم، وخاصة أن ابن جني يقول: كان ممن نظروا في النحو والتصريف وتدربوا وقاسوا[39]. ولكن لم يكن هذا الجانب الذي شغله، ولعل ذلك هو السبب في أن سيبويه لم يرو عنه ولا عن تلاميذه شيئاً مهماً له في النحو ومسائله، إنما روى عنه

[39] الخصائص، ص: 249/1 .

بعض الشواهد اللغوية، ولم يأخذها عنه مباشرة، إنما أخذها عن تلميذه يونس بن حبيب، وكأنه لم يلقه ولم يجلس إليه.

اشتهر بالفصاحة، والصدق، والثقة، وسعة العلم، والزهد، والعبادة، وكان من أشراف العرب، مدحه الفرزدق، وكانت دفاتره ملءَ بيت إلى السقف، ثم تنسَّكَ فأحرقها، لذلك لم يترك أثراً مكتوباً. توفي في الكوفة سنة 154 هـ عائداً من دمشق في خلافة المنصور.[40]

2- طور النشوء والنمو

يُعَدُّ هذا الطور مشتركاً بين المدرستين البصرية والكوفية، ويبدأ من عهد الخليل بن أحمد البصري (175هـ) وأبي جعفر الرؤاسي الكوفي (175هـ). وفي هذا الطور ثلاث طبقات لكل من البصريين (الثالثة، والرابعة، والخامسة) والكوفيين (الأولى، والثانية، والثالثة).

ومن أشهر النحاة في هذا الطور من البصريين الطبقة الثالثة: الأخفش الأكبر (172هـ) والخليل ابن أحمد (175هـ) ويونس بن حبيب (182هـ). ومن الطبقة الرابعة: سيبويه (180هـ)، واليزيدي (182هـ)، والأصمعي (216هـ). ومن الطبقة الخامسة: الأخفش الأوسط (211هـ) وقطرب (206هـ).

أما النحاة الكوفيون فمن الطبقة الأولى أبو جعفر الرؤاسي (175هـ) ومعاذ الهراء (187هـ). ومن الطبقة الثانية الكسائي (189هـ). ومن الطبقة الثالثة الأحمر (194هـ) والفراء (207هـ) واللحياني (220هـ).

وقد اتسعت المباحث في هذا الدور اتساعاً تطلبه الزمان وقانون الارتقاء، ومخلصها ما يلي:

---

[40] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 13، أخبار النحويين ص: 28، طبقات النحويين، ص: 35-40، ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ص: 48، نزهة الألباء، ص: 24، معجم الأدباء، 156/11، شذرات الذهب، 237/1.

- امتد البحث في هذا الطور إلى الصيغ والأبنية، كما اتسعت مباحث الإعراب وقطعت شوطاً بعيداً. وقد اندرجت مباحث الأبنية والصيغ في مباحث النحو، فكان علم النحو يعم الاثنين.
- استقلّ علم النحو عن المباحث اللغوية الأخرى من أمثال علم اللغة والأدب والأخبار.
- اشتدت المنافسة بين المدرستين البصرة والكوفة، واختلفت نزعة كلٍّ عن الأخرى في وضع القواعد والمقاييس والمصادر والتعليلات، وحرصت كلٌّ منهما على أن تفوز في الغلبة على الأخرى بشرف استكمال هذا العلم.
- كان للكوفيين فضل السبق في علم الصرف على يد الرؤاسي، فقد عُنوا بمسائله حتى فاقوا فيه البصريين، وسبقوهم إلى استنباط الكثير من قواعده.
- كثرت في هذا الدور المؤلفات النحوية؛ إذ انتشرت حركة التأليف، ومن أشهر ما وصل إلينا منه كتاب العين للخليل، وقرآن النحو لسيبويه، والمقاييس للأخفش الأوسط، والفيصل للرؤاسي، والمصادر للكسائي، ومعاني القرآن للفراء.[41]

مشاهير النحاة في طور النشوء والنمو

الطبقة البصرية الثالثة

- **الأخفش الأكبر (172هـ):**

من علماء هذه الطبقة الأخفش الأكبر[42]، وهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد[43]، وُلد بهَجَر بالبحرين، وكان مولى قيس بن ثعلبة، سكن البصرة ودرس على أبي عمرو بن العلاء، كما لقي الأعراب وأخذ منهم.

---

[41] محمد الشاطر، المرجع السابق، ص: 49-70.

[42] الأخفش: لقب جماعة من العلماء، ذكر السيوطي أحد عشر منهم، انظر في بغية الوعاة، ص: 389/2، المزهر، ص: 454/2 والخفش صغر العين وضعف البصر خلقةً - وأشهر الأخافش ثلاثة من النحاة واللغويين هم: الأخفش الأكبر أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، والأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدة، والأخفش الأصغر أبو الحسن علي بن سليمان.

[43] انظر في ترجمته: طبقات النحويين، ص: 40، نزهة الألباء، ص: 43، إنباه الرواة، ص: 157/2.

يُظنّ أنه أول من فسّر الشعر تحت كل بيت، وكان الناس قبله إذا فرغوا من القصيدة فسروها، وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب.

أخذ عنه جماعة من العلماء، منهم: أبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو زيد الأنصاري، والأصمعي، كما أخذ عنه سيبويه فكان ذلك من أسباب شهرته.

- **الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ/175هـ):**

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري[44]، وهو عربي الأصل من أزد عمان، لغوي ومعجمي ومنشئ علم العروض. نشأ الخليل بن أحمد بالبصرة وتربى فيها، وكان مُولعاً بالدرس والبحث. وقد لازم حلقات أستاذيه عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، وساح في بوادي الجزيرة العربية وشافه الأعراب في نجد والحجاز وتهامة إلى أن ملأ حقيبته ثم آب إلى مسقط رأسه البصرة، واعتكف في داره دائباً على العلم، فنبغ في العربية وبلغ الغاية في تصحيح القياس وفي استخراج مسائل النحو وتعليله. تعهّد النحو في نشأته وله فضل النهوض به كما لأبي الأسود فضل تكوينه. وأخذ عنه سيبويه والأصمعي والنضر بن شميل. والحكايات والمرويات المذكورة في كتاب سيبويه معظمها مرويّ عن الخليل، وكلما قال سيبويه: "وسألته "، أو "قال " من غير أن يذكر قائله، فهو يعني الخليل.

وقد وهب الله الخليل بن أحمد ذكاء خارقاً وفطنة كانت مضرباً للمثل في عصره. وجمع إلى ذلك تقوى وزهداً وورعاً وهمة عالية. قال أبو الطيب اللغوي: "كان أعلم الناس وأذكاهم وأفضل الناس وأتقاهم"[45]. اجتمع الخليل وعبد الله بن المقفع ليلة يتحدّثان إلى الغداة، فلما تفرّقا قيل للخليل: "كيف رأيت ابن المقفّع؟" قال: "رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله." وقيل لابن المقفّع: "كيف رأيت الخليل؟" فقال: "رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه."

وقد فتحت للخليل مغاليق أبواب العلوم، فهو عالم اللغة والنحو والعروض والموسيقا. فقد نظر في شعر العرب وأحاط بإيقاعاته. ودفعه حسه المرهف وتذوقه للإيقاع لاستخراج

---

[44] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 27، أخبار النحويين ص: 38، طبقات النحويين، ص: 47، نزهة الألباء، ص: 45، معجم الأدباء، 72/11، إنباه الرواة، ص: 341/1، بغية الوعاة، ص: 557/1، شذرات الذهب، 275/1.

[45] مراتب النحويين، ص: 28.

علم العروض، حيث اهتدى إلى أوزان الأشعار وبحورها وقوافيها. وأسدى بمجهوده هذا خدمة جليلة للشعر العربي لم يسبقه إليها سابق، وتبعه فيها من أتى بعده وظلت تنسب إليه إلى اليوم.

وللخليل مأثرة الشكل العربي المستعمل الآن وتجد بحوثه في القياس ومسائل النحو والعلل منبثّة في معجمه «كتاب العين»، وقد سمّاه بهذا الاسم لأنّه بدأ بالكلام فيه على حرف العين. ورتّب حروفه طبقاً لمخارجها مبتدئاً من الحلق فاللسان فالأسنان فالشفتين، وقد أوضح هذا المعجم وجوه التصريف في الكلمات والمهمل والمستعمل منها، وشرح معاني المستعمل وساق في ثنايا الشرح كثيراً من الشواهد من شعر العرب.

- **نموذج من (كتاب العين):**

باب العين والميم (ع م)[46]

(عم)

الأعمام والعُمومة: جماعة العمّ والعمّة، والعمّات أيضاً جمع العمّة. ورجل مُعِمّ: كريم الأعمام، ومنه: مُعِمٌّ مُخْوِل.

قال امرؤ القيس: "بِجِيدِ مُعِمّ في العشيرة مُخْوِل"

والعِمامة: معروفة، والجمع العَمَائِم، واعْتَمَّ الرجل، وهو حسن العِمَّةِ والاعْتِمَام.

قال ذو الرمة:

تَنْجُو إذا جَعَلَتْ تَدْمى أَخِشَّتُها * وَاعْتَمَّ بَالزَّبَدِ الجَعْدِ الخَرَاطِيمُ

وعُمِّمَ الرجل: إذا سُوِّدَ، هذا في العرب، وفي العجم يقال: تُوِّجَ، لأن تيجانهم العمائم.

قال العجاج: "وفيهم إذ عُمِّمَ المَعَمَّم"

[46] انظر في كتاب العين، 4 ج، ط 1، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، 231/3-232.

واستعم الرجل إذا اتخذه عمّاً، وتعممته: دعوته عمّاً، وعُمِّمَ: سُوِّدَ فأُلْبِسَ عمامة التسويد. وشاة مُعَمَّة: بيضاء الرأس.

والعميم: الطويل من النبات، ومن الرجال أيضاً، ويجمع على عُمُم. وجارية عَمِيمة. وعَمَّة أي طويلة.

والعُمُّ: الطِوال من النخيل التامة، واستوى الشاب والنبات على عَمِّه وعَميمِه: أي تمامه.

وعَمَّ الشيء بالنّاس يَعُمُّ عَمّاً فهو عامٌّ إذا بلغ المواضع كلها.

والعماعم: الجماعات، والواحدة عَمْعَمة

" عما " معناه "عن ما" فأدغم وألزق، فإذا تكلمت بها مستفهماً حذفت منه الألف كقول الله: (عم يتساءلون)

والعامة خلاف الخاصة. والعامة: عيدان يضم بعضها إلى بعض في البحر ثم تركب. والعامة: الشخص إذا بدا لك.

(مع)

المعمعة: صوت الحريق، وصوت الشجعان في الحرب وإسعارها، كل ذلك معمعة.

قال: سَبُوحاً جَمُوحاً وإحْضَارُها * كَمَعْمَعَةِ السَّعْفِ المُوقَد

وقال: وَمَعْمَعَتْ فِي وَعْكَةٍ وَمَعْمَعا

والمَعْمَعَةُ: شِدّة الحرّ، وكذلك المَعْمَعان. وكان عمر يتتبع اليوم المَعْمَعَانيّ فيصومه.

قال: حتّى إذا مَعْمَعَانِ الصَّيفِ هَبَّ لَه * بأجَّةٍ نَشَّ عنها الماءُ والرُّطَبُ

وأما "مع" فهو حرف يضم الشيء إلى الشيء: تقول: هذا مع ذاك.

- **يونس بن حبيب (182هـ):**

أبو عبد الرحمن، يونس بن حبيب الضبّي[47]، من أئمة نحاة البصرة في عصره، ومن العلماء بالشعر واللغة. لم تذكر المصادر شيئاً عن نشأته، وكل ما ألمحت إليه أن أصله من بليدة على نهر دجلة اسمها (جَبُّل) بين بغداد وواسط. أقام يونس في البصرة وفيها أخذ علومه عن أساتذتها كأبي عمرو بن العلاء الذي أخذ عنه الأدب، وحماد بن سلمة الذي تعلم على يديه النحو، ولقي عبد الله بن أبي إسحاق، وارتحل إلى البادية وسمع عن العرب كثيراً مما جعله راوياً كبيراً من رواة اللغة والغريب.

وفي البصرة كانت ليونس حلقة ينتابها الأدباء وفصحاء العرب وأهل البادية، وقد تحلق حوله عدد من تلامذته الذين كان لهم شأن كبير في علوم العربية كأبي عبيدة معمر بن المثنى الذي صرح أنه لازمه أربعين سنة كان يملأ فيها كل يومٍ ألواحه من حفظه، وكأبي زيد الأنصاري الذي جلس إليه عشر سنين، وخلف الأحمر الذي جلس إليه عشرين سنة، والكسائي والفرَّاء وهما من أئمة أهل الكوفة، وسيبويه النحوي المشهور الذي نقل عنه في كتابه طَرَفاً من آرائه النحوية والصرفية وروى عنه بعض شواهده اللغوية، وكان سيبويه يشير إلى آراء يونس التي خالف بها الخليل، وقد تنبه القدماء إلى هذه المسألة فذكروا أن ليونس قياساً في النحو ومذاهب ينفرد بها.

صحيحٌ أن النحو كان هو الغالب على يونس، بيد أنه كان مع ذلك عالماً بالشعر، نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه، عارفاً بطبقات شعر العرب، حافظاً لأشعارهم، وقد تناقلت كتب الأدب كثيراً من مروياته وآرائه في الشعر والشعراء، وهو صاحب المقولة النقدية المشهورة حين سئل عن أشعر الناس فقال: "لا أومئ إلى رجلٍ بعينهِ، ولكني أقول: امرؤ القيس إذا رَكِب، والنابغة إذا رهِب، وزهير إذا رغِب، والأعشى إذا طرب".

---

[47] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 21، أخبار النحويين ص: 33، نزهة الألباء، ص: 49، معجم الأدباء، 64/20، شذرات الذهب، 301/1، نبيل أبو عمشة "يونس بن حبيب" الموسوعة العربية، 22 ج، ط 1، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، ص: 654/22.

صنف يونس في علوم القرآن واللغة، بيد أن مؤلفاته ضاعت، ولم تصل إلينا إلا أسماؤها، وهي: «معاني القرآن الكبير»، «معاني القرآن الصغير»، كتاب «اللغات»، كتاب «النوادر»، كتاب «الأمثال».

الطبقة الكوفية الأولى

- **أبو جعفر الرؤاسي (187هـ):**

هو أبو جعفر محمد بن الحسن[48]، مولى محمد بن كعب القرظي، لقب بالرؤاسي لكِبَر رأسه، نشأ بالكوفة، وورد البصرة فأخذ عن أبي عمرو بن العلاء وغيره مِن علماء الطبقة البصرية الثانية، ثم قفل إلى الكوفة، واشتغل فيها بالنحو مع عمه معاذ وغيره، فتكونت الطبقة الكوفية الأولى، وكان إماماً بالنحو بارعاً في اللغة، وهو أستاذ أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي والفراء، ثم صنَّف كتابه (الفيصل) في النحو، ومعلوم أن الخليل بعث إلى الرؤاسي يطلبه فأرسله إليه، وأن سيبويه نقل في كتابه عنه كما نقل عن البصريين، فإلى الرؤاسي يرجع بدء النحو في الكوفة دراسة وتأليفاً، فهو رأس الطبقة الكوفية الأولى، وكتابه أول مُؤلَّف في النحو بالكوفة، توفي بالكوفة في عهد الرشيد.

- **معاذ الهراء (187هـ):**

هو أبو مسلم[49]، لُقِّب بالهراء لبيعه الثياب الهروية، وهو عم الرؤاسي ومولى القرظي أيضاً، أقام بالكوفة واشتغل مع ابن أخيه في النحو، غير أن ولوعه بالأبنية غلب عليه، حتى عده المؤرخون واضع علم الصرف، ولم يوقَف له على مصنَّف، عُمِّر طويلاً، وتوفي بالكوفة سنة 187هـ.

---

[48] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 24، طبقات النحويين ص: 125، الفهرست، ص: 102، أبو القاسم الزجاجي، مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت، 1962، ص: 266-269، نزهة الألباء، ص: 54.

[49] انظر في ترجمته: طبقات النحويين ص: 125، الفهرست، ص: 102، نزهة الألباء، ص: 52.

الطبقة البصرية الرابعة

- **سيبويه (180هـ):**

هو شيخ هذه الطبقة وأشهر عالم يدور اسمه على ألسنة الدّارسين لقواعد اللغة العربية. اسمه عمرو بن عثمان بن قنبر، ويُكنّى بأبي بشر، ولكن اشتهر بلقب (سيبويه)، ومعنى هذا اللقب الذي كانت أمه ترقصه به في صغره "رائحة التفاح"، وقد لقّب به لأنّه كان جميلاً ذا وجنتين كالتفاح أو لأنّه كان جميل الرائحة حتى إنّ من يقربه كان يشمّ فيه رائحة التفاح.

وهو فارسي الأصل وُلِد عام أربعين ومئة من الهجرة (140هـ) على الأرجح في مدينة البيضاء من أرض فارس، وهي أكبر مدينة في إِصْطَخْر على بُعد ثمانية فراسخ من شيراز. قَدِم سيبويه البصرة وهو غلام صغير، فكان منشؤه بها. ومع حداثة سنِّه فقد انطلق يصحب أهل الحديث والفقهاء حيث ميله ومراده، فكان يستملي على حمَّاد بن سلمة في حلقته ليكتب الحديث ويرويه، ويشاء الله أن يكون لغير ما طلب وما أراد أولاً؛ فقد سأل يومًا حماد بن سلمة فقال له: أحدَّثك هشام بن عروة عن أبيه في رجلٍ رعُف في الصلاة، بضم العين؟ فقال له حماد: أخطأت، إنما هو رعَف بفتح العين. فانصرف سيبويه إلى الخليل، فشكا إليه ما لقيه من حماد. فقال له الخليل: صدق حماد! ومثل حماد يقول هذا. ورعف بضم العين لغة ضعيفة.

ثم يتكرر الموقف مرة أخرى، فبينما هو يستملي على حماد قول النبي ρ: "ما أحد من أصحابي إلا وقد أخذتُ عليه ليس أبا الدرداء". فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء بالرفع. وقد خمَّنه اسم ليس. فقال له حماد: لحنت يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبت، إنما (ليس) ها هنا استثناء. فكان أن أَنِف سيبويه من ذلك وقد أخذ قراره، فقال: لا جرم لأطلبَنَّ علماً لا تلحنني فيه أبداً. فطلب النحو، ولزم الخليل.

وبعد قراره الأخير هذا عمد سيبويه إلى إمام العربية وشيخها الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ لينهل ويتعلم منه عن حبٍّ وعزيمة وقوة إرادة، فصار يلازمه كالظلِّ حتى لقد بدا تأثره الكبير بشيخه هذا على طول صفحات كتابه الوحيد وعرضه في رواياته عنه، واستشهاداته به.

ولم يكتف سيبويه بشيخه الخليل بن أحمد في علوم النحو والعربية، بل إنه استزاد من ذلك شأن أقرانه في ذلك الوقت، فتتلمذ أيضاً على يد أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر، وعيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، وأبي زيد الأنصاري النحوي، وغيرهم.

لأن القدر لم يمهله طويلاً إذ تُوُفِّي في ريعان شبابه، فلم يكن لسيبويه تلاميذ كثيرون، وكان من أبرز من تتلمذوا على يديه ونَجَم عنه من أصحابه: أبو الحسن الأخفش، وهو الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة، وقُطْرب وهو أبو عليٍّ محمد بن المستنير. وقال أبو العباس المبرد: "كان الأخفش أكبر سنّاً من سيبويه، وكانا جميعاً يطلبان. قال: فجاءه الأخفش يناظره بعد أن برع، فقال له الأخفش: إنما ناظرتك لأستفيد لا لغيره. فقال له سيبويه: أتراني أشكُّ في هذا؟!"

لم يرد في كتب التاريخ أي شيء يدلّ على أنّه كان لسيبويه زوجة وأولاد، فمن المرجح أنّه لم يتزوج بل وهب نفسه وحياته للعلم والتعليم، ولم يكن له أقارب غير أخٍ واحدٍ كان مقرباً له كثيراً، ومما دلّ على ذلك تلك الروايات التي تتحدث عن مرضه، فقد مرض مرضاً شديداً وفي الرواية أنّه كان يضع رأسه في حضن أخيه فسالت عبرات الشفقة من عيون أخيه وسقطت على وجهه، فلما شعر بها نظر إلى أخيه قائلاً:

أَخَيَّينِ كُنَّا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنا إلى الأَمَدِ الأَقْصَى ومَنْ يَأْمَنُ الدَّهْرَا

مات سيبويه في ريعان شبابه حزناً وقهراً أثناء عودته من بغداد بعد فشله في مناظرته الشهيرة مع الكسائي، وهو متوجه إلى بلاد فارس، حيث إنّه لم يرغب بعودته إلى البصرة، فطلب تلميذه أبو الحسن الأخفش فبثّه حزنه وهمه، وما أن وصل بلدته حتى اشتد عليه المرض وفارق الحياة، وهناك من قال: إنّه مات في ساوة، وقيل: في البصرة وفي شيراز، كما اختلفوا في تاريخ وفاته واجتمع الأغلبية على أنّه توفي سنة 180هـ رحمه الله.[50]

[50] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 42-69، أخبار النحويين ص: 48، طبقات النحويين، ص: 66، الفهرست، ص: 82، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 14 ج، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1931، ص: 12/195-199، نزهة الألباء، ص: 60-66، معجم الأدباء، 16/114-127، إنباه الرواة، ص: 2/346-360، ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 8 ج، تحقيق إحسان عباس، دار صادر،

- **كتاب سيبويه:**

كتاب سيبويه هو كتاب جمع فيه سيبويه قواعد النحو والصرف، فحمله ونشره بين الناس تلميذه الأخفش سعيد بن مسعدة، ومات سيبويه قبل الانتهاء من إخراجه بشكله النهائي فلم يتسنّ له أن يسميه، فسماه الأخفش «الكتاب»، كما أنّه لم يجعل له مقدمة وخاتمة ولم يقم بتنقيحه، وبالرغم من ذلك فهو يُعَدُّ من أعظم كتب النحو والصرف في الماضي والحاضر[51]، أشاد به وامتدحه معظم النحاة، منهم أبو عثمان المازني تلميذ الأخفش الذي قال: "من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي"[52]، كما كان يتهاداه الناس فيما بينهم، فقد أهداه الجاحظ الى محمد بن عبد الملك، فقال له: "أردت أن أهدي لك شيئاً فلم أجد أشرف من هذا الكتاب"، فردّ عليه قائلاً: "والله ما أُهديت شيئاً أحب إليّ منه"[53]، كما أطلق عليه أبو الطيب اللغوي: "قرآن النحو".[54]

من الجدير بالذكر أن نعرف أنّ كتاب سيبويه هو أول كتاب جُمعت فيه قواعد الصرف والنحو، وقد تميّز بكثرة المصطلحات النحويّة والصرفيّة التي درجت على ألسنة الناس حتى يومنا هذا، وقسمه سيبويه إلى قسمين كبيرين؛ جمع في القسم الأول مباحث النحو كلها، وقام بشرحها بالتفصيل الدقيق في الجزء الثاني، ثمّ قسمه إلى أبواب؛ كل باب منها يشرح باستفاضة ناحية من نواحي القواعد، لكنّه لم يضع عناوين واضحة لهذه الأبواب، ومن الأمثلة على ذلك كأن يقول: "هذا باب نظائر ضربته ضربة ورميته رمية"، فسمّاه النحاة بعده "باب المرّة"، وكأن يقول: "هذا باب اشتقاقك الأسماء لمواضع بنات الثلاثة التي ليست فيها زيادة من لفظها"، وسمّاه النُّحاة بعده "المكان المشتق"، و"باب الفاعلين والمفعولين اللذين كلّ

بيروت، 1978، ص: 463/3-465، بغية الوعاة، ص: 229/2، أحمد أحمد بدوي، سيبويه حياتُه وكتابه، مؤسسة هنداوي، 2019، ص: 9-23.

[51] أحمد بدوي، المرجع السابق، ص: 26.

[52] عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، 4 ج، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص: 358/1.

[53] أحمد بدوي، المرجع السابق، ص: 25.

[54] مراتب النحويين، ص: 24.

واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به وما كان نحو ذلك"، فسمّاه النحاة باب "التنازع"، واعتمد سيبويه في توضيح الأبواب على ذكر أمثلة لتوضيح مقصده .[55]

ذكر سيبويه في كتابه ألفاً وخمسين بيتاً شعرياً، وقال الجرمي: "فأما ألف عرفتُ أسماء قائليها فأثبتها، وخمسون لم أعرف أسماء قائليها"، لكنّ سيبويه كان من الثقاة بحيث لم يطعن أحد بالشعر الذي لم يذكر أسماء قائليه[56]، كما تميّز كتابه بالصعوبة والغموض في طريقة تناول مسائل النحو والصرف، وهذا ما جعل العديد من النحاه يتناولونه بالشرح، والتبسيط، والتفسير، والتعليل، ومن هؤلاء: تلميذه الأخفش وأصحابه الجرمي والمازني، ومن أشهر شروحه شرح المازني، وشرح السيرافي.[57]

- **اليزيدي (128هـ/202هـ):**

أبو محمد، يحيى بن المبارك البصريّ، المعروف باليزيدي[58]. نحويٌّ، مقرئٌ، لغويٌّ، عُرِف باليزيدي لصحبته يزيد بن منصور الحميري خال المهدي، فكان يؤدّب أولاده ونسب إليه ولقّب باليزيدي من ذلك الحين، ثم سرى هذا اللقب في أولاده[59] وأحفاده من بعده.

لم تُشِر المصادر إلى مكان ولادته ولا إلى نشأته، وغاية ما فيها أنّه سكن بغداد، وأنّه أخذ علوم العربية والقراءات عن طائفة من مشايخ أهل البصرة حتّى عُدَّ منهم، وأشهر شيوخه اثنان، أولهما أبو عمرو بن العلاء الذي كان يميل إليه، ويُدْنيه لذكائه حتى عُرِف بأنه صاحب أبي عمرو، وقد أخذ اليزيدي عن أبي عمرو جُلَّ علمه ودوّنه، ونُقِل عن بعضهم أنّه ملأ عشرة آلاف ورقة عنه، وفي مقدمة ما حمله عنه قراءتُه، فقد كان أبو عمرو من أشهر

---

[55] أحمد بدوي، المرجع السابق، ص: 28-30.

[56] المرجع نفسه، ص: 35-39.

[57] المرجع نفسه، ص: 40.

[58] انظر في ترجمته: طبقات النحويين ص: 61-66، الفهرست، ص: 50 نزهة الألباء، ص: 81-84، شمس الدين ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، مجلدان، تحقيق ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982، ص: 2/375-377، نبيل أبو عمشة "اليزيدي" الموسوعة العربية، ص: 22/508.

[59] ومما تحسن الإشارة إليه أن أسرة اليزيدي أسرة علم ومعرفة، فأبناؤه الخمسة كلهم علماء أدباء شعراء ورواة لأخبار الناس، ولهم مصنفات مشهورة، وكذا الحال في أبنائهم وأحفادهم، وتكفي الإشارة هنا إلى محمد بن العباس بن محمد بن يحيى اليزيدي (310هـ) صاحب كتاب الأمالي المعروف باسم «أمالي اليزيدي»، وهو مطبوع.

القرّاء، بل إنه خلفه في القيام بها بعده. وثانيهما الخليل بن أحمد، أخذ عنه من اللغة شيئاً كثيراً، وكتب عنه العروض في ابتداء وضعه له.

أمضى اليزيدي شطراً من حياته في التدريس، فكان مؤدباً للمأمون، مدرّساً يعلّم الصبيان، وكان يجلس في أيام الرشيد مع الكسائي في مجلس واحدٍ يقرئان الناس. وقد حفظت لنا بعض المصادر شيئاً من مناظراته ولاسيما مع الكسائي.

ولليزيدي مصنفات ألمحت إليها كتب التراجم لم تصل إلينا، وهي: «النوادر في اللغة»، قيل: إنه صنعه على مثال كتاب «النوادر» للأصمعي وبعدد أوراقه، وكتاب «المقصور والممدود»، و«مختصر في النحو» ألّفه لبعض ولد المأمون، وكتاب «النقط والشكل»، و«الوقف والابتداء».

- **أبو زيد الأنصاري (119هـ/215هـ):**

سعيد بن أوس بن ثابت المعروف بأبي زيد الأنصاري[60]، أحد أئمة الأدب واللغة، عربيٌّ أصيل النسب من قبيلة الخزرج المدنية. نشأ على تعلم القرآن وحفظ الحديث ورواية الشعر والأدب من مهد الجزيرة العربية، وأكمل تحصيله العلمي في المسجد الجامع بالبصرة، وتنقل بين حلقات العلماء في القراءات والتفسير والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب.

تصدّر أبو زيد الأنصاري للتدريس والإفادة في مناحٍ متعددة من العلوم، وسمع منه كبار العلماء كابن اليزيدي وسيبويه وابن السكيت والرياشي وخلف الأحمر والجاحظ، وروى عنه أبو عثمان المازني وأبو عبيد القاسم بن سلّام وأبو حاتم السجستاني وجمع غفير من أثبات أهل العلم واللغة والأدب.

أثرى أبو زيد الأنصاري المكتبة العربيةَ بخمسين مؤلفاً في مختلف الاتجاهات التي وُجِدَت في عصره لدى علماء العربية؛ منها رسائل لغوية، ومنها ما يتصل بعلوم القرآن والحديث واللغة والأدب، وكلّها تدل على مجهود كبير وعمل دائب. وكتبه أكثرها مفقود، لا يُعرف عنها أكثر من أسمائها، وإشارات غاية في الإيجاز حفظتها لنا كتب الطبقات والرجال

---

[60] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 42، أخبار النحويين ص: 52، طبقات النحويين، ص: 165-166، تاريخ بغداد، ص: 77/9-80، نزهة الألباء، ص: 125-129، معجم الأدباء، 212/11-217، إنباه الرواة، ص: 30/2-35، وفيات الأعيان، ص: 378/3-380، بغية الوعاة، ص: 582/1-583.

والفهارس. من كتبه اللغوية «الإبل والشاه»، «التثليث»، «خلق الإنسان»، «الصفات»، «فعلت وأفعلت»، «اللامات كتاب اللغات»، «المصادر»، وأشهر كتبه «النّوادر»، الذي يعّد أصلاً من أصول المؤلفات اللغوية، ومرجعاً يفيد الباحثين أجل فائدة.

سجل أبو زيد الأنصاري في هذا الكتاب شرحاً لغوياً للشعر العربي القديم، بيّن المعاني الدقيقة للألفاظ، وتتبَّع الروايات الموثقة. وتوجَّه للإعراب ولبيان أوجه الصرف وبعض أمور البلاغة، مستعرضاً تفسير بعض الآيات والأحاديث وموردا مقطعات شعرية مختارة، مبرزاً أخبار شعرائها وأنسابهم وما سمعه من فصحاء العرب على اختلاف قبائلهم ولهجاتهم. والكتاب بهذه المزايا يعدُّ مصدراً مهماً لدراسة لهجات القبائل العربية وخصائصها.

ولأبي زيد الأنصاري في الدراسات القرآنية كتاب «معاني القرآن» و«لغة القرآن» و«قراءة أبي عمرو»، وفي غيرها لـه كتاب «غريب الحديث»، و«البيان»، و«تخفيف الهمز»، و«الجمع والتثنية»، و«المقتضب» و«الهمز»، و«الأمثال».

- **الأصمعيّ (123هـ/216هـ):**

أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع وإليه نسبتُه، من قبيلة باهلة القيسية. راوية ثقة صدوق، وإمام في اللغة والغريب والأخبار والمُلَح.

نشأ الأصمعيّ[61] في البصرة فتعلم فيها القراءة والكتابة، ثم أتقن تجويد القرآن على أبي عمرو بن العلاء أحدِ القُرّاء السبعة، وهو أستاذه في سائر علوم اللغة والأدب، وأكثر من لازمه من شيوخه. وممن ثَقِفَ عنهم علومه عيسى بن عمر الثقفي والخليل بن أحمد الفراهيدي. ومما أسهم في ثقافة الأصمعي روايته عن فحول الشعراء كرؤبة وابن ميادة والحسين بن مطير الأسدي وابن هرمة وابن الدمينة وغيرهم، وذلك لاعتقاده أن العلم لا يصح إلا بالرواية والأخذ عن أفواه الرجال.

---

[61] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 46، أخبار النحويين ص: 58، طبقات النحويين، ص: 167، الفهرست، ص: 82، تاريخ بغداد، ص: 410/10-420، نزهة الألباء، ص: 112، إنباه الرواة، ص: 197/2-205، وفيات الأعيان، ص: 170/3-177، بغية الوعاة، ص: 112/2-113

أحبَّ الأصمعي اللغة حباً ملك عليه شغاف قلبه، فارتحل إلى أعماق البوادي يشافه أرباب الفصاحة والبيان من الأعراب الأقحاح حتى إنه قلّما يقع المرء على كتاب في التراث يخلو من خبر للأصمعي مع الأعراب.

استقدمه الرشيد إلى بغداد لِمَا بلغه من علمه وفضله واتساع درايته للغة، وروايته لأنساب العرب وأيامها، واتخذه سميره ومؤدِّب نجله الأمين. وكان خفيف الروح ظريف النادرة إلى مزح يحرك الرصين ويضحك الحزين.

ترك الأصمعي تراثاً جمّاً من التصانيف الجياد، عدّتُها تزيد على الثلاثين، منها: «خلق الإنسان»، «الأجناس»، «الأنواء»، «الخيل»، «الشاء»، «الوحوش»، «اشتقاق الأسماء»، «الأضداد، «اللغات»، «القلب والإبدال»، «فحولة الشعراء»؛ وقد رواه عنه تلميذه السجستاني، وفيه نظرات لطيفة في تقويم الشعر والشعراء، ولعلّ أجلّ آثاره «الأصمعيات» وهو اختيارات شعرية انتخبها من عيون الشعر العربي، تصوّر الحياة الأدبية أدق تصوير في عاداتها وأفكارها وتقاليدها.

الطبقة الكوفية الثانية

- **الكسائي (119هـ/189هـ):**

علي بن حمزة بن عبد الله، من موالي بني أسد، أحد الأئمة في القراءة والنحو واللغة، وأحد القرّاء السبعة. لُقِّب بالكسائي، لأنه كان يرتدي في بادئ أمره زيّاً معيّناً مخالفاً لزيّ أهل الكوفة كان يحضر به مجلس حمزة بن حبيب الزيّات ومجلس معاذ الهرّاء، كما أنه حج وهو يرتديه بدلاً من أن يرتدي ملابس الإحرام؛ فاشتهر بذلك.[62]

وتذكر بعض المصادر أنه من أهل «باحَمْشا» وهي قرية من أعمال بغداد من جهة تكريت، فلعله ولد فيها، ثم انتقلت أسرته إلى الكوفة وهو غلام، فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، وقد تلقّاه مشافهة عن قرّاء الكوفة المعروفين في عهده، وأشهرهم حمزة الزيات.

---

[62] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 74-75، طبقات النحويين، ص: 127، نزهة الألباء، ص: 67، معجم الأدباء، 13/167-203، إنباه الرواة، ص: 2/256-274، تاريخ بغداد، ص: 11/403-415، غاية النهاية، ص: 1/535-540، شذرات الذهب، 1/321.

أما النحو فتعلّمه وهو كبير بعد أن عيب عليه أنه كان يلحن في كلامه، فلزم معاذاً الهرّاء، ثم انتقل إلى البصرة، فلقي الخليل بن أحمد وجلس في حلقته، وارتحل بعد ذلك إلى البادية يسائل البدو عن لغتهم، ويكتب عنهم ما يروونه، حتى أنفد خمس عشرة قنينة من الحبر، سوى ما حفظ، ثم عاد إلى البصرة، فوجد الخليل قد مات، وجلس في موضعه يونس بن حبيب، فجرت بينهما مسائل ومناظرات ظهر فيها علم الكسائي، وذاع صيته بعد ذلك واشتهر، وكان هذا سبباً في انتقاله إلى بغداد واتصاله بالخلفاء العباسيين، فاتصل أولاً بالمهدي، وأدّب ابنه الرشيد، وأصبح من طائفة المؤدّبين لأولاد الخلفاء إلى جانب إقراء الناس القرآن الكريم وتعليمهم النحو واللغة في بغداد.

ولما وُلّي الرشيد الخلافة أحضر إليه الكسائي سنة 182هـ، وطلب إليه أن يتعهد ولديه الأمين والمأمون، وقيل: إنه أدّب الأمين فقط، أما المأمون فكان يؤدّبه اليزيدي، وقد أغدق عليه الرشيد كثيراً من المال، فتحسنت حاله، وظهر عليه أثر النعمة، وظل كذلك حتى أصيب بالبرص[63] في وجهه ويديه في أواخر أيامه، فكره الرشيد ملازمته أولاده، وطلب منه أن يختار لهم من ينوب عنه، فأناب تلميذه علي بن المبارك الملقب بـ«الأحمر»، وخرج الكسائي من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين، فكان ملازماً للرشيد يصحبه في أسفاره ورحلاته إلى أن مات في إحدى زياراته إلى الري، ودفن في قرية من قراها تدعى «رنبويه».

اشتهر الكسائي بإقراء القرآن حتى غدا أحد السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد في كتابه المعروف بـ«السبعة في القراءات». ووصف قراءته في هذا الكتاب فقال: «اختار الكسائي من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن قراءة من تقدّم من الأئمة».[64]

وهو إلى ذلك من علماء النحو واللغة، ومع أن أبرز شيوخه من أهل البصرة كالخليل ويونس وأبي الحسن الأخفش وأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي إلا أنه عُدَّ رأس

---

[63] مَرَض مُعْدٍ مُزْمِن يظهر على شكل بُقع بيضاء في الجسد، أو هو مرض يُحْدِث في الجسم قشرًا أبيضَ ويسبّب حكًّا مؤلمًا.

[64] أبو بكر أحمد ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص: 78.

المدرسة الكوفية في النحو. فلا غرابة أن يتحامل على الكسائي علماء البصرة، ولاسيما بعد المناظرة التي جرت بينه وبين سيبويه في مجلس يحيى بن خالد البرمكي، ومن هذا الباب ما قاله أبو حاتم السجستاني: «لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب، ولولا أن الكسائي دنا من الخلفاء، فرفعوا ذكره لم يكن شيئاً، وعِلْمُه مختلط بلا حجج ولا علل إلا حكايات عن الأعراب مطروحة»[65]، وقال ابن درستويه: «كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة، فيجعله أصلاً، فيقيس عليه، واختلط بأعراب الأُبلّة؛ فأفسد بذلك النحو»[66]، وعن أبي زيد أنه قال: «قدم علينا الكسائي البصرة، فلقي الخليل وعيسى وغيرهما، وأخذ منهما نحواً كثيراً، ثم صار إلى بغداد، فلقي أعراب الحُطَمة، فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن؛ فأفسد بذلك ما كان أخذه من البصرة كله».[67]

وقد حفظت كتب التراجم طائفة من المسائل التي تناظر فيها الكسائي مع معاصريه كالأخفش والأصمعي وعيسى بن عمر ويونس والفراء والفقيه محمد بن الحسن الشيباني والقاضي أبي يوسف، وأشهرها مناظرته مع سيبويه الذي ورد بغداد مؤمّلاً؛ لكنه أخفق بعد أن نصر الأعراب الكسائي، ووقفوا إلى جانبه فيما قاله عن المسألة الزنبورية.

وللكسائي تلامذة مشهورون، أبرزهم الفرّاء والبزّاز واللحياني والأحمر وأبو عمرو الدوري وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن الأعرابي وهشام بن معاوية الضرير.

وله مؤلفات في النحو واللغة والقراءات، منها «معاني القرآن» و«المصادر» و«الحروف» و«القراءات» و«نوادر» و«مختصر في النحو» و «المتشابه في القرآن» و«ما يلحن فيه العوامّ».

---

[65] مراتب النحويين، ص: 74، معجم الأدباء، 190/13.

[66] بغية الوعاة، ص: 164/2.

[67] معجم الأدباء، ص: 182/13، إنباه الرواة، ص: 274/2.

الطبقة البصرية الخامسة

- **الأخفش الأوسط (215هـ):**

أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدة البصري[68]، أصله من بلخ، كان مولى لبني مجاشع بن دارم من تميم، أقام في البصرة، وكانت تزخر في تلك الحقبة بالعلماء والأعلام من النحويين واللغويين، فأخذ عن طائفة من علمائها منهم سيبويه وهو أعلم من أخذ عنهم، وحمّاد بن الزبرقان، وأبو مالك النُميري، كما صحب الخليل بن أحمد واطلع على مؤلفات أبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى والحسن البصري والأعمش وغيرهم.

عدّ أحد أئمة النحاة البصريين، ولقي من لقيه سيبويه من العلماء لأنه كان أسنّ منه، وقد أصبح الأخفش الطريق إلى كتاب سيبويه بعد وفاته، وكان قد خالفه في كثير من آرائه في حياته، ولكنه بعد رحيل سيبويه إلى الأهواز إثر المناظرة التي جرت بينه وبين الكسائي توجه الأخفش إلى بغداد وانتصر لشيخه؛ فسأل الأخفش الكسائي عن مئة مسألة نحوية فأجابه الكسائي إجابات خطَّأه فيها الأخفش، فاعترف له الكسائي بعدها بالفضل وأحب أن يتأدب على يديه، وقرأ على الأخفش كتاب سيبويه سراً فأعطاه الكسائي سبعين ديناراً.

صنف الأخفش كتباً كثيرة في اللغة والنحو والعروض والقوافي منها: «معاني القرآن» و«الأوسط في النحو» وقد رجع في مسائله إلى مذهب سيبويه. و«المقاييس في النحو» و«كتاب المسائل الكبير» وكان تأليفه جواباً عن مسائل سأله عنها هشام الضرير النحوي. وقد اعتمد على هذا الكتاب بعض الكوفيين. وله كتاب «وقف التمام» وكتاب «الأصوات» وكتاب «صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسبابها» وكتاب «القوافي» وكتاب «الاشتقاق» وكتاب «العروض» وكانت له مشاركة في علم العروض، وهو الذي أضاف البحر المتدارك إلى الخمسة عشر بحراً التي أحصاها الخليل.

أما أبرز كتبه فهو كتاب «معاني القرآن» وفيه يفسر الأخفش معاني كلام الله لغوياً، وتناول السور القرآنية كما وردت مرتبة في المصحف، واستعان بالآيات القرآنية في تفسير

---

[68] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 68، أخبار النحويين، ص: 50، طبقات النحويين، ص: 72، الفهرست، ص: 83، نزهة الألباء، ص: 133، معجم الأدباء، 11/224-230، إنباه الرواة، ص: 2/36-43، وفيات الأعيان، ص: 2/380-381، بغية الوعاة، ص: 1/590-591، شذرات الذهب، 2/36.

آيات أخرى، كما تناول القراءات المختلفة وأقام حولها الدراسات الصرفية أو النحوية أو الدلالية أو الصوتية، وبين أثر اختلاف القراءات في المعنى، مفضلاً منها ما كان أجود في العربية.

وتقوم دراسة الأخفش على السماع، وقد عرف لهذا «بالأخفش الراوية»، وقد اتبع فيه منهج المدرسة البصرية، وفي الكتاب اهتمام ظاهر بالشعر الذي يستشهد به على صحة ما يذهب إليه، واستفاد من أقوال العرب في القياسات اللغوية والدراسات الصوتية، وذهب في تفسيره معاني القرآن مذهب المعتزلة، وابتعد عن الاستشهاد بالأحاديث النبوية لجواز نقلها بمعانيها، كما ابتعد عن الاستعانة بالأخبار والقصص والإسرائيليات في عمله التفسيري.

ويبدو في كتابه واضح المنهج والعبارة، منطقياً في التنسيق، متمكناً مما يعرضه من علوم، قادراً على نقل العلم وتقريب علوم العربية إلى أذهان تلاميذه، بحيث يمكن أن يعد كتاب «معاني القرآن» كتاباً تعليمياً واضحاً في بسط القضايا اللغوية في القرآن الكريم.[69]

أخذ عن الأخفش عدد كبير من الرجال الذين تمتعوا بشهرة واسعة في ميادين اللغة والنحو، من هؤلاء: أبو عثمان بكر بن محمد المازني البصري وأبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي وسهل بن محمد السجستاني والعباس بن فرج الرياشي وآخرون، وأفاد منه عدد من شيوخ مدرسة الكوفة يمكن أن يعد الكسائي على رأسهم.

- **قطرب (206هـ):**

أبوعليّ محمّد بن المستنير، من أئمة اللغة والنحو على مذهب أهل البصرة. سُمّي قطرباً لأنه كان يبكّر إلى سيبويه للأخذ عنه قبل حضور أحد من تلامذته، فقال له سيبويه يوماً: «ما أنت إلا قُطْرب[70] ليل» فلُقّب بذلك.

---

[69] الأخفش الأوسط، معاني القرآن، 2 ج، ط 1، تحقيق هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990، ص: 1/33-36.

[70] القطرب ذبابَةٌ تدِبّ ولا تستريح وتضيءُ بالليل كأنها شعلة.

نشأ قطرب[71] في البصرة التي احتضنت قبل غيرها علوم اللغة، فأخذ النحو واللغة عن جماعة من علمائها وفي مقدمتهم سيبويه وكان شديد الملازمة له، ومع ذلك لم يقرأ عليه كتابه، وأخذ أيضاً عن عيسى بن عمر الثقفي وعن يونس بن حبيب. وبعد ذلك ارتحل إلى بغداد، وكان ذلك في عهد هارون الرشيد، أي بعد سنة 170هـ، فعمل مؤدّباً لولدي الرشيد: الأمين والمأمون، وألف لهما كتاباً سمّاه «جماهير الكلام»، واتصل أيضاً في بغداد بأبي دُلَف العِجْلي وأدّب أولاده.

وقد أخذ عن قطرب جماعة من العلماء، منهم يعقوب بن السكيت، وأبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي، والجاحظ، وأبو القاسم المهلّبي، وأبو عبد الله محمد بن الجهم السمّري البغدادي صاحب الفرّاء وراوي كتبه، وراوي كتاب «الفرق» لقطرب، وكذا أخذ عنه ابنه الحسن بن قطرب.

صنف قطرب جملة من الكتب والرسائل تدلّ على سعة علمه، ولاسيما في اللغة وعلوم القرآن، وقد انتهى إلينا من مؤلفاته مطبوعاً أربعة كتب: «المثلثات»، «الأضداد»، «الأزمنة»، «الفَرْق». وقطرب هو أول من صنّف في المثلثات اللغوية، ذكر ذلك ابن خلكان ثم قال: «وكتابه وإن كان صغيراً لكن له فضيلة السبق». والمراد بالمثلثات تلك الألفاظ التي يتغيّر معناها باختلاف حركة فائها أوعينها، مثل: «الغُمر»: الرجل الجاهل، و«الغَمر»: الماء الكثير، و«الغِمر»: الحقد.

الطبقة الكوفية الثالثة

- **الفراء (144هـ/207هـ):**

أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الدَّيْلميّ[72]، مولى لبني أسد، ولد في الكوفة، وكان أكثر مقامه في بغداد يعتاش فيها ويجمع الأموال ثم يعود إلى مسقط رأسه ويوزعها

---

[71] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 67، طبقات النحويين ص: 99، الفهرست، ص: 58، تاريخ بغداد، ص: 298/3، نزهة الألباء، ص: 91-92، معجم الأدباء، ص: 114/16-115، إنباه الرواة، ص: 219/3-220، وفيات الأعيان، ص: 312/4-313، بغية الوعاة، ص: 242/1، نبيل أبو عمشة "قطرب" الموسوعة العربية، ص: 463/15.

[72] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 86، طبقات النحويين ص: 131، الفهرست، ص: 104، تاريخ بغداد، ص: 149/14-155، نزهة الألباء، ص: 97-103، معجم الأدباء، ص: 9/20-14، إنباه الرواة، ص:

على ذويه. لُقّب بالفراء لأنه كان يجيد القول في العلم ويأتي فيه بالقول الحسن، ويبني المسائل بعضها على بعض بناء محكماً ويتقن نظم المسائل، ويتغلب على من يجادله في القضايا العلمية.

وكان أعلم النحويين الكوفيين بالنحو واللغة، إماماً ثقة قويَّ الحفظ صحيح القول حاضر الذهن واعياً لما يخرج من رأسه، عمل النحو والعربية على كلام العرب، وتبحَّر فيها حتى لقب "أمير المؤمنين في النحو"، وهو القائل "أموت وفي نفسي شيء من حتى" لأن ما بعدها يأتي مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً.[73]

أقام الفراء بنيان المذهب الكوفي في النحو وأرسى دعائمه بعد أن بدأه الكسائي، وكان شديد الصلة بكتاب سيبويه، وهو أحد النحويين الكوفيين الثلاثة الأعلام وهم الكسائي والفراء وأحمد بن يحيى ثعلب. تعاطى علوماً شتى، كالطب وأيام العرب وأشعارها والفقه، وكان يفتي في المسائل الفقهية بالتعويل على مسائل النحو.

لقي الفراء احتراماً عند أمير المؤمنين المأمون، ووكل إليه أن يؤدب ابنيه ويقوم عليهما في النحو، وكانا يبديان له التوقير الشديد، رغب إليه المأمون أن يصنف كتاباً يجمع فيه أصول النحو، وأحاطه بالخدم ليقوموا على شؤونه ولئلا ينشغل بشيء سوى العلم، وأفرد له حجرة، وبعد سنتين أنجز كتابه الموسوم بـ «الحدود».

له التصانيف النفيسة التي لا يوازَى بها، وكان يُمْلي كتبه إملاءً من محفوظاته من دون أن ينظر في كتاب، ومن أهمها: «معاني القرآن» و«البهيّ والمذكر والمؤنث» و«الحدود» و«الفاخر» و«المنقوص والممدود» و«اللغات» و«المصادر في القرآن الكريم» و«النوادر».

ويأتي كتابه «معاني القرآن» على رأس مصنفاته، أملاه على أصحابه بناء على طلب صاحبه عمر بن بُكير، وضح فيه ما يسأل عنه من آي الكتاب العزيز وجمع فيه أصولاً

23-7/4، وفيات الأعيان، ص: 225/5-229، بغية الوعاة، ص: 333/2، إبراهيم عبد الله "الفراء" الموسوعة العربية، ص: 336/14.

[73] إذا قلت "أكلت السمكةَ حتى رأسُها" فما بعد حتى مبتدأ خبره محذوف تقديره مأكول وحتى ابتدائية، وإذا قلت "أكلت السمكةَ حتى رأسَها" فما بعد حتى معطوف على ما قبلها وحتى حرف عطف بمعنى الواو، وإذا قلت "أكلت السمكةَ حتى رأسِها" فما بعد حتى مجرور بها وهي حرف غاية وجرّ بمعنى إلى.

نحوية، وعمل فيه على إعراب القرآن وتفسيره وذكر اللغات والقراءات المتعلقة به، ويظهر فيه علمُه باللغة والقراءات وتقليب الأوجه الإعرابية المستندة إلى كلام العرب، والحسُّ اللغويّ الصافي والذوق العربي السليم اللذان حُبِيَ بهما.[74]

- **الأحمر (194هـ):**

علي بن المبارك الأحمر النحويّ[75]، وهو أحد من اشتهر بالتقدم في النحو واتساع الحفظ، ومن أشهر نحاة الطبقة الثالثة في المدرسة الكوفية. نشأ في البصرة ثم رحل إلى بغداد، حيث عمل في البداية جُندِياً لدى الخليفة الرشيد، ومن ثم مال إلى العلم، وكان يراقب الكسائي إذا حضر عند الرشيد فيسير خلفه متى ما فرغ من نوبته يستمع إلى حديثه ويناقشه في المسائل حتى صار واحداً من أصحابه، تولى تأديب الأمين عندما أصيب الكسائي بالبرص، بعد أن كان الكسائي هو الذي يتحمل تلك المسؤولية، كان بينه وبين الفراء والأصمعي منافسة، أملى الأحمر شواهد نحوية واجتمع عليه الطلاب، صنّف كتاب «التصريف»، توفِي في طريق الحج في سنة 194هـ.

- **اللِّحْياني (220هـ):**

هو أبو الحسن علي[76] بن المبارك، لُقِّب باللحياني نسبة إلى بني لِحْيان بن هُذَيْل، وقيل سُمّي بذلك لعظم لحيته، أخذ عن الكسائي والفرّاء والأحمر، اشتهر بالنوادر وله كتاب بهذا الاسم، من نوادره أنّه حكى عن بعض العرب أنّهم يجزمون بلَنْ وينصبون بلَمْ وأنّ قراءة من قرأ {ألم نشرحَ لك صدرك} بفتح الحاء هي على هذه اللغة.

---

[74] إبراهيم عبد الله، "نظرات في كتاب معاني القرآن للفراء"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 78، الجزء 2، ص: 414-415.

[75] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 89، طبقات النحويين ص: 134، نزهة الألباء، ص: 97، معجم الأدباء، ص: 5/13، إنباه الرواة، ص: 313/2، بغية الوعاة، ص: 158/2

[76] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 89، طبقات النحويين ص: 195، نزهة الألباء، ص: 176، معجم الأدباء، ص: 106/14، إنباه الرواة، ص: 155/2، بغية الوعاة، ص: 185/2.

3- طور النضج والكمال

يبدأ هذا الدور من عهد كل من الجرمي البصري (225هـ) وابن سعدان الكوفي (231هـ) إلى عهد المبرد (285هـ) وثعلب (291هـ) ويوجد في هذا الطور طبقتان لكل من البصريين السادسة والسابعة، والكوفيين الرابعة والخامسة.

وهذا الطور كان ملتقى علماء النحو في بغداد، إذ هاجروا من البصرة والكوفة إلى بغداد بسبب الاضطرابات، فدخلت بغداد ميدان دراسة النحو مع البصرة والكوفة، وكان يجتمع الفريقان فتحدث بينهما المناظرات والمنافسات والأحقاد، واجتهد كل فريق في تأييد مذهبه، وإن خفت بعد ذلك حدة العصبية، وهدأت بعد المبرد وثعلب. وكان الترجيح بين المذهبين من أهم خصائصه.

وقد انفصلت في هذا الطور المباحث النحوية عن الصرفية فأصبح لكلٍّ مبحث مستقل، وأول من سلك هذا الطريق المازني (247هـ) حيث ألف في الصرف وحده وإن تعددت المسالك بعده في المباحث، فمنهم من سلك مسلكه فألف في الصرف وحده، ومنهم من خلط بين الاثنين إلا أنه قدم النحو أولاً، ثم تحدث عن الصرف بعد ذلك وهذا الاتجاه هو المسيطر. كما أكملوا ما فات السابقين ففصّلوا ما أجملوا وبسطوا ما أبهموا فأكملوا التعريفات وهذّبوا الاصطلاحات.

ألف في هذا الطور كثير من المؤلفات التي تحكي المسائل الخلافية بين المذهبين ففتحت الأبواب بعد ذلك للمؤلفين في هذا النوع من الموضوعات.[77]

ومن أعلام هذا الطور من المدرسة البصرية الطبقة السادسة الجرمي (225هـ) والمازني (247هـ) والرياشي (257هـ) ومن الطبقة السابعة المبرد (285هـ). أما من المدرسة الكوفية الطبقة الرابعة فابن سعدان (231هـ) وابن السكيت (244هـ)، ومن الطبقة الخامسة ثعلب (291هـ).

[77] محمد الشاطر، المرجع السابق، ص: 71-85.

الطبقة البصرية السادسة

- **الجَرْمِي (225هـ):**

أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي[78] بالولاء نسبة إلى قبيلة جرم بن ربان اليمنية، فقيه، عالم بالنحو واللغة من أهل البصرة، قدم إلى بغداد، وسكن فيها مدة، ناظر الفراء بها. اتصف الجرمي بأنه ديّن ورع، صادق، حسن المذهب، صحيح الاعتقاد، مات في خلافة المعتصم.

أخذ النحو عن الأخفش الأوسط وغيره، ولقي يونس بن حبيب وقد ألف عدداً من الكتب في هذا العلم أجاد فيها أيما إجادة، فهو مناظر جيد، ولكثرة مناظراته في النحو، ورفع صوته فيها سمي بالنبّاج، فإنّ النبّاج هو الرفيع الصوت.

أخذ اللغة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وغيرهم، حتى صار علماً وعالماً باللغة حافظاً لها، وقد قرأ ديوان الهذليين على الأصمعي.

ألَّف الجرمي عدداً من الكتب في علوم النحو واللغة وغيرهما، وانفرد بهذه المؤلفات عن غيره، وتميَّز بما أورده فيها. فقد ألف كتاباً في «الأبنية» وآخر في «العروض» وثالثاً في «السير» ووصف كل من ترجم للجرمي هذا الكتاب بأنه كتاب في «السير» عجيب لما حواه.

عُنِيَ الجرمي بكتاب سيبويه عناية كبيرة، فقد قرأه واختصره، ووجد أن فيه غوامض تحتاج تفسيراً وتوضيحاً، ووجد فيه غرائب جديرة بالشرح. فخرج من دراسة الكتاب بكتابين:

الأول: مقدمة في النحو تعرف بـ«المختصر» أو «الفرخ» والفرخ يقصد به فرخ كتاب سيبويه، وهذا هو الكتاب الذي اختصر فيه كتاب سيبويه.

---

[78] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 75، أخبار النحويين، ص: 72، طبقات النحويين ص: 74، تاريخ بغداد، ص: 313/9-315، نزهة الألباء، ص: 143-145، معجم الأدباء، ص: 5/12-6، إنباه الرواة، ص: 80/2-83، وفيات الأعيان، ص: 485/2-487، بغية الوعاة، ص: 8/2-9، شوقي المعري "الجرمي" الموسوعة العربية، ص: 560/7.

الثاني: شرح غريب سيبويه، وهذا هو الكتاب الذي لقي إعجاباً من معاصريه ومن جاء بعدهم، إذ إنه أتى فيه بما لم يأت به غيره. قال المبرد: «إن الجرمي كان أثبت القوم في كتاب سيبويه وقرأت عليه الجماعة».

لقيت جهود الجرمي النحوية تقديراً كبيراً من العلماء واللغويين، فوصف بصفات كثيرة في علمه هذا، وقورن بالمازني لكنه كان أغوص في الاستخراج من المازني، وإليهما انتهى علم النحو في زمانهما.

- **المازِني (247هـ):**

أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان المازني[79]، من بني مازن بن شيبان، النحوي البصري، عُدَّ إمام وقته في الآداب والنحو، ونظر إليه على أنه بعد سيبويه في العربية، واشتدَّ حبه لكتاب سيبويه، وقرأه على الأخفش الأوسط وكان يقول: "من أراد أن يصنف كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِي"، وكان من نحاة البصرة المنظور إليهم الذين ينهجون منهج المذهب البصري في النحو، وإلى جانب علمه بالنحو اتسع في الرواية وقبلت روايته لصدقه وعدله وثقته، نزل بغداد في أيام أمير المؤمنين المعتصم، وأخذ عنه أهلها.

والمازني من النحويين الذين يشبَّهون بالفقهاء، وكان يرى أن العلم كلَّه هو الفقه، قرأ القرآن على يد يعقوب بن إسحاق الحضرمي وأثنى عليه، عرف بحذقه وجودة ذهنه، اشتهر بقوته في المناظرة وقدرته على الكلام، ولم يناظر أحداً إلا غلبه، ومن الذين ناقشهم وناظرهم الأخفش وكان ماهراً بعلم الكلام ومتمكناً في النحو، وناظر العلماء في هذين العلمين، فإذا ناقش أصحاب الكلام تفوق، وإذا ناظر النحويين تغلب عليهم، وكان يفصل بين علمي الكلام والنحو في مناظراته، فلا يتكلم على النحو إذا تحدث في علم الكلام، ولا يتعاطى النحو إذا تكلم على علم الكلام.

---

[79] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 77-80، أخبار النحويين، ص: 74، طبقات النحويين ص: 87-93، تاريخ بغداد، ص: 93/7، نزهة الألباء، ص: 182-187، معجم الأدباء، ص: 107/7-128، إنباه الرواة، ص: 281/1-291، وفيات الأعيان، ص: 283/1-286، بغية الوعاة، ص: 463/1-466، إبراهيم عبد الله "المازني" الموسوعة العربية، ص: 478/17.

وتلقَّى عنه أبو العباس المبرد وانتفع بعلمه، والفضل بن محمد اليزيدي، وعبد الله بن أبي سعد الورَّاق وموسى بن سهل الجَوْنيّ. عرف المازني بلين عريكته وترفقه بتلاميذه، وحرصه على أن يظهر بالمظهر الحسن وتعهَّد نفسه لذلك.

له كتب كثيرة منها كتاب «ما تلحن فيه العامة» وكتاب «الألف واللام»، وكتاب «التصريف»، وكتاب «العروض» وكتاب «القوافي»، وكتاب «علل النحو».

ومن أشهر كتبه كتاب «التصريف»، ويكتسب هذا الكتاب أهميته من أنه أول كتاب يقصره صاحبه على علم الصرف، وذلك فيما انتهى إلينا من المؤلفات الصرفية؛ إذ كان النحو قبل هذا الكتاب ممزوجاً بالصرف، ولا يفصل عنه بكتاب مستقل، فكتاب التصريف مظهر واضح للفصل بين علمي النحو والصرف، ولم يخرج المازني في مصنفه هذا عما ذكره سيبويه من أبواب الصرف، وترسَّم خطاه.

تكلم في هذا الكتاب على أبنية الصحيح، من مثل أبنية الأسماء والأفعال الثلاثية التي لا زيادة فيها، وأبنية الأسماء والأفعال الرباعية التي لا زيادة فيها، والأسماء الخمسة التي على خمسة أحرف ولا زيادة فيها، وتحدث عن أحرف الزيادة وعن المعتل، وعما قيس من المعتل ولم يأت مثاله إلا من الصحيح، وعن المواضع التي تقلب فيها تاء «افتعل» عن أصلها ولا يُتكلم بها على الأصل البتة، وهو في مجمل كتابه لم يزد عما جاء في كتاب سيبويه ولم يحد عن منهجه. وقد شرح هذا الكتاب أبو الفتح عثمان بن جني في كتاب سماه «المنصف»، ولهذا الشرح منزلة عالية في علم الصرف وأهمية كبرى إذ يعد مصدراً لا مندوحة عنه في هذا العلم، وعوّل عليه علماء الصرف والباحثون والدارسون فيما بعد.[80]

- **الرِّياشي (257هـ):**

أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي[81]، مولى محمد بن سليمان الهاشمي. وسمي بالرياشي لأن أباه كان عند رجلٍ يقال له رياش فبقي عليه نسبه. من كبار النحاة وأهل اللغة،

---

[80] انظر من أجل كتاب التصريف للمازني وشرحه المنصف في: ابن جني، المنصف في شرح التصريف، 3 ج، ط 1، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية، 1954.

[81] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 75، أخبار النحويين، ص: 89، طبقات النحويين ص: 97-99، تاريخ بغداد، ص: 138/12-140، نزهة الألباء، ص: 199، معجم الأدباء، ص: 44/12-46، إنباه الرواة، ص: 367/2-374، بغية الوعاة، ص: 27/2،

راوية للشعر وعالم بأيام العرب. واعتبره ياقوت الحموي «ثقةً فيما يرويه» في كتابه معجم الأدباء.

أخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة معمر بن المثنى. كان يحفظ كتب الأصمعي وكتب أبي زيدٍ. وقرأ عليه المازني النحو واللغة. قال المبرد: "سمعت المازني يقول: قرأ الرياشي عليَّ كتاب سيبويه فاستفدت منه أكثر مما استفاد مني، يعني أنه أفادني لغته وشعره وأفاده هو النحو". وأخذ عنه أبو العباس المبرد وابن دريد، وروى عنه ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي.

وله تصانيف منها: «الخيل»، و«الإبل»، و«ما اختلفت أسماؤه من كلام العرب»، وغير ذلك. مات مقتولاً في واقعةٍ الزنج بالبصرة في خلافة المعتمد سنة سبعٍ وخمسين ومائتين.

الطبقة الكوفية الرابعة

- **ابن سعدان (161هـ/231هـ):**

أبو جعفر محمد بن سعدان الكوفي الضرير[82]، هو نحويٌّ ومُقرِئ، وُلِدَ في الكوفة وترعرع وعاش صباه فيها، وأخذ عن علمائها النحو على المذهب الكوفي، وصار بعد ذلك واحداً من أساتذة النحو الكوفي ومن رؤساء الطبقة الرابعة من النحاة الكوفيين. أخذ العلم عن هشام بن معاوية الضرير، وتتلمذ لديه ابن المرزبان. إلى جانب معرفته بالنَّحو اشتهر باهتمامه بالقراءات القرآنية، بحث في قراءات أهل مكة والمدينة وقارن الاختلاف بينهما، وكان يقرأ على قراءة خلف عن حمزة، توفِّي ابن سعدان في عيد الأضحى من العام 231هـ، أثناء خلافة الواثق بن المعتصم.

[82] طبقات النحويين ص: 139، الفهرست، ص: 75، تاريخ بغداد، ص: 324/5، نزهة الألباء، ص: 154، معجم الأدباء، ص: 201/18-202، إنباه الرواة، ص: 140/3، بغية الوعاة، ص: 111/1.

- **ابن السكيت (186هـ/244هـ)**

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، إمام في اللغة والأدب، لقب بابن السِّكِّيت[83] لأن أباه كان كثير السكوت وهو من بلاد فارس، ولد في بغداد. وهو واحد من علماء اللغة بل من أشهرهم، وكان عالماً بلغات العرب وأشعارها وأمثالها وكلامها، ولم يكن ابن السكيت يعَدُّ في عداد النحويين المشهورين، ولم يَسْعَ إلى أن يكون عالماً في النحو، لأنه كان ينظر إلى هذا العلم على أنه وسيلة للنطق بكلام خالٍ من اللحن والخطأ، ودعا إلى طرح الغامض من مسائل النحو وإبعاده، على أنه لم يكن جاهلاً بمسائل هذا العلم، بل كان يضع يده عليها وعلى مصطلحاتها، وآثر أن تكون ثقافته ثقافة أدبية، قال: «خذ من الأدب ما يعلق بالقلوب وتشتهيه الآذان، وخذ من النحو ما تقيم به الكلام ودع الغوامض».[84]

اصطبغت مصنفات ابن السكيت بالصبغة اللغوية، فجاءت كلها مختصة باللغة، ولم يؤلف في النحو والصرف لأنه ـ كما سلف ـ يرى أنهما وسيلة لفهم الكلام والنطق القويم، وتبدو أهمية مصنفاته في أنها تحتوي علم من سبقه من اللغويين من مثل الفراء والأصمعي وأبي عمرو الشيباني وأبي عبيدة معمر ابن المثنى.

وكان لكتبه أثر بالغ في مؤلفات من جاء بعده، فقد استفادوا منها وضمنوها مؤلفاتهم، ولاسيما معاجم اللغة نحو «تهذيب اللغة» لأبي منصور الأزهري، و«لسان العرب» لابن منظور الإفريقي.

ومن أشهر الكتب اللغوية التي صنفها: «إصلاح المنطق» و«المقصور والممدود» و«الإبدال» و«كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ» و«الأضداد» و«القلب والإبدال».

وأكثر هذه الكتب أهمية هو «إصلاح المنطق»، إذ تظهر فيه رغبة ابن السكيت في وضع قوانين تضبط اللغة، ويمكن أن نسميها «قواعد لغوية» أو «كليات لغوية»، ويعد هذا الكتاب أول كتاب لغوي تصدَّى للتغيُّر الذي طرأ على العربية من حيث الأصوات والبناء

---

[83] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 95-96، طبقات النحويين ص: 202، الفهرست، ص: 72-73، تاريخ بغداد، ص: 273/14-274، نزهة الألباء، ص: 138-140، معجم الأدباء، ص: 50/20-52، إنباه الرواة، ص: 56/4-63، وفيات الأعيان، ص: 395/6-401، بغية الوعاة، ص: 349/2، إبراهيم عبد الله "ابن السكيت" الموسوعة العربية، ص: 36/11.

[84] معجم الأدباء، ص: 22/1.

والدلالة، فقد توخى منه ابن السكيت معالجة ما تسرب إلى العربية من الخطأ واللحن في الأبنية والدلالة والألفاظ، وذلك بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب وانتشار الإسلام.[85]

الطبقة البصرية السابعة

- **المبرِّد (210هـ/285هـ)**

محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المعروف بأبي العباس المبرِّد[86]. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد، وقد لقيت (راء) المبرد حظّاً من عناية الباحثين الذين ساقوا قصصاً عن فتحها وكسرها، والأرجح فيها هو الكسر. تلقى العلم عن أشياخ عصره، فقرأ كتاب سيبويه على الجرمي، وختمه على المازني.

وقد كانت بينه وبين ثعلب خصومة، ويذكر أن المبرِّد كان منافساً قوياً لثعلب، اقتحم عليه عرينه، وقد كان بينهما من التفاوت في الفصاحة والبيان ما جعل كثيراً من تلاميذ ثعلب يتركون صحبته، ويقبلون على المبرِّد، كما فعل الزجّاج عند قدوم المبرِّد إلى بغداد. ومع ذلك فقد أثنى المبرِّد على ثعلب فقال: أعلم الكوفيين ثعلب. وأمّا تلاميذه فأبرزهم الزجّاج الذي انتهت إليه رئاسة النحو البصري بعد المبرِّد. ومنهم الأخفش الأصغر وأبو بكر بن السراج وابن كيسان.

ومن أشهر مؤلفاته: كتاب «الكامل» وهو صورة صادقة لما في نفسه من معارف، وما تثقف به من ثقافات في اللغة والنحو والأدب. و«المقتضب» وهو أول كتاب عالج مسائل النحو والصرف بأسلوب واضح وعبارة مبسوطة، وقد ألفه في زمن شيخوخته بعد أن اكتمل نضجه العقلي، وعمق تفكيره، واستوت ثقافته، لذلك كان أنفس مؤلفاته، وأنضج ثمراته، وقد احتفل فيه بالمسائل التطبيقية، فعقد لها أبواباً كثيرة. وقد تأثر المبرِّد بكتاب سيبويه، فكان تأثره

---

[85] ابن السكيت، إصلاح المنطق، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ص: 11-12.

[86] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 83، أخبار النحويين، ص: 97-107، طبقات النحويين ص: 109-120، الفهرست، ص: 93، تاريخ بغداد، ص: 3/380-387، نزهة الألباء، ص: 217، معجم الأدباء، ص: 19/111-122، إنباه الرواة، ص: 3/241-253، وفيات الأعيان، ص: 2/441-447، بغية الوعاة، ص: 1/269، محمد موعد "المبرد" الموسوعة العربية، ص: 17/628.

فيه كبيراً جداً، فقد ذكر الخليل وسيبويه في «المقتضب» في مواضع تزيد على المئة، وقد تغلغل تأثير سيبويه في أعماق هذا الكتاب .[87]

ومن مصنفاته الأخرى: «المذكر والمؤنث»، و«التعازي والمراثي» و«الاشتقاق» و«الاعتنان» وموضوعه بيان أسباب التهاجي بين جرير والفرزدق، و«الأزمنة» و«إعراب القرآن» و«طبقات النحاة البصريين» و«شرح ما أغفله سيبويه»، و«الاختيار» و«أدب الجليس» و«أسماء الدواهي عند العرب»، و«التصريف» و«احتجاج القرأة» و«ضرورة الشعر» و«معنى كتاب سيبويه» و«معنى كتاب الأوسط»، وغير ذلك.

الطبقة الكوفية الخامسة

- **ثعلب (200هـ/291هـ)**

أبو العباس أحمد بن يحيى، البغدادي النحوي، الشيباني مولى مَعْن بن زائدة، المعروف بثعلب[88]، شيخ العربية وإمام الكوفيين في النحو واللغة والحديث. كان راوية للشعر. ومحدّثاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر القديم، مقدماً عند الشيوخ منذ حداثته.

وتلقى ثعلب العلم على كثيرين من جلَّة العلماء وأئمة الأدباء؛ منهم محمد بن سلام الجمحي ومحمد بن زياد الأعرابي، وسلمةُ بن عاصم، وأبو عبيد القاسم بن سلام. وأمَّا تلاميذه فكثير منهم محمد ابن العباس اليزيدي، والأخفش الأصغر، وإبراهيم بن محمد نفطويه، وأبو بكر بن الأنباري.

وكان مع اشتغاله بعلوم العربية لا يزال به حنينٌ ينازِعه إلى علوم الدين، قال أبو بكر بن مجاهد: كنت عند أبي العباس بن يحيى ثعلب، فقال لي: «يا أبا بكر اشتغلَ أصحابُ القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمروٍ،

---

[87] أبو العباس المبرد، المقتضب، 4 ج، ط 3، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1994، ص: 1/7-9.

[88] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 95-96، طبقات النحويين ص: 141-150، الفهرست، ص: 116، تاريخ بغداد، ص: 5/204-212، نزهة الألباء، ص: 228، معجم الأدباء، ص: 5/102-146، إنباه الرواة، ص: 1/173-186، وفيات الأعيان، ص: 1/151-153، بغية الوعاة، ص: 1/396، أيمن الشوا "ثعلب" الموسوعة العربية، ص: 7/302.

فليت شعري! ماذا يكون حالي في الآخرة؟» فانصرفت من عنده فرأيت تلك الليلة النبيَّ في المنام فقال: «أقرئ أبا العباس منّي السَّلام وقل له: إنك صاحب العلم المستطيل» أراد أنَّ الكلام به يكمل، والخطاب به يجمل. وجميع العلوم مفتقرة إليه.

حفظ التاريخ لأبي العباس أكثر من أربعين مؤلفاً في فنون العربية والقرآن، منها: «كتاب الفصيح»، «قواعد الشعر»، «شرح ديوان زهير»، «شرح ديوان الأعشى»، «النوادر، التصغير»، «إعراب القرآن»، «المجالس» وتسمَّى «أمالي ثعلب» وهي مباحثُ كان يمليها ثعلب على طلابه، فيتلقفونها بالتقييد في دفاترهم. وفيها موضوعات شتَّى من علوم العربية كالحديث عن أدوات المعاني وتفسير الغريب من الشعر العربي، والحديث عن المباحث الصرفية، وفي الكتاب قدرٌ صالح من تفسير القرآن الكريم وإعرابه، وتوضيح لغة الحديث الشريف ونحو ذلك. وهذا الكتاب من أهمّ الوثائق العلمية في بيان مذهب أهل الكوفة وما يقابله أحياناً من آراء أهل البصرة .[89]

[89] أبو العباس ثعلب، مجالس ثعلب، مجلدان، ط 2، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1960، ص: 24.

وجوه الخلاف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة

وقد اتجهت كل مدرسة وجهة خاصة في أساليب البحث النحوي وطرق الاستنباط ومبلغ الاعتداد بالشواهد وغير ذلك، ونشأ عن هذا أن أصبح لكلّ منهما طابع خاص وتباعدت بينهما على الزمان مسافة الخلاف في كثير من المسائل. ولهذا الخلاف أسباب ذكرناها سابقاً مثل تباين المدينتين في الموقع الجغرافي، وفي ميول السكّان وطباعهم، وفي درجة الصفاء في العروبة، وفي منهج البحث الذي سارت عليه كلّ منهما.

أُلِّفَ كثير من المؤلفات التي تتناول المسائل الخلافية بين المدرستين، وفتحت الأبواب للمؤلفين في هذا النوع من الموضوعات. ومن هذه الكتب «المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين» لأبي جعفر النحاس (338هـ)، وكتاب «الاختلاف» لعبيد الله الأزدي (348هـ) وكتاب «الخلاف بين النحويين» للرمّاني (384هـ) وكتاب «كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين» لابن فارس (395هـ) وكتاب «الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين» لأبي البركات الأنباري (577هـ). وكتاب «الإنصاف» هو الذي اشتهر في هذا الموضوع، لقد جمع الأنباري مئة وإحدى وعشرين مسألة وشرحها بالتفصيل. وفيما يأتي طائفة من مسائل الخلاف بين المدرستين:

- الاختلاف في أصل اشتقاق الاسم: ذهب الكوفيون إلى أنّ الاسم مشتقّ من الوَسْم وهو العلامة، وذهب البصريون إلى أنّه مشتقّ من السُمُوّ وهو العُلُوّ.[90]
- القول في عامل النصب في المفعول: ذهب الكوفيون إلى أنّ العامل في المفعول النصبَ الفعل والفاعل جميعاً نحو "ضرب زيدٌ عمراً"، وذهب البصريون إلى أنّ الفعل وحده عمل في الفاعل والمفعول جميعاً.[91]

[90] كمال الدين الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، جزآن، دار الفكر، ص: 1/6-16.

[91] المصدر نفسه، ص: 1/78-81.

- القول في "نِعْمَ وبِئْسَ"، أفعلان هما أم اسمان؟ ذهب الكوفيون إلى أنّ "نِعْمَ وبِئْسَ" اسمانِ مبتدآنِ وذهب البصريون إلى أنّهما فعلان ماضيان لا يتصرّفان.[92]
- القول في "أفعَلَ" في التعجّب، أسم هو أم فعل؟ ذهب الكوفيون إلى أنّ "أفعَلَ" في التعجّب نحو "ما أحْسَنَ زيداً!" اسم، وذهب البصريون إلى أنّه فعل ماض.[93]
- القول في تقديم معمول خبر "ما" النافية عليها: ذهب الكوفيون إلى أنّه يجوز "طعامَكَ ما زيدٌ آكلاً"، وذهب البصريون إلى أنّه لا يجوز.[94]
- القول في رافع الخبر بعد "إنّ" المؤكّدة: ذهب الكوفيون إلى أنّ " إنّ " وأخواتها لا ترفع الخبر، نحو "إنَّ زيداً قائمٌ" وما أشبه ذلك، وذهب البصريون إلى أنّها ترفع الخبر.[95]
- القول في لام "لعلّ" الأولى، زائدة هي أو أصلية؟: ذهب الكوفيون إلى أنّ اللام الأولى في "لعلّ" أصلية، وذهب البصريون إلى أنّها زائدة.[96]
- القول في أصل الاشتقاق، الفعل هو أو المصدر؟ ذهب الكوفيون إلى أنّ المصدر مشتقّ من الفعل وفرع عليه، وذهب البصريون إلى أنّ الفعل مشتقّ من المصدر وفرع عليه.[97]
- "حَاشَى" في الاستثناء، فعل أو حرف أو ذات وجهين: ذهب الكوفيون إلى أنّ "حاشَى" في الاستثناء فعل ماض، وذهب بعضهم إلى أنّه فعل استُعمل استعمالَ الأدوات، وذهب البصريون إلى أنّه حرف جرّ، وذهب المبرِّد إلى أنّه يكون فعلاً ويكون حرفاً.[98]

---

[92] المصدر نفسه، ص: 1/97-126.
[93] المصدر نفسه، ص: 1/126-148.
[94] المصدر نفسه، ص: 1/172-173.
[95] المصدر نفسه، ص: 1/176-185.
[96] المصدر نفسه، ص: 1/218-227.
[97] المصدر نفسه، ص: 1/235-245.
[98] المصدر نفسه، ص: 1/278-287.

- القول في نداء الاسم المحلَّى بأل: ذهب الكوفيون إلى أنّه يجوز نداء ما فيه الألف واللام نحو "يا الرجل، ويا الغلام"، وذهب البصريون إلى أنّه لا يجوز.[99]

جدول بأهم مصطلحات بصرية وما يقابلها من مصطلحات كوفية[100]

مصطلحات بصرية	مصطلحات كوفية
اسم الفاعل	اسم الدائم
الضمير	المكنَّى أو الكناية
ضمير الشأن	المجهول
ضمير الفصل	العماد
الظرف	الصفة أو المحل
البدل	الترجمة
التمييز	التفسير
لا النافية للجنس	لا التبرئة
الصفة	النعت
العطف	عطف النسق
حروف النفي	حروف الجحد
ما يتصرّف وما لا يتصرّف	ما يجري وما لا يجري
لام الابتداء	لام القسم
حروف الجر	حروف الخفض
الفعل المبني للمجهول	الفعل الذي لم يسمّ فاعله
التوكيد	التشديد
الحال	القطع

[99] المصدر نفسه، ص: 1/335-340.

[100] شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص: 166-167.

4- طور الترجيح

وهو الطور الأخير من الأطوار التي مر بها النحو العربي. وقد حمل لواء النحو في هذا الطور المدرسة البغدادية والأندلسية والمصرية. قد بدأ هذا الطور من أوائل القرن الرابع الهجري ويمتد إلى أن يقبض الله من على الأرض من مجتهدي علم النحو.

المدرسة البغدادية

نشأ النحو في أحضان البصرة والكوفة كما ذكرنا، وتطور على أيدي العلماء الخالفين من كلا البلدين حتى وصل الى درجة عالية من النضج والاستقرار، وذهبت البصرة بالشهرة الكبرى في الميدان، لكن الكوفة نافستها بحق وبخاصة آخر عهد المدرستين، حيث تصدر لإمامة البصرة محمد بن يزيد المبرِّد، ورأس علماء الكوفة أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب. وشهدت بغداد نشاطاً حياً في حلقتي هذين العالمَين الجليلَين، واشتدّ بينهما الصراع، وكثرت المناظرات مما جعل الدارسين يُقبلون عليهما ويأخذون عنهما معاً، ثم يتخيرون من هذا ومن ذاك ما يراه كل واحد مناسباً لتفكيره واتجاهه .

ازدهر هذا النشاط أواخر القرن الثالث، وما كاد القرن الرابع يبدأ حتى أخذت مدرسة بغداد تتميز بمنهجها الخاص. ولم يكن هذا المنهج جديداً من حيث الأسس أو طرائق الاستنتاج، ولكنه منهج ينبني على الانتقاء من المدرستين البصرية والكوفية، مع ميل إلى المدرسة الكوفية حيناً وإلى المدرسة البصرية أحياناً. وأخذت هذه المدرسة بالتعديلات الكثيرة إذ يظهر أن علماءها عندما وجدوا أن أسس النحو ومصطلحاته وقواعده قد اتخذت شكلها النهائي على يد علماء البصرة والكوفة رأوا أنه لم يبق أمامهم للاستزادة سوى التعديلات .[101]

كانت القواعد التي عوّلت فيها المدرسة البغدادية على المدرسة البصرية كثيرة، حتى عدَّ البعض هذه المدرسة امتداداً لها. فمعظم علمائها اتبعوا البصريين ورجّحوا قواعدهم. أما القواعد التي عوّلوا فيها على الكوفيين فقليلة.

وقد اختلفت مشارب علماء هذه المدرسة تبعاً لمَن تتلمذوا عليه، فمنهم من أخذ عن البصريين فغلبت النزعة البصرية عليهم، ومنهم من أخذ عن الكوفيين فغلبت النزعة الكوفية

[101] عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص: 159-190.

عليهم، ومنهم من أخذ عن المذهبين ورجّح آراءهم المختلفة المتباينة فكانوا قد تحرّروا من قيود العصبية. ونذكر ما للبغداديين من هذه المجموعات.

- والبغداديون الذين تحرّروا من قيود العصبية: ابن قتيبة (276هـ) وابن كيسان (299هـ) والأخفش الأصغر (315هـ).
- البغداديون أصحاب البصريين: الزجاج (311هـ) وابن السراج (316هـ) والزجاجي (339هـ) وابن درستويه (347هـ) والسيرافي (368هـ) والفارسي (377هـ) وابن جني (392هـ) والزمخشري (538هـ).
- والبغداديون أصحاب الكوفيين: ابن الأنباري (327هـ) وابن خالويه (370هـ).

البغداديون الذين تحّرروا من قيود العصبية

- **ابن قتيبة (276هـ):**

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري[102]، عالم وفقيه وأديب ونحوي ولغوي، ولد في مدينة الكوفة إلّا أنّه لم يبقَ فيها وقتاً طويلاً؛ حيث انتقل وهو صغير السنّ إلى بغداد، فنشأ فيها، وأخذ العلم عن علمائها، وعاش معظم أيّامه فيها، كما أنّه عاش فترة ولايته القضاء في دينور ونُسِب إليها.

قضى ابن قتيبة معظم أيّام حياته في مدينة بغداد حيث اجتمع علماء البصرة والكوفة، وتعلَّم منهم الكثير من العلوم، كالحديث والفقه والتفسير واللغة والأدب والنحو والتاريخ وغيرها، وكان منهم: أبو حاتم السجستانيّ الذي أخذ عنه النحو واللغة والقراءات، وأبو الفضل الرياشيّ الذي أخذ عنه اللغة والشِّعر، والقاضي يحيى بن أكثم، والجاحظ، وغيرهم الكثير من العلماء، وكان ابن قتيبة يُعَدُّ إمام المدرسة البغداديّة التي تجمع بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة.

تعدَّدت مُؤلَّفات ابن قتيبة وكُتبه، كما تعدَّدت مواضيعها؛ حيث اشتملت على مواضيع الدين والأدب واللغة والتاريخ، ومن أشهرها: «مشكل القرآن»، و«تفسير غريب القرآن»،

[102] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 84-85، طبقات النحويين ص: 183، الفهرست، ص: 77، تاريخ بغداد، ص: 170/10، نزهة الألباء، ص: 209، إنباه الرواة، ص: 143/2-147، وفيات الأعيان، ص: 42/3-44، بغية الوعاة، ص: 63/2، شذرات الذهب، ص: 169/2.

و«إعراب القرآن»، و«غريب الحديث»، و«جامع النحو الكبير»، و«جامع النحو الصغير»، و«كتاب الأنواء»، و«كتاب المعارف»، و«عيون الأخبار»، و«فضل العرب»، و«أدب الكاتب»، و«الشعر والشعراء»، و«عيون الشعر»، وغيرها الكثير.

- **ابن كيسان (299هـ):**

أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان[103]، النحوي اللغوي، و«كيسان[104]» لقب جده إبراهيم، وقيل: لقب أبيه. هو من طبقة الزجاج وأساتذته هم أساتذة الزجاج أيضاً، فقد أخذ النحو عن عَلَمَين من أعلام البصرة والكوفة؛ هما المبرد البصري وثعلب الكوفي، ولذا وصفه معاصروه بأنه كان يحفظ مذهب البصريين والكوفيين في النحو.

وقد أشار القدماء إلى تردّده بين المذهبين الكوفي والبصري، فذكر السيرافي أنه كان يخلط بين المذهبين، وذكر أبو الطيب اللغوي أن ابن كيسان كان يختار أشياء من مذهب الفراء يخالف فيها سيبويه، وأنه كان يسأل المبرد عن مسائل، فيجيبه، فيعارضها بقول الكوفيين.

صنّف ابن كيسان طائفة من الكتب تدل أسماؤها على سعة ثقافته النحوية واللغوية بيد أنها فُقدت، ولا يُعرف عنها إلا أسماؤها، وهي: «المهذب في النحو»، «غريب الحديث»، «المذكر والمؤنث»، «المقصور والممدود»، «معاني القرآن»، «المختصر في النحو»، «المسائل»، «ما اختلف فيه البصريون والكوفيون»، «الفاعل والمفعول به»، «المختار في علل النحو».

- **الأخفش الأصغر (315هـ):**

أبو الحسن علي بن سليمان[105]، ولد في بغداد ثم أقام بمصر ما بين (287-305هـ)، ثم رجع ماراً بحلب في طريق عودته إلى بغداد. درس على المبرد وروى كتابه الكامل، كما

---

[103] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 87-88، طبقات النحويين ص: 153، الفهرست، ص: 81، نزهة الألباء، ص: 235، معجم الأدباء، ص: 137/17-141، إنباه الرواة، ص: 57/3-59، بغية الوعاة، ص: 18/1-19، نبيل أبو عمشة "ابن كيسان" الموسوعة العربية، ص: 670/16.

[104] اسم للغَدْر وللضَّرب على مؤخَّر الإنسان بظهر القدم.

[105] انظر في ترجمته: طبقات النحويين ص: 115، الفهرست، ص: 83، نزهة الألباء، ص: 248، معجم الأدباء، ص: 246/13-257، إنباه الرواة، ص: 276/2-278، وفيات الأعيان، ص: 301/3-303، بغية الوعاة، ص: 167/2-168، شذرات الذهب، ص: 270/2.

أخذ العلم عن ثعلب وغيره من علماء البصرة والكوفة، وشرح نوادر أبي زيد الأنصاري، وكان في النحو يمثل المدرسة البغدادية التي جمعت ما بين مدرستي البصرة والكوفة. وروى عنه أبو عبيد الله المرزباني والمعافى بن زكريا الجريري.

كان ثقة، إماماً في اللغة والأدب، ذكر المؤرخون له مصنفات منها: كتاب «الأنواء» وكتاب «التثنية والجمع» و«شرح كتاب سيبويه» وكتاب «المهذب» وكتاب «الاختيارين» جمع فيه مفضليات الضبي والأصمعيات، وعلق عليها شرحاً يفسر بعض الغريب ويوضح بعض المعاني البعيدة. أولع بمداعبة ابن الرومي الذي هجاه هجاء قبيحاً ثم مدحه بعد ذلك. مات فجأة في بغداد عن عمر يناهز الثمانين.

البغداديون أصحاب البصريين

- **الزجاج (311هـ):**

أبو إسحاق إبراهيم بن السَّريّ بن سهل، من أئمة العربية في النحو واللغة، ولد ومات في بغداد[106]، و(الزجّاج) لَقَبٌ غلب عليه لاشتغاله في مطلع حياته بخراطة الزجاج، وكان دخله من هذا العمل ضئيلاً لا يكاد يتجاوز الدرهمين، وتاقت نفسه، مع ما هو فيه من إقلال إلى التعلم ومعرفة اللغة، فاتصل بمجلس ثعلب وظل يستفيد منه حتى وفد المبرّد على بغداد، واتخذ له حلقة في المسجد، فانتقل الزجاج إلى حلقة المبرّد فلزمه، واستطاع في زمن قصير أن يُحَصّل علماً وافراً، حتى غدا من المقرّبين إلى أستاذه. فإن ما انتهى إلينا من أخباره العلمية ومؤلفاته يشهد بعلّو منزلته في العربية؛ نحوها ولغتها وأدبها، وهو من النحاة الذين درسوا أصول المذهبين الكوفي والبصري، أخذ الأول عن ثعلب، والثاني عن المبرد، إلا أنه آثر أن يختار مذهب هذا الأخير، وقد ظهر ذلك جلياً في مناظراته ومؤلفاته، مع وجود بعض الآراء التي تفرّد بها وخالف بها النحاة، مما يدل على قدرته في الاجتهاد.

---

[106] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 83، أخبار النحويين ص: 108، الفهرست، ص: 60، تاريخ بغداد، ص: 613/6-618، نزهة الألباء، ص: 244، معجم الأدباء، ص: 134/5-143، إنباه الرواة، ص: 194/1-201، وفيات الأعيان، 49/1-50، بغية الوعاة، ص: 411/1، نبيل أبو عمشة "الزجاج" الموسوعة العربية، ص: 264/10.

لم يتعلّم الزجاج من أستاذَيْه النحو فَحَسْب، بل أخذ عنهما اللغة والأدب والرواية، فالمبرد هو أيضاً صاحب «الكامل في اللغة والأدب»، وثعلب صاحب «المجالس» المشهورة، وهو الذي شرح طائفة من دواوين الشعراء المتقدمين، ولعلّ أهم ما أخذه الزجاج عن المبرّد هو قراءة كتاب سيبويه عليه، حتى قيل: إن المبرد لم يكن يُقرئ أحداً كتاب سيبويه حتى يقرأه على الزجاج ويصحح به كتابه.

وقد تنوعت مصنفات الزجاج بتنوع ثقافته، وأشهرها «معاني القرآن وإعرابه»، وهو من أجود كتب الأعاريب. والزجاج من أوائل النحاة الذين دعوا إلى ضرورة الربط بين المعنى والإعراب، ويتلخص منهجه في هذا الكتاب بإيراد الآية ثم التوقف عند بعض ألفاظها من جهة اللغة والإعراب، وإيراد ما يتصل بها من قراءات مستعيناً بالحجج والشواهد شعراً ونثراً، مع اهتمام ظاهر بلهجات العرب ومذاهب النحويين.[107]

وقد ترك كتاب «المعاني» للزجاج أثراً كبيراً فيمن جاء بعده من النحاة والمفسّرين والمعربين، وأول من توقف عنده تلميذه أبو علي، فأصلح ما فيه من مسائل وناقشه في بعضها في كتاب سمّاه «الإغفال»، وتوقف عنده المتأخرون كالزمخشري في «الكشاف» وأبي حيان في «البحر المحيط» والخازن والبغوي وابن هشام وغيرهم.[108]

وقد ذكرت كتب التراجم للزجاج غير «المعاني» عشرين كتاباً تقريباً طبع منها إضافة إلى الكتاب المذكور: «فَعَلْتُ وأفعلت» و«ما ينصرف وما لا ينصرف» و«تفسير أسماء الله الحسنى» ولا تزال كتبه الأخرى كـ «شرح أبيات سيبويه» و«المقصور والممدود» و«النوادر» و«الأمالي» و«الاشتقاق» و«خلق الإنسان» و«القوافي» و«العروض» و«حروف المعاني» بين مخطوط أو مفقود.

---

[107] أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 5 ج، ط 1، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1988، 1/21-22.

[108] المصدر السابق، 1/24-25.

- **ابن السراج (316هـ):**

أبو بكر محمد بن السِّرِّي المعروف بابن السرَّاج[109]، يُعدّ واحداً من نحاة البغداديين المبرّزين، نشأ في بغداد، وهو أحد أصحاب أبي العباس المبرِّد وتلاميذه المقرَّبين، وتلقَّى عليه النحو، وصحبه ولقي عنده ميلاً وترحيباً، وتولَّى الرئاسة في النحو بعد موته. ومن أشهر تلاميذه الذين أخذوا عنه النحو وروَوا عنه أبو القاسم الزَّجَّاجي وأبو سعيد السيرافي وأبو علي الفارسي وأبو الحسن الرُّمَّاني.

ترك كتباً كثيرة في اللغة والنحو، وأشهرها كتاب «الأصول في النحو»، وهو من الكتب التي اتسعت شهرتها واكتسبت سمعة عالية، ويأتي في الفضل بعد «الكتاب» لسيبويه و«المقتضب» للمبرِّد، ونزل في نفوس أهل العربية منزلة إعجاب وتقدير، وهو من أكبر مصنفات ابن السراج وأحسنها وأكثرها شمولاً استقى مادته من «الكتاب» لسيبويه، ورتَّبها ترتيباً جديداً حسناً، حتى صار مرجعاً يرجع إليه النحويون عند اضطراب النقل واختلافه.[110]

وهناك مصنفات أخرى لابن السراج في اللغة والقراءة والشعر من مثل كتاب «جمل الأصول» وكتاب «الموجز»، وهو صغير، وكتاب «الاشتقاق» وكتاب «شرح كتاب سيبويه» وكتاب «احتجاج القراء» وكتاب «الشعر والشعراء» وكتاب «الرياح والهواء والنار».

لم يقتصر على التعمُّق في العربية نحوها وصرفها، وإنما اطلع على العلوم الوافدة على الثقافة العربية في ذلك الوقت، ولاسيما علما المنطق والموسيقا، فقد اشتهر بهذين العلمين وشغل بهما عن النحو فترة من الزمن، إلا أنه عاد إلى النظر فيه، وتشير كتب التراجم إلى أنه هجر النحو وانكبَّ على علمي المنطق والموسيقا وأخذهما عن المعلم الثاني أبي نصر الفارابي (ت339هـ)، وأخذ الفارابي عنه النحو.

---

[109] انظر في ترجمته: مراتب النحويين، ص: 83، أخبار النحويين ص: 108-109، طبقات النحويين، ص: 122، الفهرست، ص: 62، تاريخ بغداد، ص: 5/319-320، نزهة الألباء، ص: 249، معجم الأدباء، ص: 18/197-200، إنباه الرواة، ص: 3/145-150، وفيات الأعيان، 4/339-340، بغية الوعاة، ص: 1/109-110، إبراهيم عبد الله "ابن السراج" الموسوعة العربية، ص: 10/788.

[110] أبو بكر محمد ابن السراج، الأصول في النحو، 3 ج، ط 3، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، 1/21-22.

عَدَّ ابن السراج نفسه مع النحاة البصريين، وقال بآرائهم، وسارت على لسانه مصطلحاتهم النحوية، واعتمد على أصولهم النحوية، ووقف إلى جانبهم في المسائل الخلافية بينهم وبين الكوفيين.

- **الزجاجي (339هـ):**

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجاجي النّهاوندي عالم لغوي[111]، وُلد في نهاوند، وانتقل في طلب العلم إلى بغداد موئل اللغة والفصاحة لينهل من حلقات علمائها، ثم سافر إلى الشام فأقام بحلب مدة ثم غادرها إلى دمشق حيث درّس وصنّف وأملى، ثم غادرها إلى طبريَّة ومات بها.

كان الزجَّاجي شديد الولع بالعلم، أكثرَ الأخذ عن علماء عصره فأخذ عن الزَّجاج أبي إسحاق علم النحو ولازمه حتى نُسب إليه، وروى عن ابن السّراج، وحدّث عن ابن قتيبة الدينوري وعن محمد بن رستم الطبري وابن كيسان وابن شقير وابن الخياط والأخفش الأصغر وغيرهم. أما تلاميذه فقد ذُكِر منهم قِلّة وليس لهم آثار علمية تُذكر.

كانت ثقافة الزَّجاجي نموذجاً من ثقافة العلماء في القرن الرابع، الذي حفل بنتاج خصب للفكر الإسلامي في أوج نضجه ورقيه، وكان من أكثر العلماء طلباً للعلم وأنشطهم في التأليف، فلقد ألَّف في شَتَّى علوم اللغة والأدب، وطُبع من مؤلفاته «الإيضاح في عِلل النحو»؛ وهو أمشاج من نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي ومختار كلام العرب وحكمائهم وشعرائهم وخطبائهم، و«مجالس العلماء» وهو مسائل ومناقشات لغوية وأدبية مع العلماء، و«الأذكار بالمسائل الفقهية» وهو مجموعة مسائل نحوية تتصل بالفقه، و«معاني الحروف»، و«اشتقاق أسماء الله تعالى»، و«الإبدال والمعاقبة»، و«اللامات» الذي جمع فيه أكثر من أربعين قسماً لـ(اللّام) في كلام العرب وعرض معانيها وإعرابها بدقة منهجية، ثم «الجمل في النحو» وهو أشهر كتبه، صنَّفه بمكة المكرمة. وكان إذا فرغ من باب طاف بالبيت الحرام

---

[111] انظر في ترجمته: طبقات النحويين، ص: 129، الفهرست، ص: 80، نزهة الألباء، ص: 306، إنباه الرواة، ص: 160/2-161، شذرات الذهب، 357/2، بغية الوعاة، ص: 77/2، جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، 9 ج، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص: 113/5-158، مازن المبارك، الزجاجي حياته وآثاره ومذهبه النحوي من خلال كتابه (الإيضاح)، دار الفكر، دمشق، 1984، ص: 8-39.

سبعة أشواط، ودعا الله أن يغفر له، وأن ينفع به قارئه، وانتفع به الطلبة كثيراً. ولهذا الكتاب حظوة عند المغاربة تداني شهرة كتاب سيبويه عند المشارقة، وقد تصدّى الكثير منهم لشرحه وشرح شواهده، حتى قيل: إنّ شروحه زادت على مئة وعشرين شرحاً، كذلك عكف عليه العلماء بالدرس والتحليل. وله من المصنفات الأخرى «أمالي الزجاجي» وكتاب «الكافي» في علم النحو، وكل كتبه هذه منشورة.

- **ابن دُرُستويه (258هـ -347هـ):**

أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دُرُستويه بن المرزبان الفارسي[112]، نحوي ولغوي ومحدّث ومفسّر. ودُرُستويه اسم فارسي معناه: الكامل، وقد ضبطه بعضهم على خلاف المشهور (دَرَستويه) بالفتح. ولد في بلاد فارس ثم رحل أبوه به إلى بغداد؛ حيث أقام وطلب العلم حتى برع في علوم الشريعة والعربية، وفيها توفي.

وأهم شيوخه محمد بن يزيد المبرد، وابن قتيبة الذي أخذ عنه فن الأدب، وثعلب إمام الكوفيين في زمانه أخذ عنه علم اللغة. ومع أخذه عن إمام الكوفيين كان شديد الانتصار للبصريين في النحو واللغة، يقول ابن النديم: «وكان مفنناً في علوم كثيرة من علوم البصريين، ويتعصب لهم عصبية شديدة». وقد تتلمذ ابن درستويه في علم الحديث ليعقوب بن سفيان الفسوي وعباس بن محمد الدوري، ولعل أهم الذين تلقى على يديهم العلم والده جعفر الذي كان من كبار المحدّثين في وقته.

أخذ العلم عن ابن درستويه عبيد الله المرزباني، والدار قطني، وابن شاهين، وابن الفضل القطان وأبو علي بن شاذان، وآخرون.

ترك ابن درستويه الكثير من المؤلفات أهمها: «الإرشاد في النحو»، و«كتاب الهداية»، و«احتجاج القراء في القراءة»، و«جوامع العروض»، و«غريب الحديث»، و«معاني الشعر»، و«التوسط بين الأخفش وثعلب في تفسير القرآن»، و«الأضداد»، و«أخبار النحاة»، و«الرد على الفراء في المعاني»، و«الرد على المفضّل الضبّي في الرد

---

[112] انظر في ترجمته: طبقات النحويين، ص: 116، الفهرست، ص: 63، تاريخ بغداد، ص: 428/9-429، نزهة الألباء، ص: 283-285، إنباه الرواة، ص: 113/2-114، وفيات الأعيان، 44/3-45، بغية الوعاة، ص: 36/2، شذرات الذهب، 375/2، محمد موعد "ابن درستويه" الموسوعة العربية، ص: 236/9.

على الخليل»، و«تفسير كتاب الجرمي»، و«المذكر والمؤنث»، وكتاب «الهجاء»، و«تصحيح الفصيح»، ويعرف «بشرح فصيح ثعلب» وهو مخطوط منه نسخة بالمدينة المنورة (مكتبة شيخ الإسلام)، و«شرح ما يكتب بالياء من الأسماء المقصورة والأفعال» وألفّه على حروف المعجم وهو مخطوط بخزانة الرباط. وغير ذلك.

ومن كتبه المطبوعة كتاب: «الكتّاب» وقد ألّفه في خلافة المعتصم بالله، قال ابن درستويه في مقدمة الكتاب عن هذا المصنّف: "وهو كتاب الكتّاب الجاري بين الخاصة والعامة في كتب علومهم وآدابهم ومراسلاتهم الذي لا يستغني متأدب عن معرفته، ولا يليق بذي مروءة جهله ...".[113]

ثم قال معرّفاً به: "اعلم أنّ الكتّاب ربما يكتبون الكلمة على لفظها وعلى معناها ويحذفون منها ما هو فيها، ويثبتون فيها ما ليس منها، ويبدلون الحرف، ويصلون الكلمة بأخرى تتصل بها، ويفصلون بين أمثالها، ويختزلون عامة صور الحروف اكتفاء بالطائفة منها، ولا ينقطون ولا يشكّلون إلاّ ما التبس، ويحاولون بكل ذلك ضرباً من القياس... ويشتمل على جميع وجوه ذلك سليمة وسقيمة اثنا عشر باباً ينقسم كل باب منهما فصولاً بيّنة، فضلاً مع ما أُلحق، وليس منها ...".[114]

وقد جعل هذه الأبواب للهمز والمد والقصر والفصل والوصل والحذف والبدل والنقط والشكل والقوافي والفواصل ورسوم خطوط الكتب، وما ألحق بالهجاء وليس منه.

- **السيرافي (284هـ - 368هـ):**

أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي[115]، العالم النحوي المشهور. مولده بسيراف مدينة من بلاد فارس على ساحل البحر. كانت ثقافته متنوعة في علم الكلام،

---

[113] ابن درستويه، كتاب الكتّاب، تحقيق لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1921، ص: 4.

[114] المصدر نفسه، ص: 5.

[115] انظر في ترجمته: طبقات النحويين، ص: 119، الفهرست، ص: 62، تاريخ بغداد، ص: 7/341-342، نزهة الألباء، ص: 266-267، معجم الأدباء، ص: 8/145-232، إنباه الرواة، ص: 1/313-331، وفيات الأعيان، 1/360-361، بغية الوعاة، ص: 1/507-508، سكينة موعد " السيرافي" الموسوعة العربية، ص: 412/11.

والمنطق، وعلوم الفقه، والعربية، وقد مهر فيها حتى أصبح من مشاهير أئمة اللغة والنحو وأصحاب الرأي في علم النحو خاصة.

قرأ القرآن الكريم على أبي بكر بن مجاهد، واللغة على ابن دريد، والنحو على أبي بكر بن السراج، وأبي بكر العسكري المعروف بـ (مبرمان)، والحديث على أبي بكر بن زياد النيسابوري ومحمد ابن أبي الأزهر البوشنجي، وقد صار حجة في جميع فروع العلوم التي كانت في عصره.

وقد كثر تلاميذ أبي سعيد السيرافي، وتخرّج به جمهرة من الفحول منهم: ابن خالويه، وأبو حيان التوحيدي، والجوهري صاحب «الصحاح»، وعلي بن عيسى الربعي، ومحمد بن أحمد بن عمر الخلال المعروف بأبي الغنائم اللغوي.

ويعدّ أبو سعيد من أعلم الناس بنحو البصريين. وأما عن مؤلفاته فأكبرها وأجلّها شرحه على كتاب سيبويه، حتى قيل: "لم يشرح كتاب سيبويه أحدٌ أحسن منه، لو لم يكن له غيره لكفاه ذلك فضلاً".[116]

وعُدَّ شرح أبي سعيد السيرافي أكملَ شروح كتاب سيبويه على الإطلاق، وأكثرها إحاطة وشهرة، وقد شهد بذلك كل من ترجم لأبي سعيد، وقد أعجب هذا الشرح معاصريه حتى حسدوه. وقد شرحه في ثلاثة آلاف ورقة، فما جاراه فيه أحد، ولا سبقه إلى تمامه إنسان[117]، ونقل السيوطي أنه لم يسبق إلى مثله.[118]

يعدّ شرح أبي سعيد - كما سلف - من أهمّ شروح كتاب سيبويه، وأكثرها إيضاحاً وتفصيلاً، وهو يبدأ بشرح مادة سيبويه دون أن يقدّم له بشيء يبيّن فيه خطته ومنهجه، وخطته في شرحه لم تكن ثابتة، فقد يأتي ببعض كلام سيبويه ثم يشرحه، وكثيراً ما يأتي بالشرح ضمن إعادة كلام سيبويه، وقد يورد الباب كما هو عند سيبويه لا يشرح منه شيئاً، أو يشرح القليل؛ لأنه باب بيّن مفهوم، أو يورد شرحه مباشرة دون أن يذكر شيئاً من كلام سيبويه، وأكثر الأساليب انتشاراً في شرحه أن يقدّم شرحه بعبارة: "جملة هذا الكلام" و"تحصيل هذا"

---

[116] نزهة الألباء، ص: 266.

[117] أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، 3 ج، المكتبة العصرية، بيروت، 1953، 131/1.

[118] بغية الوعاة، ص: 508/1،

و"جملة الأمر" و"جملة كلام سيبويه" و"اعلم"، ثم يتبع ذلك بالشرح والتفصيل، وكانت غايته أن يستقصي المعاني، ويستوعب الموضوع، ويمتاز شرحه بعنايته الفائقة بالشواهد وروايتها، وهو يقف منها موقف الراوية الحافظ، واللغوي البصير والناقد، فالسيرافي يبحث عن سند الشاهد حتى تثبت لديه صحة نسبته إلى قائله، ثم ينظر في معنى ألفاظ البيت، ويبحث عما فيه من شاهد نحوي ليحكم بصحة الاستشهاد به، أو بتركه وإسقاطه، ولم يقتصر على سيبويه وحده، بل نقل عن كثير من شيوخ النحاة، كالأخفش والمبرد والزجاج وابن السراج وسواهم.[119]

ولأبي سعيد: «شرح شواهد سيبويه»، وقد أشار إليه في شرحه على الكتاب، و«ألفات الوصل والقطع»، و«أخبار النحويين البصريين»، ويتضمن سيرة نحاة البصرة، أو قصصاً عنهم مع أخبار عن خلافاتهم، ومن كتبه أيضاً «الوقف والابتداء»، و«صنعة الشعر والبلاغة» وكتاب «جزيرة العرب»، وهو كتاب جغرافي نقل عنه ياقوت في معجم البلدان.

- **الفارسي (288هـ - 377هـ)**:

أبو عليّ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي[120]، أشهر نحاة المئة الرابعة، وأغزرهم تأليفاً. ولد في مدينة فَسَا، وهي مدينة كبيرة من أعمال شيراز عاصمة بلاد فارس، وفي عام 307هـ غادر مسقط رأسه، وهو في حدود العشرين ميمّماً شطر بغداد طلباً للعلم والشهرة، وفي بغداد تابع تحصيله العلمي، فأخذ علوم النحو واللغة والأدب والقرآن والحديث عن أبرز علمائها، وفي مقدمتهم الزجاج، سمع منه كتابه «معاني القرآن وإعرابه»، والأخفش الأصغر وابن السرّاج، قرأ عليه كتاب سيبويه وتصريف المازني، وابن الخيّاط وابن دريد. ولم يكتف أبو علي بسماعه عن هؤلاء الأساتذة بل كان شديد العناية بمؤلفات البصريين الأوائل، إذ كتبها بخطّه وقرأها على أساتذته.

---

[119] عبد الحميد علي الفلاح السالم، نهج السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية كلية الدراسات العليا، 1988، ص: 376-399.

[120] انظر في ترجمته: طبقات النحويين، ص: 120، الفهرست، ص: 64، تاريخ بغداد، ص: 7/275-276، نزهة الألباء، ص: 315-317، معجم الأدباء، ص: 7/232-261، إنباه الرواة، ص: 1/273-275، وفيات الأعيان، 2/80-82، بغية الوعاة، ص: 1/496-498، نبيل أبو عمشة "الفارسي" الموسوعة العربية، ص: 188/14.

وبعد مرحلة الطلب هذه تصدّر للتدريس والإقراء والتأليف، وراح يطوف مدن العراق وأحياناً فارس تاركاً في أغلب هذه المدن أثراً يحمل أسماءها، كالبغداديّات والبصريّات والعسكريّات (نسبة إلى عسكر مكرم). وفي سنة 341هـ اتّجه أبو علي إلى حلب يطلب الحظوة عند سيف الدولة، بيد أن المقام لم يطل به هناك، ولعل ذلك راجع إلى وجود مَن ينافسه في بلاط سيف الدولة، كابن خالويه والسيرافي، وقد جرى له مع هذين النحويين ومع المتنبي مجالس ومناظرات ومسائل، فغادر حلب إلى بعض المدن الشاميّة، وظهرت أسماء هذه المدن على كتبه أيضاً كالحلبيّات والمسائل الدمشقيّة.

وفي عام 346هـ عاد إلى بغداد ومكث فيها سنتين، ثم انتقل إلى شيراز ليلحق بعضد الدولة البويهي (ت372هـ) وكان هذا الأخير محبّاً له يُحضره مجلسه، ويتباحث معه في النحو واللغة، وظلّ أبو علي على هذه الحال عشرين سنة، إلى أن حدث النزاع بين عضد الدولة وابن عمه عزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة، انتهى بمقتل هذا الأخير، فدخل عضد الدولة بغداد سنة 368هـ وبلغ فيها أوج سلطانه، ولحق به أبو علي، وارتفع شأنه عنده، وقصدت أبا علي الوفود من جميع الأقطار، وطار ذكره في الآفاق، وظلّ في بغداد حتى توفي.

فقد وصف القدماء مصنفات أبي علي بأنها "عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها"، وكلها في صميم النحو واللغة، وأكثرها مسائل أملاها في البلدان التي حلّ بها فنسبت إليها، وهي كثيرة تقارب الأربعين، طبع منها محقّقاً أربعة عشر كتاباً.

ومنها «الإيضاح» كتاب صغير الحجم، تناول فيه أبواب النحو العامّة، ذو منهج تعليمي وعبارة واضحة مختصرة، قيل: إن أبا علي ألفه لعضد الدولة، فلمّا اطّلع عليه هذا الأخير قال: "ما زدتَ على ما أعزف شيئاً، وإنما يصحلح هذا للصبيان"[121]. وقد رزق هذا الكتاب شهرة واسعة، فزادت شروحه وشروح أبياته على الأربعين.

و«التكملة» تمّم به الإيضاح، فتناول فيه أبواب التصريف، وهو من أجود ما صنّف في بابه، يمتاز بوضوح عبارته وعدم الإطالة، ولعلّ ما نسب إلى عضد الدولة أنه لمّا اطّلع

[121] بغية الوعاة، ص: 496/1.

على كتاب التكملة وقال: "غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو"[122]، فيه ضرب من المبالغة.

والمسائل «العسكريات» و«البغداديات» و«البصريات» و«العضديات» و«الشيرازيات» و«الحلبيات» و«المنثورة» وجميعها أدارها أبو علي على مسائل في النحو والصرف واللغة، وعلى أبواب من النحو، وعلى تفسير بعض من كلام سيبويه. وتفاوتت هذه الكتب في عدد مسائلها.

وكتاب «الشعر» ويعرف أيضاً باسم «شرح الأبيات المشكلة الإعراب»، جعله أبو علي في أربعة وأربعين باباً من أبواب النحو، وقدّم لكل باب ببيت أو بيتين ممّا له صلة بهذا الباب يتناولهما بالشرح وبيان ما يتصل بهما.

و«الإغفال»: ويعرف باسم «المسائل المصلحة من كتاب أبي إسحاق الزَّجَّاج»، ذكر فيه مآخذه على كتاب معاني القرآن وإعرابه لشيخه الزَّجَّاج. و«التعليقة على كتاب سيبويه»: قصد فيه إلى إيضاح ما غمض من كلام سيبويه على نحو لا يخلو من الإيجاز. و«مقاييس المقصور والممدود»: كُتَيّب عني فيه بوضع المقاييس العامة التي يعرف بها المقصور والممدود.

- **ابن جني (392هـ):**

أبو الفتح عثمان بن جِنّي[123]، إمام في اللغة والأدب والنحو، ولد بالموصل قبل 330 من الهجرة. كان أبوه «جِنّي»[124] مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي. نشأ ابن جني في الموصل وتلقى بعض العلم فيها، فأخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلي، وطوّف في البلاد منتقلاً من الموصل إلى حلب فواسط، حتى انتهى إلى بغداد التي اتّخذها

---

[122] المصدر نفسه، ص: 496/1.

[123] انظر في ترجمته: الفهرست، ص: 87، نزهة الألباء، ص: 332-334، معجم الأدباء، ص: 81/12-115، إنباه الرواة، ص: 335/2-340، وفيات الأعيان، 246/3-248، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، 25 ج، تحقيق شعيب الأرناؤوط وبشار معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ص: 17/17-19، بغية الوعاة، ص: 132/2، شذرات الذهب، ص: 140/3، مسعود بوبو "ابن جني" الموسوعة العربية، ص: 736/7.

[124] جنّي معرّب كنّي الرومية ومعناها كريم ونبيل ومخلص، وهو ليس منسوباً إلى الجنّ. انظر في الخصائص، ص: 8/1.

مقراً. وفي بغداد كان من أشهر شيوخه أبو بكر محمد بن الحسن بن مِقْسم، وقرأ على أبي الفرج الأصفهاني صاحب كتاب «الأغاني» المشهور، وأبرز من لزمهم وأخذ عنهم أستاذه أبو علي الفارسي، فقد صحبه أبو الفتح أربعين سنة بدءاً من سنة 337هـ، وكان السبب المباشر في صحبته أن أبا علي اجتاز بالموصل، فمرّ بالجامع وأبو الفتح في حلقة يُقرئ النحو وهو شاب، فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف، فقصر فيها، فقال له أبو علي: "لقد تزبّبت وأنت حِصْرِم"[125]، فسأل عنه، فقيل له: هذا أبو علي الفارسي، فلزمه من يومئذٍ، وتَلْمَذَ له ووقف على تصانيفه واستجادها، وكان إذا ابتعد عنه يكتب إليه يسأله عما يعنّ له. وحين اتصل ابن جنّي بسيف الدولة ابن حمدان بحلب سنة 341هـ اجتمع بأبي الطيب المتنبي، ونشأت بينهما صحبة، وتناظرا في النحو، وكان المتنبي يُجلّه ويقول فيه: "هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس". و"ابن جني أعرف بشعري مني"[126]. وكان يقول إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره: "سلوا صاحبنا أبا الفتح"[127]. أما ابن جني فكان يحسن الثناء على المتنبي في كتبه، ويستشهد بشعره في المعاني والأغراض، لا في الاحتجاج على صحة اللغة. وبعدما عاشره طويلاً كان يعبّر عنه بشاعرنا، أو يقول: "وحدّثني المتنبي شاعرنا، وما عرفته إلا صادقاً.."[128]. ومن هنا كان أول من عُني بشرح ديوانه المسمّى «الفَسْر» في شرحين: «الشرح الكبير»، و«الشرح الصغير». وقد تعقّب شرحه هذا بالنقد والاستدراك عدد من معاصريه وخالفيه. وفضلاً عن شرح الشعر كان ابن جني يجيد نظمه، فقد قيل إن له أشعاراً حسنة ومقطوعات منها قصيدة طويلة رثى بها المتنبي.

وتوثقت صلة ابن جني ببني بويه عضد الدولة، وولده صمصام الدولة، وولده شرف الدولة، وولده بهاء الدولة الذي مات في زمنه. وكان يلازمهم في دورهم بشيراز وبغداد، ويبدو أن ذلك كان بتقريب أبي علي الفارسي إياه لديهم، ذلك لأن أبا علي كان أثيراً عندهم.

---

[125] معجم الأدباء، ص: 12/90-91. يُضرب هذا المثل للمرء الذي يتعاطى ويدّعي رتبة ومنزلة قبل أن يصل إليها، مثل الذي يقعد للتدريس ولمّا يستكمل آلته، وكالذي يقعد للفتوى بين الناس، ولمّا يأخذ عدّته، ومعنى تزببت؛ أي: جعلت من نفسك زبيبًا، والحصرم: أوّل العنب، فإذا كان أخضر حامضًا سُمّي حصرمًا، ولا يُسمّى اليابس إلا زبيبًا.

[126] بغية الوعاة، ص: 132/2.

[127] الخصائص، ص: 21/1.

[128] المصدر نفسه، ص: 22/1

وحين توفي أبو علي تصدّر أبو الفتح مجلسه للإقراء والتعليم، فنبه ذكره وكثر طلابه. ومن أشهر من أخذوا عنه أبو القاسم عمر بن ثابت النحوي الضرير، وأبو أحمد عبد السلام البصري اللغوي، وأبو الحسن علي بن عبيد الله السمسمي وغيرهم.

ويتجلّى فضل ابن جني ومكانته العلمية في تقدير الباحثين له، فقد أفاض أئمة اللغة وأصحاب التراجم، قديماً وحديثاً، في الثناء عليه وبيان منزلته بين علماء العربية الثقات، واتسعوا في الحديث عن كتبه وعن نهجه في مباحثه التي يُشهد له فيها بالاستقصاء وعمق التحليل، وبالتوفر على تشقيق الموضوعات واستيفائها حقّها من التتبع والتمحيص والعرض واستنباط المبادئ والأصول من الجزئيات. وأقرّ له العلماء بالصدارة والإقامة في كثير من تصانيفهم.

وكما أقرّ العلماء لابن جني بالصدارة في التصريف أقروا له بالفضل وبسعة معرفته وتبحّره في علوم العربية: نحوها، وأصواتها، وإعرابها، ودلالاتها، واشتقاقها، وتراكيبها، وعروضها، وقراءاتها، ونقدها، وخصائصها.. مما سماه الباحثون المحدثون: «الفلسفة اللغوية».

ومن مباحثه التي اهتدى إليها (الاشتقاق الأكبر) الذي بنى فكرته على تقاليب الأصول اللغوية وتناوب مواضع الحروف أولاً ووسطاً وآخراً في المادة اللغوية الواحدة ليستخلص منها وحدة دلالية تنتظمها في جميع احتمالات تراكيبها وقراءاتها، وفق مبدأ القياس الذي كان شديد الإقبال عليه في الثلاثي.

ومع تبجيل ابن جني لسابقيه من العلماء لم يكن يبالي أن يخالفهم إذا اهتدى لرأي أُلهم فيه الصواب، أو عزّزته الأدلة والقرائن. والمشهور في مذهبه النحوي أنه كان بصرياً، ولكن هذا لم يمنعه من الأخذ عن الكوفيين كالكسائي وثعلب وأضرابهما، على حين كان كثير التصريح بمخالفة البغداديين والنيل منهم.

وقد أغنى ابن جني المكتبة العربية بمجموعة حسنة من الكتب اللغوية التي بثّ في تضاعيفها علماً غزيراً ما يزال الباحثون ينهلون من معينه إلى اليوم. ومن أشهر هذه الكتب: «سرّ صناعة الإعراب»، و«الخصائص»، و«المنصف في شرح تصريف المازني»، و«اللُّمَع في العربية»، و«شرح مستغلق أبيات الحماسة»، و«الفَسْر» في شرح ديوان المتنبي

الكبير، و«المحتسب» في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وشرح «الإيضاح العضدي» لشيخه أبي علي الفارسي، وكتاب «المقتضب»، و«المبهج في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة»، و«عقود الهمز»، و«التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري»، وغيرها كثير. وهذه التصانيف النفيسة ثروة ثمينة متشعبة المعارف والموضوعات، عظيمة القيمة والأهمية في المكتبة العربية.

- **الزمخشري (467هـ - 538هـ):**

أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري ولقبه جار الله[129]، اللغوي والكاتب والشاعر. ولد في زمخشر من إقليم خوارزم، تقع على نهر جيحون، فنسب إليها وعرف بالخوارزمي الزمخشري. نشأ في أسرة مغمورة، وتربى في كنف أب عالم أديب تقي، وأدرك عهد الوزير نظام الملك الذي ازدهرت على يديه العلوم والآداب. أخذ الأدب عن أبي مضر محمود بن جرير الضبي الأصفهاني، وعلي بن المظفر النيسابوري، وسمع من شيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي، ومن أبي سعيد الشقاني. أصابه خُرّاج[130] في رجله فقطعت واتخذ رجلاً من خشب.

رحل الزمخشري إلى بخارى ثم إلى بغداد قاصداً الحج. جاور مكة زمناً فسماه معاصروه جار الله. كان تقياً ورعاً، ويعد إمام عصره في اللغة والنحو والبلاغة والتفسير والحديث. وهو على علمه وفضله جمّ التواضع حسن المعشر. كانت تشد إليه الرحال ويقصد إليه طلاب العلم، فهو متنوع الجوانب متعدد المواهب، والمجلي في مختلف العلوم، تشهد بذلك مؤلفاته المتنوعة القيمة. كما عرف بغزارة معارفه وكثرة مؤلفاته. وللزمخشري شعر جيد جمعه في ديوان، غير أن ما برع فيه هو نثره وإنشاؤه. فهو كاتب بليغ وناثر مبدع، حسن الأسلوب جزل اللفظ متأنق العبارة. ويبدو ذلك فيما دبّجه من رسائله إلى بعض نبهاء عصره،

---

[129] انظر في ترجمته: نزهة الألباء، ص: 391-393، معجم الأدباء، ص: 19/126-135، إنباه الرواة، ص: 3/265-272، وفيات الأعيان، 5/168-174، سير أعلام النبلاء، ص: 20/154، بغية الوعاة، ص: 2/270، شذرات الذهب، ص: 4/118، عمر الدقاق "الزمخشري" الموسوعة العربية، ص: 10/398.

[130] الخُرّاج: دُمَّل كبير، تجمُّع للقَيْح في جزء من الجسم محاط بالتهاب.

وفي عدد من كتبه ولاسيما «أطواق الذهب». أفرد له مؤلفو كتب التراجم حيزاً كبيراً للحديث عنه وعن كتبه مثل ابن خلكان وياقوت الحموي وحاجي خليفة.[131]

والزمخشري معتزلي الاعتقاد رحيب التفكير، وكان يجهر برأيه، وقد ظهر مذهبه الفكري الديني في بعض كتبه. أهم مؤلفاته «الكشاف عن حقائق التنزيل»، وهو تفسير لآيات القرآن الكريم، وله منزلة خاصة بين سائر كتب التفسير بسبب منحاه العقلي في الاعتزال. وقد ذاع صيت هذا الكتاب في أوساط علماء المسلمين وأئمة اللغة ولدى المهتمين بتفسير القرآن، فعُنُوا بشرحه والتعليق عليه، وبتلخيصه وتحشيته، وقد مدحه كثيرون، وانتقده عديدون. ومما يدل على اعتداده بكتابه «الكشاف» وبمنزلته عنده ما نظمه شعراً يقرّظه فيه بقوله:[132]

إنَّ التَّفاسِيرَ فِي الدُّنيا بِلا عَدَدٍ وَلَيسَ فِيها لَعَمْري مِثْلُ كَشَّافي

إنْ كُنْتَ تَبْغِي الهُدَى فَالْزَمْ قِرَاءَتَهُ فَالْجَهْلُ كالدَّاءِ وَالكَشَّافُ كالشَّافِي

طبع «الكشاف» مراراً في الهند ومصر ولبنان، وما زال يطبع باستمرار. وكتابه الآخر «المفصل في النحو» من أشهر كتبه، وقد حظي أيضاً باهتمام الكثيرين، الذين دأبوا على شرحه وتذييله بالتعليقات، ومن أبرزهم أبو البقاء بن يعيش. احتفى به الدارسون وحرصوا على اقتنائه وتداوُلِه في القديم والحديث، وعمد بعض المستشرقين إلى طباعته في أوروبا كما تمت ترجمته إلى الألمانية. وقد تعددت طبعاته في الآستانة ولايبزغ ثم القاهرة وبيروت. وكان الزمخشري قد اختصره في كتاب وجيز سماه «الأنموذج»، وقد صدر في طبعات أخرى قليلة.

وللزمخشري «الفائق» في غريب الحديث وطبع في الهند، و«أطواق الذهب» وهو في الوعظ. ونمط أسلوبه نثر فني يغلب عليه السجع وتوازن العبارات، طبع في أوروبا وترجم إلى بعض لغاتها ثم في مصر. وكتاب «المستقصى في الأمثال» جمع فيه أمثال العرب ورتبها ترتيباً معجمياً على حسب أوائلها. وله أيضاً «مقامات الزمخشري»، و«القسطاس» في

---

131 انظر عن كتبه في كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة المعروف بكاتب چلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2/1475-1484.

132 ديوان جار الله الزمخشري، شرح فاطمة يوسف الخيمي، دار صادر، بيروت، 2008، ص: 396-397.

العروض، و«شرح كتاب سيبويه»، و«نوابغ الكلم»، و«ربيع الأبرار ونصوص الأخبار»، ثم ديوان شعر يضم شعره، وهو مرتب على حروف الهجاء.

البغداديون أصحاب الكوفيين

- **ابن الأنباري (328هـ):**

أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشّار الأنباري[133]، عالم في الفقه واللغة والأدب والتفسير. ولد في الأنبار، وقصد بغداد وهو صغير، ونشأ في بيت علم إذ كان والده من كبراء علماء الكوفة في عصره، اتصل بعلماء عصره وتلقى عنهم الأدب والشعر واللغة والقرآن والتفسير والحديث والرواية، وكان في مقدمتهم أبوه القاسم بن محمد الأنباري، وبلغ عدد شيوخه نحواً من أربعين شيخاً، منهم أبو العباس ثعلب وإسماعيل بن إسحاق القاضي، وأحمد بن سهل الأشناني وأحمد بن الهيثم البزّاز والحكيم الترمذي وابن دريد الأزدي، وكانت له حلقة علمية في المسجد إلى جانب حلقة أبيه، وتلقى العلم عنه كثيرون، من أبرزهم: أبو علي القالي، وأبو أحمد العسكري، والزجّاجي، وابن خالويه، وأبو جعفر النحاس، وأبو الفرج الأصفهاني، والمرزباني.

كان من أعلم الناس بنحو الكوفيين وأكثرهم حفظاً للغة، فقد أملى كتبه المصنفة ومجالسه المشتملة على الحديث والتفسير والأخبار والأشعار من حفظه، إذ رويت أخبار وغرائب عن حفظه وسرعة جوابه، ومع هذا كان متواضعاً يجهر بالخطأ إن وقع منه ويرشد إلى الصواب، وعفَّ اللسان لا يقبل أن يُذكر أحد في مجلسه بسوء، لذلك أحبه تلاميذه ومعارفه.

وفي اللغة، فقد اعتمد في الرواية على علماء العربية كما أخذ عن الأعراب، ومع أنه كوفي المذهب، فإنه لم يكن متعصباً له إلا في مسائل معينة، وقد اتصلت ثقافة ابن الأنباري في علوم العربية بثقافته في علوم القرآن والحديث حتى لا يمكن الفصل بين هذه العلوم في مؤلفاته. كما أثّرت شروط المحدّثين في الحديث المروي في منهجه في البحث اللغوي فاتّصف بالتوثيق والأمانة العلمية.

---

133 انظر في ترجمته: تاريخ بغداد، ص: 181/3، نزهة الألباء، ص: 197-204، معجم الأدباء، ص: 73/6، إنباه الرواة، ص: 201/3-208، وفيات الأعيان، 463/3، غاية النهاية، ص: 230/2، بغية الوعاة، ص: 212/2، الأشباه والنظائر، ص: 122/4.

ترك ابن الأنباري إرثاً وافراً من كتب اللغة وعلوم القرآن والحديث والأمثال. وقد عدّ له في المراجع القديمة ما لا يقلّ عن أربعة وأربعين مؤلفاً ورسالة..

من آثاره «الأضداد»، ولم يُؤلّف في الأضداد كتاب أكبر منه، و«شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات»، و«إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ» وفيه يتحدث عن ظاهرة الوقف والابتداء التي يتبعها القارئ لآي القرآن الكريم بما يتفق مع وجوه التفسير واستقامة المعنى وصحة اللغة وما تقتضيه علومها من نحو وصرف، وكتاب «شرح الألفات المبتدئات في الأسماء والأفعال»، و«شرح ديوان عامر بن الطفيل»، و«شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها»، و«مسألة في التعجب»، و«الهاءات في كتاب الله»، و«شرح غاية المقصود في المقصور والممدود لابن دريد».

و«المذكّر والمؤنث» - وهو من أضخم الكتب في التذكير والتأنيث- نقله أبو بكر بن الأنباري عن نحاة ولغويين بصريين وكوفيين، وعرض فيه لكل ما يتصل بالتذكير والتأنيث من مسائل النحو والتصريف واللغة، وقد عني بإيراد الشواهد الكثيرة من القرآن الكريم والشعر والحديث والأقوال والأمثال لإيضاح الفكرة، وأفاد فيه من مصادر كثيرة لم يذكرها، وإن كان دقيقاً فيما نقل، وبيّن في الكتاب الأسماء والنعوت، المذكر منها والمؤنث مع شرح المشترك بينها، وفيه عناية واضحة بالنحو ومناقشة آراء النحاة مع التعليل والمحاكمة وردّ ما لا يجده صواباً إلى مذهبه الكوفي، مع عرض لاختلاف المذاهب في تفسير بعض المصطلحات والعبارات. وقد كان لكتابه هذا أثر في كتب اللغة التي ألّفت بعده، ونجد ذلك في مخصص ابن سيدَه، وفي معجم ما استعجم للبكري .[134]

- **ابن خالويه (370هـ):**

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان الهمذاني[135]، إمام مبدع في اللغة، عالم في النحو والقراءات، وله شأن في قرض الشعر، أصله من هَمَذان، دخل بغداد عام 314هـ،

---

[134] أبو بكر بن الأنباري، المذكّر والمؤنّث، جزآن، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1981، ص: 19-13/1.

[135] انظر في ترجمته: الفهرست، ص: 84، نزهة الألباء، ص: 311، معجم الأدباء، ص: 9/200-205، إنباه الرواة، ص: 1/324-327، وفيات الأعيان، 433/1، غاية النهاية، ص: 237/1، بغية الوعاة، ص: 529/1.

وتلقى علومه على كبار علماء اللغة والنحو والقرآن والحديث، ومنهم: ابن دريد الذي تلقى عليه النحو والأدب، وابن مجاهد الذي أخذ عنه علوم القرآن الكريم والقراءات. ودرس على ابن الأنباري النحو الكوفي واللغة وعلوم القرآن وعلى أبي العباس ابن عقدة علوم الحديث، كما أخذ اللغة من أبي عمر الزاهد، والنحو البصري من أبي سعيد السيرافي. وانتقل بعد ذلك إلى الشام وزار بيت المقدس، ويقال: إنه دخل اليمن فأقام في مدينة ذِمار، وعاش مدة في ميّافارقين (حالياً سِلوان بديار بكر) وحمص، ثم استوطن حلب وتصدر مجالس التعليم فيها، وذاع صيته في التدريس، وكان حظيّاً عند سيف الدولة الحمداني، ومؤدّباً لأولاده، وكثيراً ما ناظر المتنبي، وبقي في حلب حتى وفاته.

أخذ عن ابن خالويه كثير من العلماء أشهرهم: عبد المنعم بن غلبون المقرىء المصري، وأبو بكر الخوارزمي الأديب الشاعر، والمعافى بن زكريا النهرواني المفسر النحوي، وسعيد بن سعيد الفارقي، وأبو الحسن السّلامي الشاعر، وأبو الحسن النّصيبي.

لابن خالويه مؤلفات كثيرة في القراءات والنحو والأدب، واللغة بلغت أربعة وأربعين مؤلّفاً نشر منها: «إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم»، و«الألفات»، وكتاب «ليس في كلام العرب» وهو من أهم مؤلفات ابن خالويه، ضمّنه علماً جماً في اللغة، واستقصاء واسعاً لكلام العرب مع غرائب ونوادر جعلته كتاباً نفيساً. وعنوانه يدل على موضوعه، يستخدم فيه ابن خالويه جملة: ليس في كلام العرب كذا إلا كذا، مثل قوله: "ليس في كلام العرب ما مفرده ممدود وجمعه ممدود إلا (داء وأدواء)"[136]. ومن كتبه أيضاً «رسالة في أسماء الريح»، و«شرح ديوان أبي فراس الحمداني»، و«شرح مقصورة ابن دريد».

وتُبيّن مؤلفات ابن خالويه فكره ومنهجه حيث يبدو مستقل التفكير، متحرر النزعة، مؤمناً بأن اللغة لا تُقاسُ، وإنما تؤخَذُ سماعاً. وفي كتبه معالجة لكثير من القضايا اللغوية، كالقلب والإبدال، والإدغام، والمثنى، والجمع، والتأنيث والتذكير، والمقصور والممدود. وهو يستشهد دائماً بالآيات القرآنية والحديث والشعر.[137]

---

[136] ابن خالويه، ليس في كلام العرب، ط 2، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، 1979، ص: 57.

[137] محمود جاسم محمد، ابن خالويه وجهوده في اللغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ص: 28-30.

***

إنّ انفراط عقد المدرسة البغدادية وتفرق علمائها في الأمصار بعد أن تضعضع شأن الخلافة العباسية بغلبة البويهيين عليها في النصف الأول من القرن الرابع الهجري عام 334هـ كان الحد الفاصل بين النحويين المتقدمين والمتأخرين. فالمتأخرون من النحاة هم الذين تحمّلوا عبء النهضة به من علماء المدرسة الأندلسية والمصرية وما بعدهما، ومن علماء النحو في شتى بقاع الأرض في إنجازهم العمل الشاق.

المدرسة الأندلسية

تطلق هذه المدرسة على الدراسات النحوية في الأندلس وشمال إفريقيا وجزر كل من صقلية الإيطالية، وجزر الخالدات المسماة حالياً جزر الكناري المحتلة من إسبانيا. كانت الأندلس منذ فتحها سنة93 هـ منكبّة إلى إخضاع البلاد للخلافة فحسب، فلما استقلّ بنو أمية بالأندلس على يد عبد الرحمن الداخل سنة138 هـ، استقبلت الأندلس عهداً جديداً، وبدأت الحركة العلمية تزدهر، فشجعوا العلماء على العلم، فاستحثّ ذلك دولة المغرب الأقصى دولة الأدارسة التي تأسّست على يد إدريس بن عبد الله في مدينة وَلِيلي سنة 172هـ وضمّت إليها بلاد تلمسان، وفي شمال إفريقيا دولة الأغالبة التي أسّسها إبراهيم ابن الأغلب التميمي المتوفى سنة184 هـ.

ثم قامت الدولة الفاطمية بالمغرب سنة297 هـ، وامتدّ نفوذها من المحيط الأطلسي إلى مصر سنة358 هـ، فنهضت المغرب تنافس الأندلس، بحكم قرب الجوار واتحاد اللغة والدين، لذلك تحمّل الأندلسيون والمغاربة عناء السفر إلى المشرق ورَوَوْا عن علمائه واقتبسوا من معارفهم، إلا أنه كان للمغاربة فضل السبق على الأندلسيين لقرب بلادهم من المشرق وبُعد الأندلسيين منه.[138]

وأفرز هذا التنافس حركة في علم النحو في عهد الأمويين، والأغالبة والفاطميين، وازداد نموّها وازدهارها في عصر ملوك الطوائف الذين تقاسموا بلاد الأندلس بينهم من سنة428 هـ، فكان منهم العلماء والمؤلفون، وفي خلال تلك الفترة كان للأندلس تأثير على

[138] الطنطاوي، المرجع السابق، ص: 218.

بلاد المغرب انتعشت فيها الحركة العلمية، فظهر في الأندلس والمغرب علماء ضاهَوْا علماء المشرق، وانتشرت دراسة النحو في سائر البلاد، وأضحت الأندلس تساير العراق في الازدهار العلمي.[139]

نشأت في عصر بني أمية بالأندلس (138-422هـ) طبقة كبيرة من المؤدبين الذين كانوا يعلمون في قرطبة وغيرها من الحواضر الأندلسية مبادئ العربية عن طريق مُدارسة النصوص والأشعار.

وكان أول نحاة الأندلس جودي بن عثمان المورووري، رحل إلى المشرق وتتلمذ على الكسائي والفرّاء، وهو أول من أدخل إلى الأندلس كتب الكوفيين، وأول من صنّف به في النحو، ودرّسه لطلابه حتى وافته المنية سنة 198 للهجرة. وكان من معاصريه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الذي رحل إلى المشرق، وأخذ عن عثمان بن سعيد المصري، المعروف باسم وَرْش قراءته، وأدخلها إلى الأندلس، وكان عارفاً بالعربية.

وكثر عدد هؤلاء القراء والمؤدبين في القرن الثالث الهجري. واشتهر منهم عبد الملك بن حبيب السلمي (238هـ(، فكان إماماً في الفقه والحديث والنحو واللغة، ومن مصنفاته كتاب «إعراب القرآن».

وتأكّد في تاريخ النحو العربي أنّ الأندلس انصب اهتمامها في البداية بالنحو الكوفي إلى غاية القرن الثالث الهجري إلى أن رحل محمد بن موسى بن هاشم (307هـ) إلى المشرق، ولقي بمصر أبا جعفر الدينوري، وأخذ عنه كتاب سيبويه روايةً وعرضه على طلابه بقرطبة.[140]

وفي القرنين السابع والثامن ظهر عدد من علماء النحو لم يستقروا جميعاً في الأندلس لأسباب سياسية بالدرجة الأولى، منهم ابن عصفور (663هـ)، وابن مالك الذي رحل من الأندلس إلى بلاد الشام واستقر فيها وتفرغ للتدريس في حلب ودمشق حيث توفي سنة (672هـ)، وهو صاحب الألفية المشهورة المسيطرة على مناهج التدريس النحوي على مر

---

[139] المرجع نفسه، ص: 219.

[140] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص: 288-289.

العصور، وابن الضائع (680هـ)، وأبو حيان الذي رحل إلى المشرق واستقر في القاهرة حيث توفي سنة 745 هـ .[141]

وبعد استغناء الأندلسيين عن المشارقة واعتمادهم على ما توصلت إليه جهودهم، فإنهم عدلوا عن بعض آراء المشارقة في النحو وخالفوهم في منهاج تعليمه وتدوينه، واستدركوا عليهم مسائل فاتتهم، وبذلك استحدثوا مذهباً رابعاً عرف بمذهب المغاربة أو الأندلسيين، ظهرت مبادئه من أوائل القرن الخامس الهجري، الذي يعدّ فجر النهضة النحوية في هذه البلاد.

أشهر نحاة الأندلس

من أشهر نحاة هذه المدرسة: الزُّبيدي (379هـ)، وابن السيد البَطَلْيَوْسي (521هـ)، وابن مضاء القرطبي (592هـ)، والجُزُولي (607هـ)، والشَّلَوْبيني (645هـ)، وابن مالك (672هـ)، وابن آجُرُّوم (723هـ) وأبو حيّان (745هـ).

- **الزُّبيدي (379هـ):**

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزُّبيدي[142] من أهل إشبيلية، واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة، سمع من قاسم بن أصبغ وسعيد بن فحلون وأحمد بن سعيد والرباحي، وقيَّد اللغة والأشعار عن أبي علي القالي. اختاره المستنصر بالله، صاحب الأندلس لتأديب ولده، ولي عهده هشام المؤيد بالله، وولّاه قضاء قرطبة وإدارة الشرطة فيها، فسكن الزبيدي قرطبة ونال جاهاً عظيماً ورياسة.

وتُجْمِع الروايات التي بين أيدينا أنه لم يكن بالأندلس في فنه مثله في زمانه، وله كتب تدل على وفور علمه، منها: كتاب «الواضح» في النحو «أبنية الأسماء» في الصرف «مختصر كتاب العين» في اللغة، وكتاب «طبقات النحويين واللغويين بالمشرق والقيروان

---

[141] الطنطاوي، المرجع السابق، ص: 259-260.

[142] انظر في ترجمته: معجم الأدباء، ص: 179/18، إنباه الرواة، ص: 108/3-109، وفيات الأعيان، 7/4، ابن سعيد المغربي، المُغرب في حُلى المَغرب، مجلدان، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1978، ص: 255/1-256، بغية الوعاة، ص: 529/1، أحمد المقّري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 10 ج، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1949، ص: 152/5-154.

والأندلس»، من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن شيخه أبي عبد الله النحوي الرَّباحي في التراجم، وكتاب «لحن العامة» في العربية.

- **ابن السيد البَطَلْيَوْسِي (521هـ):**

أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيْد البَطَلْيَوْسي النحوي، من كبار أئمة اللغة والأدب في الأندلس، أصله من مدينة شِلْب، ومولده في بطليوس غربي قرطبة. أحد من تفخر به جزيرة الأندلس من علماء العربية. كان عالماً بالآداب واللغات متبحّراً فيهما، مقدَّماً في معرفتهما وإتقانهما. ووصف بأنه كان حسن التعليم جيد التلقين والتفهيم، ثقة حافظاً ضابطاً.

نشأ البطليوسي في بيت علم وفضل، وتلقّى العلم في بطليوس على أبيه، ثم على أخيه أبي الحسن علي بن محمد بن السيد (480هـ)، ومعظم ما روي عنه كان كتباً في اللغة. ودرس القراءات على علي ابن أحمد بن حمدون المعروف بابن اللطينية (466هـ)، كما درس اللغة على أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي (494هـ). وفي نحو سنة 464هـ ارتحل ابن السيد إلى المَرِيَّة ومكث فيها عاماً واحداً سمع في أثنائه من عبد الله بن جبير القيرواني، ثم غادرها إلى قرطبة لإكمال تعليمه؛ فدرس فيها الحديث على أبي علي الحسين بن أحمد الغسّاني الجيّاني (498هـ) شيخ المحدّثين بقرطبة، وكان من أساتذته كذلك أبو الفضل البغدادي، وعبد الدايم بن مرزوق بن جبر القيرواني، وهما من رواة الأدب والأشعار الوافدين من خارج الأندلس، وغيرهم.

بعدئذٍ أخذ البطليوسي يتنقّل بين بلاطات ملوك الطوائف، فاتصل بالقادر بالله يحيى بن إسماعيل ابن ذي النون (467-478هـ) بطُلَيْطِلة، وكان على علاقة طيبة بأبي الحسن راشد بن العريف كاتب ذي النون. وأقام ابن السيد في شَنْتَمَرِيّة إبّان حكم أبي مروان عبد الملك بن رزين لها آخر ملوك بني رزين (خلفه المرابطون سنة 503). ولما تنكّر عبد الملك بن رزين للبطليوسي استعطفه هذا بقصيدة رقيقة مؤثرة لم تلق عند ابن رزين الاهتمام المأمول، ففرّ البطليوسي إلى سَرَقُسْطة واتصل بأحمد المستعين التجيبي (478-503هـ) حاكم سرقسطة الذي استمرّ عليها إبّان حكم المرابطين. ثم رجع إلى إقليم السهلة في شنتمرية، ولما ساءت أحوالها ارتحل هذا إلى قرطبة وجلس في مسجدها الجامع يُقرِىء علوم الدين واللغة والنحو والأدب، غير أنه لم يلبث أن غادرها إلى بلنسية وكانت تحت حكم المرابطين وهناك

استقر، وكان الناس يجتمعون إليه ويقرؤون عليه ويقتبسون منه، وقد اشتغل بالإقراء والإملاء والتدريس والتأليف، وترك الاتصال بالملوك والأمراء، وبقي على هذه الحال إلى أن لقي ربه.

كان البطليوسي واسع المعرفة بفنون العلم؛ محدِّثاً وفقيهاً ولغوياً ونحوياً وأديباً وناقداً وشاعراً ومؤرخاً عارفاً بأيام العرب وأشعارها، وكان أيضاً فيلسوفاً، ولقب بنحوي زمانه، وبشيخ النحاة.[143]

وللبطليوسي تصانيف نافعة ممتعة[144] منها: «إصلاح الخلل الواقع في الجمل» و«الحُلل في شرح أبيات الجمل» والمراد بـ(الجمل) هنا كتاب أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المسمى «الجمل». ومنها «المسائل المنثورة في النحو».

أما في مجال الشروح الأدبية واللغوية فقد صنف مجموعة شروح منها: «شرح سَقْط الزَّنْد» لأبي العلاء المعرّي، وشرح بعض اللزوميات للمعرّي نفسه، و«شرح أدب الكاتب» لابن قتيبة، وسمّاه «الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب» وبهذه التسمية حُقِّق ونشر. و«شرح الكامل» لأبي العباس المبرد، و«شرح إصلاح المنطق» ليعقوب بن السكّيت، و«شرح ديوان المتنبي» و«المثلَّث» في اللغة وهو شرح لكتاب «مثلّثات قطرب»، وقد زاد ابن السيد على مثلثات قطرب موادّ كثيرة، واستدرك عليه في مواد أخرى[145]. ومن كتبه أيضاً «شرح أبيات المعاني»، و«شرح فصيح ثعلب».

ولهذه المصنفات قيمة علمية عظيمة بما انطوت عليه من علم غزير تنوّعت فوائده وشعابه، وكان أبرزها الدراسات اللغوية التي أقيمت على الشروح والتأصيل اللغوي وعلم الدلالة اللغوية.

---

[143] انظر في ترجمته: إنباه الرواة، ص: 2/141-142، أحمد بن يحيى الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص: 324، وفيات الأعيان، 3/96-98، المغرب في حلى المغرب، ص: 1/385-386، أعلام النبلاء، ص: 19/532-533، غاية النهاية، ص: 1/448-449، برهان الدين ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 104-141، بغية الوعاة، ص: 2/56، شذرات الذهب، ص: 4/64-65، نفح الطيب، ص: 1/184-185.

[144] انظر عن مصنّفاته في كتابه المثلث، تحقيق صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد، العراق، 1981، ص: 35-45.

[145] المصدر نفسه، ص: 63.

- **ابن مضاء القرطبي (592هـ):**

أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن مضاء اللخمي القرطبي[146]، من علماء النحو، وله فيه آراء ومذاهب خالف فيها جميع النحويين، ولد في قرطبة، وإليها يُنسب، وقد خرج من بيت حسب وشرف منقطعاً إلى العلم والعلماء، معنياً أشد العناية بلقاء أساتذة عصره، فارتحل إلى إشبيلية حيث ابن الرماك (541هـ) ليدرس عليه كتاب سيبويه، ثم هاجر في طلب الحديث إلى سبتة حيث القاضي عياض (544هـ) أشهر محدثي المغرب وفقهائه في عصره، ولم يكتف ابن مضاء بالعلوم اللغوية والدينية، إذ كان عارفاً بالطب والحساب والهندسة وشاعراً بارعاً وكاتباً.

وانتهى المطاف به أن أصبح حجة في الفقه الظاهري، وهو مذهب الموحدين الذين حكموا المغرب والأندلس (541 - 668هـ) فولوه أولاً قضاء فاس وبجاية، ثم ما لبث الأمير يوسف بن عبد المؤمن (580هـ) أن جعله قاضي الجماعة في الدولة كلها، ويوسف هذا عُرف بتعصبه للمذهب الظاهري، وظل ابن مضاء في هذا المنصب إلى أن توفي في عهد الأمير يعقوب بن يوسف (595هـ).

وكان طبيعياً أن يحمل ابن مضاء حملة الموحدين على أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة لما ملؤوا به كتبهم من فروع، فإذا هم يأمرون بإحراق كثير من تلك الكتب، وحملوا الناس في دولتهم على المذهب الظاهري الذي يرفض القياس وما يتصل به من علل، ويكتفي بالظاهر من القرآن والحديث.[147]

وقد استلهم ابن مضاء هذه الثورة لا في حمله على الفقه والفقهاء فحسب، بل في حَمله على النحو والنحاة من حوله، وذلك أنه وجد الأبحاث النحوية ـ كأبحاث الفقه ـ تتضخم بتقديرات وتأويلات وتعليلات وأقيسة وشُعب وفروع وآراء لا حصر لها ولا غنىً حقيقي في تتبعها، فمضى يهاجمها في ثلاثة كتب، هي: «المشرق في النحو»، و«تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان»، و«الرد على النحاة» وهذا الأخير هو الذي انتهى إلينا من آثاره، وقد أقيم

---

[146] انظر في ترجمته: بغية الملتمس، ص: 192، وفيات الأعيان، 11/7، الديباج المذهب، ص: 47-48، بغية الوعاة، ص: 323/1، نبيل أبو عمشة "ابن مضاء" الموسوعة العربية، ص: 828/18.

[147] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص: 304-305.

الكتاب على أسس هي في الحقيقة انعكاسٌ لمذهب ابن مضاء في الفقه، ويمكن إجمالها في الأسس الآتية:

أولاً: الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل التي يرى أنها عقدت النحو وأكثرت فيه من التقديرات والمباحث التي لا طائل وراءها، فالمتكلم هو الذي يرفع وينصب ويجر لا شيء آخر قد يكون متخيلاً كما يرى النحاة، ونظرية العامل في رأيه هي التي أدخلت على النحو عُقد التقديرات، على نحو ما هو معروف في العوامل المحذوفة.

ثانياً: الدعوة إلى طرح ما يسمى بعلة العلة، كبيان علة رفع الفاعل ونصب المفعول، ولماذا نصبت (إن) الأسماء ثم رفعتها، ولِمَ لا يكون العكس، مما ليس فيه نفع ولا فائدة في ضبط الألسنة.

ثالثاً: الدعوة إلى التخلي عن التمارين غير العملية التي وقعت في كتب النحاة، مما يُعد فضولاً ينبغي أن يُبَرّأ منه النحو حتى لا يكون فيه عسرٌ ولا صعوبة.[148]

إن ثورة ابن مضاء هذه يمكن أن يُفهم منها ـ بعيداً عن كونها صدى لمذهبه الظاهري ـ أنها دعوة إلى ما يمكن أن يسمى تيسيراً للنحو العربي، وقد لقيت هذه الثورة أصداءً لها عند الباحثين المعاصرين فرأوا فيها قدوتهم في دعواتهم إلى تيسير النحو وتبسيطه، وفي الوقت نفسه استغل بعض الدارسين هذه الدعوة وجعلها ستاراً لهدفٍ أبعد هو هدم التراث النحوي برُمَّته.

- **الجُزُولي (607هـ):**

أبو موسى، عيسى بن عبد العزيز بن يَلْبَخْت الجُزُولي[149] نسبةً إلى جُزُولة، بطن من البربر كانت تسكن بصحراء بلاد السوس في المغرب الأقصى، وقيل له المرّاكشي لأنه ولد في مراكش، إمام في النحو والقراءات واللغة.

---

[148] ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، ط 2، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1982، ص: 23-67.

[149] انظر في ترجمته: إنباه الرواة، ص: 2/378-380، وفيات الأعيان، 3/488-491، غاية النهاية، ص: 1/611، بغية الوعاة، ص: 1/529، شذرات الذهب، ص: 5/26، شوقي المعري "الجزولي" الموسوعة العربية، ص: 7/593.

وصف بأنه رجل فاضلٌ كامل ديّن خيّرٌ ورع. سافر إلى الديار المقدّسة وحجَّ، ثم دخل الديار المصرية فلازم الشيخ أبا محمد بن برّي (582هـ) وقرأ عليه اللغة، وممّا قرأه كتاب «الجمل» للزجاجي وسمع صحيح البخاري من أبي محمد بن عبيد الله. ثم عاد إلى المغرب، وأقام مدّة بمدينة بجاية وتصدّر للتدريس والإقراء، وكان الناس يقصدونه، فانتفع به خلقٌ كثير. ويذكر بعضهم أنه أقام بالمريّة من بلاد الأندلس بعد عودته من الحج. وبه تخرجت طائفة من التلاميذ الأئمة أشهرهم يحيى بن عبد المعطي وهو أحد أئمة النحو واللغة، وأبو علي عمر الشلوبين وهو من أعلام النحو الأندلسيين. ثم تولى الجزولي الخطابة في مراكش.

تفوّق الجزولي في علم النحو فكان كثير الاطّلاع على دقائقه وغريبه وشاذّه، وألّف فيه عدداً من الكتب منها: «شرح الأصول» لابن السرّاج و«مختصر الفَسْر» في شرح ديوان المتنبي لابن جني و«شرح قصيدة بانت سعاد» وله «الأمالي في النحو».

أما أشهر مؤلفاته فهي «المقدمة» التي اقترنت باسمه وعرفت بـ «المقدمة الجُزُولية». والمقدمة هذه من أشهر كتب النحو المختصرة، وقيل: إنه لم يسبق إلى مثلها، فهي غاية في الإيجاز والاختصار، لكنها اشتملت على كثير من النحو مع قلة في الشواهد، فهي لم تتضمن إلا تسعة شواهد شعرية، وقالوا: إن الجزولي أتى فيها بالعجائب وسماها «القانون»، ويقال: إنه نقل عن ابن برّي شيئاً في المقدمة المذكورة، وكان بعض النحويين يرون المقدمة كلّها رموزاً وإشارات تقصر الأفهام عن إدراكها. ولشهرتها اعتنى بها جماعةٌ من الفضلاء فشرحوها شروحاً كثيرة، وقد شرحها الجزولي نفسه شرحاً يقع في مجلد كبير، كما شرحها تلميذا الجزولي ابن عبد المعطي والشلوبين، وشرحها ابن مالك وسمّى شرحه: «المنهاج الجلي في شرح القانون الجزولي» وابن عصفور وغيرهم.[150]

- **ابن مالك (672هـ):**

جمال الدين، محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي[151]، من أشهر نحاة المئة السابعة، إن لم يكن أشهرهم على الإطلاق، وأثره في متأخري النحاة

---

[150] أبو موسى الجزولي، المقدمة الجزولية في النحو، تحقيق شعبان عبد الوهاب محمد، مطبعة أم القرى، ص: 56-63.

[151] انظر في ترجمته: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، 29 ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ص: 3/285-289، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 5 ج، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيوت،

كأبي حيان الأندلسي وابن هشام الأنصاري والمرادي وابن عقيل وغيرهم لا يقل أثراً عن سيبويه فيمن جاء بعده، بل إن نحوَ ابن مالك يعدّ علامة فاصلة في تاريخ النحو العربي منهجاً وعبارة وشواهد وطرائق استدلال، ولقد ظل النحويون من بعده يدورون في فلك مصنفاته تدريساً وشرحاً، ولاسيما «الألفية» و«التسهيل».

ولد ابن مالك بجَيّان، من مدن الأندلس الوسطى، لأسرة عربية طائية لا يُعرف من أمرها شيء، ولا يُعرف أيضاً عن نشأته الأولى شيء. وأغلب الظن أنه بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم ودراسة القراءات وعلوم الدين والنحو واللغة، وفي كتب التراجم ما يشير إلى أنه أخذ العربية في بلاده عن ثابت ابن خيّار الكلاعي المقرئ، وأنّه حضر عند أبي عليّ الشلوبين النحوي المشهور مدة قصيرة. ولم تكن أحوال الأندلس أيام نشأة ابن مالك في هدوء واستقرار مما شجعه على الارتحال إلى المشرق، ولعل هذا الارتحال كان وراءه أيضاً طلب العلم وأداء فريضة الحج.

وكان ارتحاله عن الأندلس في حدود سنة 630هـ أو قُبَيْلَ ذلك، فاتجه إلى مصر، ولم يُقِمْ بها، ثمّ إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ، وبعد ذلك يمّمَ وجهه شَطْرَ الشام، فمرَّ بدمشق وأخذ فيها عن طائفة من علمائها، كالسخاوي النحوي المقرئ ومكرَّم بن محمد والحسن ابن صَبّاح، ثمّ غادرها إلى حلب، فحضر حلقة ابن يعيش النحوي وجالس تلميذه ابن عَمْرون، وظلَّ بها حتى استكمل دراسته وذاع صيته، وتصدّر بها لإقراء العربية والقراءات، وألمحت المصادر إلى أنه نظم في حلب أرجوزته النحوية المطولة «الكافية الشافية».

ثم عاوَدَهُ الحنين إلى دمشق، فغادر حلب ماراً بحماة، فأقام بها مُدَيْدَة، وألف بها «المقدّمة الأسديّة»، وانتهى به المطاف أخيراً في دمشق، حيث استقر فيها عقوداً يدرّس ويصنّف، فتكاثر عليه الطلبة وطارت شهرته، وصار يُضرب به المثل في دقائق النحو

1973، ص: 407/3-409، غاية النهاية، ص: 180/2-181، يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، مصر، 1963، ص: 243/7-244، بغية الوعاة، ص: 130/1-137، نفح الطيب، ص: 222/2-233، شذرات الذهب، ص: 339/5، نبيل أبو عمشة "ابن مالك" الموسوعة العربية، ص: 534/17.

وغوامض التصريف والقراءات وغريب اللغات وأشعار العرب، وفي دمشق تصدّر في الجامع الأموي، وولي مشيخة المدرسة العادلية.

ومن أبرز تلامذته الذين ذاع صيتهم: الإمام النووي، والبهاء بن النحاس، وبدر الدين بن جماعة، والعلاء بن العطار، وابنه بدر الدين محمد بن مالك المعروف بـ(ابن الناظم) وهو نحوي مشهور لا يقلّ ذكاءً عن والده، وهو أوّل من شرح ألفية والده، وأكمل الشرح الذي لم يتمّه والده على «التسهيل».

وقد رُزق ابن مالك مقدرة عجيبة على النظم في علوم العربية والقراءات، أما مؤلفاته النثرية فامتازت بوضوح في العبارة وجنوحٍ إلى ما يمكن وصفه بـ«تسهيل النحو» وتقريبه إلى الأفهام.

ولعل أبرز ما يميز ابن مالك أنه صاحب اختيارات في النحو، إذ لم يكن يرتضي من مذاهب النحويين وأقوالهم إلا ما وَقر في نفسه أنه الأقرب أو الأجود، ولذا كان كثير المناقشة للأوائل كسيبويه والمبرد والأخفش والفراء والزجاج والفارسي معترضاً عليهم بأدلّة من السماع والقياس.

وابن مالك من النحاة الذين فتحوا الباب على مصراعَيْه للاستشهاد بالحديث النبوي في بناء القواعد والاستدراك به على النحويين، وكان النحاة من قبل يعرضون عن الحديث في باب الاستشهاد.

وامتازت مصنفاته بغزارة الشواهد الشعرية، ومن المثير للانتباه أن طائفة من هذه الشواهد لم تكن معروفة قبل ابن مالك، مما جعل النحاة يتحيّرون في أمرها، والناظر في مؤلفاته يقف على مصطلحات نحوية ابتكرها ابن مالك مما يشهد له بالبراعة، وأنه أربى على المتقدمين حقاً.[152]

ولقد أولع المشارقة ولاسيما نحاة مصر والشام بمؤلفاته، فما من نحوي إلا درّس كتبه، أو شرح بعضاً منها، وما من نحوي إلا جعل من مؤلفات ابن مالك عمدته في التأليف سواءٌ صرّح بذلك أم لم يصرّح.

---

[152] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص: 309-310.

وقد عدّد القدماء له نحواً من ستة وأربعين مؤلفاً، طبع منها ما يزيد على النصف، وتكفي الإشارة ههنا إلى المطبوع. ففي مقدمة مؤلفاته النحوية والصرفية كتاب «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» وهو من أشهر المتون النحوية التي عُني بها الشراح وأولهم ابن مالك نفسه بيد أنه لم يتمّه، وهذا الشرح أوسع مصنفات ابن مالك، أودعَ فيه جلّ اختياراته وآرائه وشواهده، والشرح غني بذكر آراء النحاة ومذاهبهم[153]، وقد أتمه من بعده ابنه بدر الدين، ومن أشهر شروح التسهيل وأوسعها كتاب «التذييل والتكميل» لأبي حيان الأندلسي.

أما «الخلاصة الألفية» فقد اشتهرت بـ«الألفية»، وهي أكثر المنظومات النحوية تداولاً حتى أيامنا هذه، عدّتها ألف بيت، صنفها لولده «محمد الأسد»، وهي اختصار لمنظومته الكبرى «الكافية الشافية» التي تقع في 3000 بيت، وشُرّاح الألفية كُثُر، أشهرهم ابن الناظم (بدر الدين بن مالك)، وأبو حيان، وابن هشام في كتابه المشهور «أوضح المسالك» والمرادي، وابن عقيل وغيرهم. أما «الكافية الشافية» فقد شرحها ابن مالك نفسه.[154]

وله أيضاً «عمدة الحافظ وعدة اللافظ» وهو متن نثري صغير الحجم، شرحه ابن مالك وسماه «شرح عمدة الحافظ» طبع في مجلدٍ واحد. و«سبك المنظوم وفك المختوم» شبيهٌ بالتسهيل، و«إيجاز التعريف في علم التصريف»، و«التعريف في ضروري التصريف»، و«الفوائد النحوية» و«فتاوى في العربية».

ومن مؤلفاته اللغوية: «إكمال الإعلام بمثلث الكلام»، و«الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة»، و«تحفة المودود في المقصور والممدود»، و«رسالة في الاشتقاق»، و«ثلاثيات الأفعال»، و«ذكر معاني أبنية الأسماء الموجودة في المفصل»، و«لامية الأفعال».

---

[153] ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، 1967، ص: 64-66.

[154] عبد الكريم الأسعد، المرجع السابق، ص: 167.

- **ابن آجُرُّوم (723هـ):**

أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي[155]، فقيه ونحوي مغربي من صنهاجة، ويعرف بابن آجُرُّوم، آجُرُّوم كلمة أمازيغية معناها الفقير والصوفي، وكان جده داود أول من عُرف بهذا اللقب.

ولد ابن آجُرُّوم بفاس، ودرس فيها، وقصد مكة حاجاً مروراً بالقاهرة؛ حيث لبث مدة ودرس على النحوي الأندلسي أبي حيان وحظي بإجازته. وفي مكة عاش زمناً وألّف مقدمته الآجُرّومية، وعندما عاد إلى فاس لازم تعليم النحو والقرآن في جامع الحي الأندلسي إلى أن مات. اشتهر ابن آجُرُّوم بالتقوى والصلاح ووصفه معاصروه بأنه كان فقيهاً أديباً رياضياً، إماماً في النحو ومتبحراً في علوم أخرى منها التجويد وقراءة القرآن الكريم.

وقد اشتهر ابن آجُرُّوم بكتابه «المقدمة الآجُرُّومية في مبادئ علم العربية» أوجز فيه كتاب «الجُمَل في النحو» للزجّاجي في خمسة وأربعين ومئة باب تناولت أبواب النحو والصرف والأصوات والضرورات الشعرية، وهي مباحث سهلة الحفظ تتعلق بعلامات الإعراب وتصريف الأفعال وإعرابها وأنواع المعربات من الأسماء، فكانت أساس الدراسات النحوية في زمنه، وتأخذ بمبدأ الاختيار من المدرستين الكوفية والبصرية، مع أن ابن آجُرُّوم كان أقرب إلى مذهب الكوفيين على خلاف الزجّاجي الذي كان ميالاً إلى البصريين[156]. وقد ذاع صيت الآجُرّومية وكثر شرّاحها من النحويين ومنهم أحمد الفاكهي في كتابه «الكواكب الدرية في شرح متمّمات الآجُرّومية»، وإبراهيم الباجوري في كتابه «الدرة البهية في نظم الآجُرّومية» كما شرحها خالد بن عبد الله الأزهري وحسن الكفراوي وغيرهما.[157]

طبعت المقدمة عدة طبعات في البلاد العربية وفي روما وليدن وباريس ولندن وميونيخ وإسطنبول مع ترجمات إلى اللاتينية والفرنسية والإنكليزية والألمانية. واختُلف في الآجرّومية، فوصفها بعضهم بأنها قليلة النفع للمبتدئين الذين يحتاجون إلى بسط أوفى للقواعد،

---

[155] انظر في ترجمته: شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 12 ج، دار الجيل، بيروت، 1992، ص: 82/9-83، بغية الوعاة، ص: 238/1-239، نفح الطيب، ص: 128/7، شذرات الذهب، ص: 62/6.

[156] الطنطاوي، المرجع السابق، ص: 365.

[157] انظر إلى شروحه في كتاب كشف الظنون، ص: 1296/2.

وذلك لإمعانها في الإيجاز، ورآها آخرون صالحة كي تكون أساس الدراسات النحوية للمبتدئين لسهولتها.

- **أبو حيّان (745هـ):**

أبو حيّان أثير الدّين محمد بن يوسف بن عليّ الأندلسيّ الغرناطيّ[158]، من كبار علماء العربيّة والتفسير والقراءات والفقه والتراجم والحديث في عصره. وُلد بمَطَخْشارش من غرناطة، وأكبّ منذ نعومة أظافره على دراسة القرآن والحديث وعلوم اللُّغة العربية. وأَخذ عن طائفة من علماء غرناطة، منهم أبو جعفر بن الزبير، وحازم القرطاجني، وأبو جعفر بن الطبّاع، وعلي بن محمد الباجي، وغيرهم.

ثمّ اتّفق أن ارتحل أبو حيّان عن غرناطة إلى المشرق سنة 678هـ، وزار الحجاز والعراق والشام والإسكندرية، ثمّ استقرّ في القاهرة سنة 680هـ، وكانت الحركة العلمية فيها مزدهرة. ثمّ أخذ نفسَه بالجدّ في طلب العلم مرّة أخرى، فأخذ عن طائفة من أعيان مصر، منهم: أبو طاهر إسماعيل بن هبة الله المَليجي، وابن النقيب محمد بن سليمان، وابن النحاس محمد بن إبراهيم، ومحمد بن علي الشاطبي، وغيرهم.

وكان لأبي حيّان إقبالٌ على الطلبةِ الأذكياء، وعنده تعظيمٌ لهم. وقد استوى أبو حيّان مدرّساً في علم التفسير والعربيّة في الجامع الأقمر ثم في قُبّة السلطان المنصور سنة 710هـ، وانثال عليه التلاميذ يفيدون منه حتى صار بعضهم أئمة وأشياخاً. ومِمّن انتفع به: ابن مكتوم أحمد بن عبد القادر، والحسن بن قاسم المرادي، وخليل بن أيبك الصفدي، وناظر الجيش محمد بن يوسف، وعلي بن عبد الكافي السبكي، وعبد الرحيم الإسنوي، وابن عقيل، وغيرهم خَلْق كثير.

---

158 انظر في ترجمته: الوافي بالوفيات، ص: 5/267-283، فوات الوفيات، ص: 4/71-78، غاية النهاية، ص: 2/285-286، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 4 ج، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1993، ص: 4/302-310، النجوم الزاهرة، ص: 10/111-115، بغية الوعاة، ص: 1/280-285، نفح الطيب، ص: 2/535-584، محمد الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مجلدان، دار الكتاب الإسلامي، ص: 2/288-291، شذرات الذهب، ص: 6/145، محمد عبد الله قاسم "أبو حيان" الموسوعة العربية، ص: 8/683.

ترك أبو حيان كُتُباً كثيرةً في علوم العربية والقرآن والتراجم تنمّ على ثقافة واسعة، وصل بعضها وطوى الزمن بعضها الآخر فيما طوى من ذخائر. له في التراجم «تحفة النُّدَس في نحاة الأندلس»، و«مجاني الهصر في آداب وتواريخ أهل العصر»، وله في العربيّة «التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل»، ومختَصَرُه «ارتشاف الضرب من لسان العرب»، قال السيوطي فيهما: "ولم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين، ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأحوال وعليهما اعتمدت في كتابي جمع الجوامع"[159]، و«تذكرة النحاة»، و«النكت الحسان في شرح غاية الإحسان"، وغيرها.

على أن شهرة أبي حيان قامت على كتابه «تفسير البحر المحيط»، وهو من أَوْعب كتب التفسير وأوسعها. شرع في تصنيفه سنة 710هـ، وقدّم بين يدي الكتاب مقدمة تكلّم فيها على العلوم التي ينبغي أن يحيط بها المفسّر وهي (اللغة والنحو والبيان والحديث وأصول الفقه والكلام والقراءات) وذكر بعض مظان هذه العلوم، وشيوخه الذين أخذ عنهم هذه العلوم.[160]

وقد اختطّ لنفسه نهجاً سار عليه، وهو أن يبدأ بالكلام على مفردات الآية المراد تفسيرها لفظة لفظة، ثم يذكر سبب نزولها إن كان لها سبب، ونسخها، ومناسبتها لما قبلها، ثم يحشد قراءاتها شاذّها ومستعملها، ويوجه ذلك في علم العربية، ثم ينقل أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، وإذا تكرّرت لفظة أو جملة أو آية اجتهد ألّا يعيد الكلام، وذكر الحوالة على الموضع الذي تكلّم فيه عليها. وإذا كانت الآية من آيات الأحكام نقل أقاويل الفقهاء الأربعة، وأحال على كتب الفقه التي بسطت المسألة التي يتكلّم عليها، ثم يذكر في آخر الآيات فوائد في علم البيان والبديع، ثم يُجْمِلُ معاني الآيات في كلام منثور، وقد ينجرّ في هذا الملخّص معانٍ لم يتقدم تفسيرها.[161]

كان أبو حيان على مذهب ابن الضائع في منع الاحتجاج بالحديث لاحتمال أن يكون كثير منه قد رُوي بالمعنى، ولوجود بعض الأعاجم الذين يجوز أن يكون اللحن قد فشا على

---

159 بغية الوعاة، ص: 282/1.

160 أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 8 ج، ط 1، تحقيق عادل أحمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص: 99/1-101.

161 المصدر نفسه، ص: 103/1.

ألسنتهم في سلسلة روايته أحياناً، ومن أجل هذا ردّ على ابن مالك احتجاجه بالحديث بكلام مُسْهِب في شرحه الطويل للتسهيل.[162]

وقد وصل تعلّق أبي حيّان بمذهب الظاهر بينه وبين ابن مضاء في الاتجاه، ولكنّه لم يدعُ كابن مضاء إلى إلغاء نظرية العامل في النحو ولا إلغاء القياس، وإنما اكتفى بتقديم السماع على القياس وخاصّة إذا تعارضا، وبالدعوة المتكرّرة إلى نبذ الخلافات العقيمة في المسائل النحوية وإلى إلغاء ما يتعلق به النحاة من كثرة التعليل للظواهر اللغوية والنحوية ومن كثرة التمارين غير العملية.

وقد أكثر أبو حيّان من تعقّب الزمخشري خاصّة في تفسيره المسمّى بـ «البحر المحيط» كما أكثر من معارضة الكوفيين - ومن يتابعهم أحياناً كابن مالك – في قياسهم على المسموع الشاذّ الذي يُفضي على حدّ قوله إلى التباس الدلالات وصور التعبير، وأكثر كذلك من التعصّب لسيبويه وجمهور البصريين ومن الأخذ بجمهرة آرائهم؛ ممّا جعله يقف في صفّ مقابل لابن مالك وما انتهجه لنفسه من الاعتدال بمتابعة الكوفيين والبصريين على حدّ سواء دون التعصب لأحد الفريقين فأكثر لذلك من التصدّي له ومن مخالفته في الرأي وتزيد في ذلك كثيراً .[163]

ولم يكن علم أبي حيّان بالنحو مقصوراً على اطلاعه الواسع على آراء النحاة السابقين ومواقفهم في المسائل النحوية، بل كانت له وراء ذلك اجتهادات وتخريجات وآراء متنوعة انفرد بها وهي مبثوثة في مؤلفاته النحوية وفي كتب السيوطي خصوصاً كتاب جمع الجوامع وشرحه همع الهوامع.

---

[162] عبد الكريم الأسعد، المرجع السابق، ص: 174.

[163] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص: 321-322.

المدرسة النحوية في مصر والشام

ظهرت دراسة النحو في مصر والشام في وقت مبكر عقب الفتوح الإسلامية، فقد اقترنت هذه بتعليم قراءة القرآن الكريم. فكان القراء يعلمون مبادئ النحو للاستعانة بها على تجويد القرآن الكريم، ومن أقدم هؤلاء القراء الذين قاموا بهذا العمل الجليل عبد الرحمن بن هرمز تلميذ أبي الأسود الدؤلي الذي قدم إلى مصر وأقام بها وتوفي بالإسكندرية. غير أن القطرين مصر والشام في عصورهما الأولى لم يكونا مهداً وثيراً للنحو كما كانت بلاد العراق، فرحل جيل من المؤدبين منهما إلى بلاد العراق لينهلوا النحو من منابعه ويسمعوا عن علمائه، ثم عادوا لينشروه في القطرين، غير أنهم كانوا يُعَدّون على الأصابع. ففي مستهل الحياة العربية فيهما كان عدد النحاة قليلاً جداً.[164]

وكانت مصر أسبق من الشام إلى الدراسة النحوية، لأنّ الشام كانت مشغولة بالدراسات الإسلامية كما كانت أكثر صلة بالفصحى، فلم تشعر بحاجة ماسة إلى الدراسات النحوية منذ نشأتها[165]. وأول نحوي بمصر حمل راية النحو بمعناه الدقيق هو النحويّ المعروف بولاّد تلميذ الخليل بن أحمد البصري، وكان يعاصره في مصر أبو الحسن الأعزّ تلميذ الكسائي الكوفي. وبذلك اتصلت الدراسات النحوية بمصر في زمن مبكّر بإمامي المدرستين البصرية والكوفية.[166]

ازدادت العناية بالدراسات النحوية في عهد الدولتين الفاطمية والأيوبية؛ أي من منتصف القرن الرابع إلى أوائل السابع تقريباً، غير أنّ نصيب الشام منها كان أقل من مصر نظراً لحالات الاضطراب السياسي الذي كانت تعاني منه البلاد من جراء عدوان الصليبيين وتهديد التتار.[167]

مضت الحقبة الطويلة التي ولي فيها المماليك القطرين، وكأن الله أراد أن يعيد إلى المسلمين فيهما بعض ما رأوه في العراق إبان مجده الزاهي، فقامت القاهرة مقام بغداد؛ وكما

---

[164] الطنطاوي، المرجع السابق، ص: 126.

[165] السيد رزق الطويل، الخلاف بين النحويين، ط 1، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1985، ص: 550-551.

[166] عبد الكريم الأسعد، المرجع السابق، ص: 180.

[167] السيد رزق الطويل، المرجع السابق، ص: 553-554.

ورثتها في الخلافة العباسية نابت عنها في النهوض بالثقافة العلمية، فلا غرو أن القطرين كانا آنئذ ملتقى علماء المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها.[168]

إن مدرسة مصر والشام في أول نشأتها كانت شديدة النزوع إلى المذهب البصري، حتى إذا كان القرن الرابع الهجري أخذت هذه المدرسة تترسم المنهج البغدادي، وما شرعه من تصحيح آراء المذهب البصري تارة، وتصحيح آراء المذهب الكوفي تارة ثانية، مع ترك المذهبين تارة ثالثة، والأخذ بآراء المذهب البغدادي فضلاً عن آرائها الاجتهادية المستقلة في كثير من المسائل النحوية[169]. وفيما يأتي تعريف بأهم النحاة في هذه المدرسة.

- **أبو جعفر النحاس (338هـ):**

أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس[170]، نحوي مشهور، وأديب، ومفسر. ولد في مصر، وبها نشأ وتلقى علومه الأولى على يد طائفة من علمائها، أبرزهم محمد بن الوليد ابن ولاد المصري، وبكر بن سهل الدمياطي، والحسن بن غُلَيْب الأزدي المصري، ولم يكتف النحاس بما حصله من علم في موطن نشأته، فارتحل إلى بغداد عاصمة الخلافة آنذاك وقبلة الطلاب والعلماء، فنهل علوم العربية والقرآن والحديث من أشهر علمائها، وأغلب الظن أن ارتحاله إلى بغداد كان بُعَيْدَ وفاة المبرد بقليل، فأخذ النحو عن أصحابه البصريين وفي مقدمتهم الزجّاج الذي قرأ عليه كتاب سيبويه ولازمه مدة، وأخذ الأدب والنحو وشيئاً من المرويات عن الأخفش الأصغر وابن كيسان، وتتلمذ أيضاً على أصحاب ثعلب من أمثال نِفْطَويه وأبي بكر بن شقير وأبي بكر بن الأنباري وابن رستم الطبري. وذُكِرَ أيضاً أنه أخذ القراءات عن ابن شنبوذ والداجوني، والحديث عن النسائي والبغوي. وفي طريق عودته إلى مصر مر بالكوفة والأنبار والرملة وغزة وسمع من علماء هذه المدن. ولم تشر المصادر إلى المدة التي قضاها النحاس في رحلته العلمية.

---

[168] الطنطاوي، المرجع السابق، ص: 158.

[169] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص: 371.

[170] انظر في ترجمته: طبقات النحويين، ص: 220-221، نزهة الألباء، ص: 291، معجم الأدباء، ص: 230-224/4، إنباه الرواة، ص: 101/1-104، وفيات الأعيان، ص: 99/1-100، الوافي بالوفيات، ص: 362/7، النجوم الزاهرة، 300/3، أعلام النبلاء، ص: 401/15-402، بغية الوعاة، ص: 362/1، شذرات الذهب، ص: 346/2، نبيل أبو عمشة "أبو جعفر النحاس" الموسوعة العربية، ص: 500/20.

ومهما يكن فقد استقر به المطاف في بلده مصر متصدراً للتدريس والإملاء، وأغلب الظن أن صلته بأستاذه الأخفش الأصغر لم تنقطع بعد عودته إلى مصر؛ لأن هذا الأخير ارتحل إليها سنة 287هـ وأقام بها مدرساً حتى 300هـ، وهو ما يفسر لنا كثرة ما رواه النحاس سماعاً عن الأخفش هذا في النحو والتفسير والأدب.

حظي النحاس في مصر بشهرة واسعة، وكان واسع العلم غزير الرواية كثير التأليف متواضعاً لا يتكبر أن يسأل الفقهاء وأهل النظر ويناقشهم عما أشكل عليه في تأليفاته، ولشهرته أقبل عليه طلبة العلم من مصر وغيرها ولاسيما الأندلس، وعن طريق الأندلسيين انتشرت مصنفاته وروايته لبعض الكتب في بلادهم، ومن أشهر تلامذته أبو بكر الإدفوي المصري الذي لازمه وروى عنه مصنفاته، ومحمد بن يحيى الأزدي الرباحي من سكان قرطبة، وهو الّذي حمل عن النحاس كتاب سيبويه روايةً، ودرّسه لطلابه في قرطبة، وظل نحاة الأندلس من بعده يتوارثون رواية نسخته المضبوطة، وبذلك كان للنحاس فضل بث دراسة كتاب سيبويه في الأندلس وما رافق ذلك من نهضة الدراسات النحوية، ومنهم أيضاً محمد بن مفرج المعافري القرطبي، روى عن النحاس بعض تصانيفه كالمعاني وإعراب القرآن والناسخ والمنسوخ، وحملها إلى الأندلس.

وتحسن الإشارة إلى أن النحاس كان في نحوه ذا نزعة بصرية واضحة، لكنه لم يُعْرض عن حكاية أقوال الكوفيين والأخذ ببعض توجيهاتهم أحياناً، وكان كثير التأليف، مصنفاته تزيد على الخمسين، وهذه المصنفات تُظهر سعة ثقافته في النحو والأدب وعلوم القرآن والحديث. وآثاره المطبوعة هي: «معاني القرآن» و«إعراب القرآن» و«التفاحة في النحو» و«شرح القصائد التسع المشهورات» و«الناسخ والمنسوخ».

وأشهر مصنفاته كتاباه: «معاني القرآن»، و«إعراب القرآن»، وقد وصفها صاحب «الإنباه» بقوله: "هما كتابان جليلان أغنيا عما صنف قبلهما في معناهما"[171]. والنحاس ـ فيما انتهى إلينا ـ أول من فصل بين المعاني والإعراب بعد أن درج سابقوه على المزج بينهما، وآخرهم شيخه الزجّاج الذي صنف كتابه المشهور «معاني القرآن وإعرابه»، وقد وصف النحاس صنيعه في كلا الكتابين، فقال في مقدمة المعاني: "قصدت في هذا الكتاب

[171] إنباه الرواة، ص: 101/1

تفسير المعاني والغريب وأحكام القرآن والناسخ والمنسوخ عن المتقدمين من الأئمة... وأبيّن تصريف الكلمة واشتقاقها إن علمت ذلك، وآتي من القراءات بما يحتاج إلى تفسير معناه..."[172]، والكتاب مطبوع في ستة مجلدات، قال في مقدمة الإعراب: "هذا كتاب أذكر فيه - إن شاء الله - إعراب القرآن، والقراءات التي تحتاج إلى أن يُبيّن إعرابها والعلل فيها، ولا أخليه من اختلاف النحويين وما يُحتاج إليه من المعاني... وقصدنا في هذا الكتاب الإعراب"[173]. والكتاب مطبوع في خمسة مجلدات.

وأما «التفاحة في النحو»، فهو من المختصرات النحوية خاطب به النحاس المبتدئين نائياً به عن خلافات النحويين ومناقشاتهم. وشَرْحُ القصائد التسع المشهورات هو شرح لما عرف باسم المعلقات السبع مضافاً إليها قصيدتا الأعشى والنابغة، وقد غلب عليه الطابع اللغوي ولم يخل من بعض التوجيهات الإعرابية.

توفي النحاس في مصر غرقاً في النيل، وذلك أنه جلس على درج المقياس بمصر على شاطئ النيل وهو في مدّه وزيادته، ومعه كتاب العروض وهو يُقطّع منه بحراً، فسمعه بعض العوام، فقال: هذا يسحر النيل حتى لا يزيد، فتغلو الأسعار، ثم دفعه برجله، فذهب في المد، فلم يُوقف له على خبر.

- **ابن برّي (582هـ):**

أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بَرّي بن عبد الجبار بن بَرّي، المشهور بابن بَرّي[174]، المقدسي أصلاً، المصري مولداً، الشافعي مذهباً. ولد بمصر وطلب العلم صغيراً، وتلقى علومه على مشايخ زمانه من المصريين والقادمين إلى مصر. ونبغ واشتهر

---

[172] أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، 6 ج، ط 1، تحقيق محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، 1988، ص: 42/1.

[173] أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، 5 ج، ط 1، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص: 13/1.

[174] انظر في ترجمته: معجم الأدباء، ص: 56/12-57، إنباه الرواة، ص: 110/2-111، وفيات الأعيان، ص: 108/3-109، الوافي بالوفيات، ص: 80/17-84، النجوم الزاهرة، 103/6-104، بغية الوعاة، ص: 34/2، شذرات الذهب، ص: 449/6-450، محمد الدالي "ابن بري" الموسوعة العربية، ص: 54/5.

فاختُير وهو في الحادية والعشرين ليتولى التصفح في ديوان الإنشاء الفاطمي. وقد أعانه في ذلك ثقافته التي أغناها اطلاعه على الكتب الموجودة في دكان أبيه الذي كان وراقاً.

ومن أشهر شيوخه الذين أخذ عنهم العربيّة واللغة والأدب أبو القاسم علي بن جعفر السّعدي المعروف بابن القطّاع، وأبو عبد الله محمد بن بركات السّعيدي، وأبو بكر محمد بن عبد الملك الشَّنتريني المعروف بابن السّراج وسمع الحديث من جلة من المحدثين.

كان ابن بَرّي إماماً مشهوراً في النحو واللغة والرواية والدراية، وكان علّامة عصره وحافظ وقته، وشيخ العربية بمصر في زمانه، وكان عالماً بكتاب سيبويه وعلله، واسع الاطلاع، جمّ الفوائد، معنيّاً بشواهد اللغة العربية.

تصدّر للإقراء بجامع عمرو بن العاص، وقصده الطلاب للأخذ عنه، ومن أشهر تلامذته: أبو الجيوش عساكر بن علي الصوري، وأبو المحاسن مهلب بن الحسن البهنسي وعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الفقيه الحافظ، وهبة الله بن جعفر بن سناء الملك القاضي وغيرهم.

ألَّف ابن برّي في فنون من العلم مختلفة. وأكثر مؤلفاته حواش على كتب تعدّ من الأصول المشهورة التي صنفها كبار العلماء. وقد سلِم أكثر مؤلفاته، وضاع بعضها، وهي: «الاختيار في اختلاف أئمة الأمصار» و«جواب المسائل العشر». وهو جوابه عن «المسائل العشر المتبعة إلى الحشر» لأبي نزار الملقب بملك النحاة. حاشية على «تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة» للجواليقي، وحاشية على «درة الغواص» للحريري، وحاشية على «المؤتلف والمختلف» للآمدي، وحاشية على «المعرّب» للجواليقي وحواشيه على «الصحاح» للجوهري.

لقد كتب ابن برّي حواشيه على الصحاح كله واستفرغ فوائدها ابن منظور في «لسان العرب»، وهو أحد الأصول الخمسة التي عوّل عليها في تأليف كتابه، وسماه «أمالي ابن بري». كتب ابن بري حواشيه على نسخته من الصحاح، ثم أفردت الحواشي عن أصلها فجاءت في ست مجلدات وسماها مَن أفردها «التنبيه والإيضاح عما وقع

في كتاب الصحاح» كما قال ابن القفطي في «إنباه الرواة»[175]. ومن مؤلفاته أيضاً شرح «أدب الكاتب» لابن قتيبة وشرح «شواهد الإيضاح» لأبي علي الفارسي.

- **ابن يعيش (643هـ):**

أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا الأسدي، الموصلي، الحلبي المولد والمنشأ، ويعرف بابن الصائغ[176]. ولد بحلب، ولا يُعرف شيءٌ عن بدايات ابن يعيش العلمية؛ مما يفترض أنه قرأ مبادئ النحو والعلوم الشائعة في عصره على شيوخ مدينته، ولما بلغ الرابعة والعشرين رحل قاصداً بغداد ليدرك العلاّمة أبا البركات عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الأنباري ليقرأ عليه، فلما وصل إلى الموصل بلغه خبر وفاته، وكان ذلك عام 577هـ فأقام في الموصل مدةً قصيرة وسمع الحديث من بعض علمائها.

وتابع ابن يعيش طلب العلم، ولما عزم على التصدّر للإقراء توجّه إلى دمشق واجتمع بالشيخ أبي اليُمن زيد بن الحسن الكِنْدي وبادره ابن يعيش بسؤال في النحو فأقرّ له أبو اليُمن بالعلم وعرف مكانته في النحو، ولازم ابن يعيش بعد ذلك مدينة حلب مواظباً على التدريس وإفادة الطلاب حتى وفاته فيها.

صنف ابن يعيش كتابين مشهورين هما «شرح المفصَّل»، و«شرح التصريف الملوكي»، أما الأول فهو شرح مستفيض لكتاب «المفصّل في علم العربية» الذي ألفه محمود بن عمر الزمخشري، وقد جعله في أربعة أقسام: الأسماء، الأفعال، الحروف، المشترك (كالإدغام والإعلال والإبدال والإمالة) وجعل منه متناً موجزاً جامعاً... ولما كان ابن يعيش يدرّس طلابه هذا الكتاب اتجه إلى شرحه، ويبدو أنه بدأ بالشرح وعاد إلى إكماله بعد أن جاوز السبعين، ولم يكن المفصل بين يديه سوى تُكَأَة ليتسع من خلاله في الشرح والتفسير ليشمل الشرحُ النحوَ العربيَّ بأصوله وقواعده وعلله ومسائله وخلافات أئمته

---

[175] إنباه الرواة، ص: 110/2.

[176] انظر في ترجمته: إنباه الرواة، ص: 45/4-50، وفيات الأعيان، ص: 46/7-53، أعلام النبلاء، ص: 144/23-145، بغية الوعاة، ص: 351/2-352، شذرات الذهب، ص: 394/7-395، عبد الإله نبهان "ابن يعيش" الموسوعة العربية، ص: 529/22.

ومجادلاتهم، كل ذلك مع التحليل والمناقشة وترجيح الآراء والانتصار للمذهب البصري عامة وآراء سيبويه خاصة.

وتألفت مادة الشرح من أبواب النحو والتصريف منسوقة على ترتيب الزمخشري مدعمة بالشواهد والعلل. وقد شرح ابن يعيش عبارة الزمخشري، وأورد آراء النحاة ومسائل الخلاف وشرح اللغات، وأتى بشواهد غزيرة من القرآن الكريم والشعر وكلام العرب والحديث النبوي. وقد برز في شرحه عنايته بالحدود ومناقشته لها، كما عني بتفسير المصطلحات النحوية وشرح المفردات اللغوية والشواهد الشعرية، ومن أبرز ما يلاحظ لديه تقديمه النحو ممزوجاً بعلم المعاني وكأنهما علم واحد، كما يلاحظ في الشرح بروز ظاهرة الجدل النحويّ من خلال حسن السؤال والجواب بغرض الارتقاء من تصوّر إلى تصوّر ومن قولٍ إلى قول، وقد رجع ابن يعيش إلى مراجع نحوية ولغوية وأدبية كثيرة منها ما ذكره صراحةً ومنها ما نقل عنه ولم يذكره ومنها ما اكتفى باسم مؤلفه، ومن هذه المراجع الغزيرة الغنية استمد الشارح مادة شرحه مع حرص على إيراد الآراء والموازنة بين رأي ورأي.[177]

أما كتابه الثاني فهو شرح لكتاب «التصريف الملوكي» لمؤلفه عثمان بن جني أبو الفتح، وقد عني ابن يعيش بهذا المتن وشرحه إبّان شرحه للمفصل، واتبع فيه الطريقة نفسها، فكان يورد فِقْرةً من كتاب ابن جني ثم يتبعها بشرحه وبسط علله. وكان يستطرد كثيراً؛ لأن كتاب ابن جني شديد الإيجاز، وابن يعيش يتجه إلى الإحاطة والشمول والإكثار من الشواهد والاحتجاج بالقرآن والشعر وكلام العرب. وقد استعان كثيراً بكتاب «المنصف: شرح تصريف المازني» لابن جني.[178]

- **ابن الحاجب (646هـ):**

ابن الحاجب هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر، الملقّب بجمال الدين، الدويني الأصل، الإسنائي المولد[179]، وُلد سنة 570 في إسنا في صَعيد مصر، وكان أبوه جُنديًّا حاجبًا

---

[177] عبد الإله نبهان، ابن يعيش النحوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997، ص: 157-159.

[178] المرجع نفسه، ص: 263-265.

[179] انظر في ترجمته: وفيات الأعيان، ص: 3/248-250، أعلام النبلاء، ص: 23/264-266، فوات الوفيات، ص: 3/9، الديباج المذهب، ص: 2/86-89، غاية النهاية، ص: 1/508-509، النجوم الزاهرة، 6/360، بغية الوعاة، ص: 2/134-135، شذرات الذهب، ص: 7/405-407.

للأمير عز الدين الصلاحي - وهو ابن خال السُّلطان صلاح الدين الأيوبي - قدم به أبوه إلى القاهرة، فحفظ القرآن، وبدأ الاشتغال بالعلم في صغره.

استوطن ابن الحاجب مصر، ثم استوطن الشام، ودرس بجامعها في الزاوية النورية المالكيَّة، ثم رجع إلى مصر فاستوطنها سنة 638هـ، وتعلَّم بالقاهرة القراءات والفقه المالكي، ثم اتَّجه إلى اللغة وانصرف إليها تماماً، وتصدَّر بالمدرسة الفاضليَّة بالموضع الذي كان يدرس فيه الشاطبيُّ، وقصده الطلبة، ثم توجه إلى الإسكندرية؛ ليقيم بها، فلم تطل مدته هناك. وكان ابن الحاجب علامة زمانه، ورئيس أقرانه، استخرج ما كَمُنَ من درر الفهم، ومزج نحوَ الألفاظ بنحو المعاني، وأسَّس قواعد تلك المباني.

تتلمذ ابن الحاجب على يدي ثلة كبيرة من العلماء والمحققين الكبار في عصره، ومنهم الإمام الشاطبيُّ أبو محمد قاسم بن فِيرُّه، وأبو القاسم هبة الله بن علي البوصيري، والحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم بن عساكر، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الأرتاحي وغير هؤلاء كثير.

وتتلمذ على يد ابن الحاجب طائفة كبيرة من الأئمة والأعيان، ومن أشهرهم زكي الدين المنذري، والملك الناصر، وأبو شامة المقدسي، وابن مالك صاحب الألفية، وابن المُنَيّر، وشرف الدين الدمياطي وغير هؤلاء كثير.

لقد رُزق ابن الحاجب حُسن التصنيف، وبراعة التأليف، مع جودة تدلُّ على تمكنه وحذقه، ورزقت مؤلفاته القَبول، وطارت في الآفاق، وسارت بها الركبان، وقد تنوعت هذه المؤلَّفات في شتَّى العلوم، ومن أهم مصنَّفاته:

«الكافية» هو مختصر تعليمي في النحو العربي، وقد حظِي هذا المصنَّفُ في النحو العربي باهتمام كبير من العلماء، وانتشر انتشاراً واسعاً في الآفاق؛ فمنذ أن ألَّفها ابن الحاجب تتابعت عليها شروح العلماء، بدءاً من مؤلِّفها نفْسه، ومنهم من أعربها كلمةً كلمة، ومنهم من نظمها؛ ليسهل حفظها، ومنهم من اختصرها أيضاً، بل إنَّ منهم من ترجمها إلى غير العربية، وفي كتاب كشف الظنون أسماء هذه الشروح الكثيرة وأسماء مصنّفيها، ومن أهمّ شروحها شرح الجامي، وأهمّها على الإطلاق شرح الرضي الاستراباذي. انتشرت مخطوطات متن الكافية في سائر البلدان، وأيضاً حظيت الكافية باهتمام كبير من قبل الدَّارسين المُحدَثين، وما

ذلك إلَّا لحسن تصنيفها وجودتها وإتقانها، إضافةً إلى ما حباها الله تعالى من قَبول، كسائر مصنَّفات ابن الحاجب. وقد قام ابن الحاجب بشرح الكافية، كما قام أيضاً بنَظْمها، وسمَّى هذا النظم: «الوافية في نظم الكافية»، وقام بشرحه، وسماه: شرح الوافية نظم الكافية. فصارت أربعة كتب لابن الحاجب كلها عن الكافية، المتن الأصلي، وشرح المتن، نظم الكافية، وشرح النظم .[180]

«الشافية» وهي مقدمة وجيزة في التصريف وملحقة بالكافية ومتمِّمة لها في عِلمَي التصريف والخط، وقد اشتهرت شهرة كبيرة أيضاً، واعتنى بها العلماء كذلك، وله شرح مختصر عليها أيضاً. وقد شرح الرضي الاستراباذي الشافية أيضاً شرحاً لا يكاد يدانيه شرح آخر.[181]

«الأمالي» وهو كتاب في غاية الحسن والإفادة؛ اشتمل على فوائد غريبة، ونكات وقواعد وفيرة، و«الإيضاح» في شرْح المفصَّل للزمخشري، «المقصد الجليل في علم الخليل»، وهو نظم في العروض يقع في 171 بيتاً.

- **ابن هشام الأنصاري (761هـ):**

أبو محمد، جمال الدين، عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري[182]، من أشهر نحاة المئة الثامنة، ذاع صيته وانتشر حتى قال فيه ابن خلدون: "مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه"[183]. ولد ابن هشام في مدينة القاهرة، وبها نشأ ودرس على كثير من علمائها، فأخذ النحو عن الشيخ شهاب الدين عبد اللطيف بن المرحَّل، وأخذ علم القراءات عن الشيخ ابن السرَّاج المصري، وحَضَر دروس تاج الدين التبريزي وقرأ أيضاً على الشيخ تاج الدين الإسكندري النحوي. وتذكر المصادر

---

[180] ابن الحاجب، الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط، تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، 2010، ص: 4.

[181] المصدر نفسه، ص: 4-5.

[182] انظر في ترجمته: الدرر الكامنة، ص: 308/2-310، النجوم الزاهرة، ص: 336/10، بغية الوعاة، ص: 68/2-70، شذرات الذهب، ص: 191/6، البدر الطالع، ص: 400/1-402، نبيل أبو عمشة "ابن هشام" الموسوعة العربية، ص: 464/21.

[183] الدرر الكامنة، ص: 309/2.

أن ابن هشام لقي أبا حيان في أثناء رحلته إلى مصر وسمع منه «ديوان زهير بن أبي سلمى»، لكنه لم يلازمه ولم يقرأ عليه، بل كان شديد المخالفة له، كثير الانحراف عنه، والظاهر أن التنافس بينهما كان شديداً.

لقد أتقن ابن هشام علوم العربية ولاسيما النحو إتقاناً كاملاً حتى فاق الأقران والشيوخ، وقد صور ابن حجر العسقلاني بعضاً من ملامح شخصيته وثقافته حين قال: "وتصدّر ابن هشام لنفع الطالبين، وانفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة، والاستدراكات العجيبة، والتحقيق البالغ، والاطلاع المفرط، والاقتدار على التصرف في الكلام، والملكة التي كان يتمكن بها من التعبير عن مقصوده بما يريد، مسهباً وموجزاً، مع التواضع والبر والشفقة ودماثة الخلق ورقة القلب".[184]

تولى ابن هشام تدريس التفسير بالقبّة المنصورية بالقاهرة، وتولى قبل وفاته بخمس سنين التدريس بالمدرسة الحنبلية، وذلك أنه كان شافعياً ثم تحنبل[185]. تُوفي ابن هشام في القاهرة، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر، وخلّف ولدين هما محب الدين وعبد الرحمن، وثروة علمية تشهد له بغزارة علمه وعلوّ منزلته.

والناظر في مصنفات ابن هشام يدرك بوضوح الغاية التعليمية التي وضعت لأجلها تلك المصنفات، فقد راعى في تصانيفه مستوى الطلبة في كل مرحلة من مراحل الطلب وتدرجهم في فهم مسائل النحو ودقائقه، فخاطب الشداة بأسلوب سهل ميسّر بعيد عن الخلافات النحوية، وقد تجلى ذلك في كتابيه «قطر الندى» و«قواعد الإعراب»، وخاطب من توسّط منهم بأسلوب مغاير فيه شيء من البسط وعلوّ العبارة، وذلك في كتابيه «شذور الذهب» و«أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك».

أمّا من تقدّم في علم النحو واتسعت مداركه فقد خاطبه بكتابه المشهور «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» الذي اشتهر في حياته، لا في مصر وحدها، بل في الشام والمغرب أيضاً. قال ابن خلدون في مقدمته: "وصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان[186] منسوب إلى

---

184 الدرر الكامنة، ص: 2/308-309.

185 النجوم الزاهرة، ص: 10/336.

186 أي كتاب ضخم، وهو يعني كتاب «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب»

جمال الدين بن هشام من علمائها، استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصلة، وتكلم على الحروف والمفردات والجمل، وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها، وسمَّاه بالمغني في الإعراب. وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها، فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها".[187]

وهو كتاب ضخم يمثل مرحلة النضج في التفكير النحوي عند ابن هشام، وقد نوّه به في المقدمة، فقال: "ووضعت هذا التصنيف على أحسن إحكام وترصيف، وتتبعت فيه مقفلات مسائل الإعراب فافتتحتها، ومعضلات يستشكلها الطلاب فأوضحتها ونقحتها، وأغلاطاً وقعت لجماعة من المعربين وغيرهم فنبهت عليها وأصلحتها، فدونك كتاباً تُشَدّ الرحال فيما دونه، وتقف عنده فحول الرجال ولا يَعْدونه" .[188]

والكتاب في صميمه هو من كتب أعاريب القرآن، كما يدل على ذلك اسمه: «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب»، لكن ابن هشام أخذ على مؤلفي كتب الأعاريب مآخذ عدّدها في المقدمّة، ورأى أن يختط لنفسه منهجاً جديداً في إعراب القرآن يخلو من تلك المآخذ، فجاء به على تلك الصورة التي أراد، وقسمه إلى ثمانية أبواب، أفرد الأول لتفسير المفردات (حروف المعاني)، والثاني للجمل وأقسامها وأحكامها، والثالث لشبه الجملة، والأبواب المتبقية تناول فيها أحكاماً وقواعد كلية كلها يدور في فلك الإعراب وأصول صنعته. وهذا الكتاب بلا ريب من أجلّ كتب المتأخرين وأوسعها وأبعدها أثراً في المصنفات التالية، وقد لقي على ضخامته عناية كبيرة عند الشراح، فوضعت عليه عشرات الشروح وشروح الشواهد.

ولابن هشام - سوى ما تقدم - مؤلفات كثيرة، ومما طبع منها: «شرح بانت سعاد» و«الألغاز النحوية» و«الجامع الصغير»، وله «شرح أبيات ابن الناظم على الألفية» و«فوح الشذا في مسألة كذا» و«نزهة الطرف في علم الصرف» و«المباحث المرضية المتعلقة بمن الشرطية».

---

[187] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مجلدان، ط 1، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، 2004، ص: 370/2.

[188] ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1991، ص: 13-14.

- **ابن عقيل (769هـ):**

بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل، فقيه نحوي[189]، كان أسلافه يقيمون في همذان، ثم انتقلوا إلى بالس، وهي بلدة بين الرقة وحلب، ومنها إلى القاهرة، ولذا قيل في نسبه أيضاً: "الهمذاني الأصل ثم البالسي المصري".[190]

ولا يُعرف شيء عن نشأته الأولى سوى أنه قدم القاهرة واتجه إلى تحصيل العلوم على يد طائفة من علماء مصر آنذاك، فأخذ الفقه عن شيخ الشافعية زين الدين عمر المعروف بابن الكتاني، وقرأ النحو على أبي حيان الأندلسي ولازمه اثنتي عشرة سنة حتى صار من أَجَلِّ تلامذته، ولم يخف أبو حيان إعجابه بتلميذه، حتى قال فيه: "ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل"[191]، وأخذ الأصول عن العلاء القونوي ولازمه، وقرأ القراءات على شيخ القراء بالديار المصرية تقي الدين بن الصائغ ولازم جلال الدين القزويني صاحب كتابي «التلخيص» و«الإيضاح في علوم البلاغة»، فأخذ عنه الفقه وشيئاً من علوم العربية.

وقد أوصله اجتهاده في تحصيل هذه العلوم إلى ارتقاء منزلة عالية بين علماء عصره، وغدا "نحوي الديار المصرية" كما ذكر السيوطي في البغية[192]، وعمل ابن عقيل في القضاء، فأصبح نائباً لجلال الدين القزويني في محلة الحسينية، ثم نائباً لعز الدين بن جماعة في القاهرة.

وكغيره من علماء عصره عمل مدرساً في بعض مدارس القاهرة وزواياها، فدرَّس في المدرسة القطبية، وجامع القلعة (الجامع الناصري)، وفي الزاوية الخشابية بعد العز بن جماعة، ثم عيّن مدرّساً للتفسير بالجامع الطولوني بعد وفاة أستاذه أبي حيان، ففسر القرآن لتلامذته في مدة ثلاث وعشرين سنة، ثم شرع في تفسيره ثانية إلا أن منيته حالت دون ذلك.

---

189 انظر في ترجمته: الوافي بالوفيات، ص: 17/252-256، غاية النهاية، 1/428، الدرر الكامنة، ص: 2/266-269، النجوم الزاهرة، ص: 11/100-101، بغية الوعاة، ص: 2/47-48، شذرات الذهب، ص: 6/214-215، البدر الطالع، ص: 1/386-387، نبيل أبو عمشة "ابن عقيل" الموسوعة العربية، ص: 13/358.

190 بغية الوعاة، ص: 2/47.

191 الدرر الكامنة، ص: 2/267.

192 بغية الوعاة، ص: 2/47.

وقد خلف ابن عقيل عدداً من المصنفات في النحو والتفسير والفقه. أما النحو فله فيه كتابان حظيا بشهرة واسعة، أولهما شرح أملاه على ألفية ابن مالك، وهو من أحسن شروح الألفية وأيسرها عبارة، ارتسمت فيه معالم المنهج التعليمي، وقوامه سهولة العبارة ووضوحها، والابتعاد عن التفصيل، والإقلال من ذكر الخلاف بين النحويين. وقد ألمح مترجموه إلى حسن هذا الشرح لكنهم أخذوا عليه أنه اختصر في النصف الثاني جداً، والكتاب يخلو من خطبة أو مقدمة، ومنهجه هو إيراد بيت أو أكثر من أبيات الألفية معقباً عليها بالشرح واستخلاص القواعد مصحوبة بالشواهد المناسبة.[193]

وثاني الكتابين هو «المساعد على تسهيل الفوائد» شرح فيه كتاب «التسهيل» لابن مالك، بأسلوب لا يختلف عن أسلوبه في شرح الألفية من حيث وضوح العبارة وإيجازها، وقد صرح المؤلف في خطبته المختصرة بمنهجه حين قال: "هذا تعليق مختصر جمعته على تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد يسهل اقتناص شرائده، ويعين على استخراج فرائده، ويتكفل بتكميل عوائده وتوضيح مقاصده، ومزجته بأصله حتى صارا ككتاب واحد".[194]

- **السيوطي (911هـ):**

جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين، المشهور بالسيوطي، أو الأَسْيوطي، نسبة إلى مدينة أسْيوط في صعيد مصر[195]. هاجر جدّ السيوطي من الخُضيرة - وهي محلة في شرقي بغداد - إلى أسيوط واستقر بها، حيث وُلد كمال الدين والد السيوطي وانتقل فيما بعد إلى القاهرة، وتولى عدداً من المناصب، وقد توفي سنة 855هـ وابنه جلال الدين طفل في السادسة من عمره.

---

[193] بهاء الدين بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، جزآن، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 1/12-14.

[194] بهاء الدين بن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد، 4 ج، ط 1، تحقيق محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، 1982، ص: 1/1.

[195] انظر في ترجمته: في كتابه حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، مجلدان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، 1967، 1/335-339، الضوء اللامع، ص: 4/65-70، شذرات الذهب، ص: 8/51-55، نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، 3 ج، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، 1/226-231، البدر الطالع، ص: 1/328-335، إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مجلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص: 1/534-544، محمود فاخوري "السيوطي" الموسوعة العربية، ص: 11/484.

نشأ السيوطي في القاهرة يتيماً، وربّته أمه التي كانت جركسيةً من أصل فارسي. وكان والده قبل ذلك يصحبه في طفولته المبكرة إلى مجالس العلم وأهل الفضل، فرُبي في بيئة علمية منذ صغره، ولازم أقران والده من العلماء الذين رعوه حق الرعاية، وتابع مرحلة التلقي عن سائر الشيوخ الأعلام حتى بلغ عددهم نحو مئة وخمسين عالماً، فضلاً عمّن أخذ عنهم العلم بالإجازة فقط، حتى وصل عددهم جميعاً إلى ست مئة عالم تقريباً. وكان لهؤلاء الأفاضل أبعد الأثر في تكوينه العلمي ورقيّه درجات المجد فيما بعد.

وقد أوتي حافظة قوية، وذاكرة واعية، فحفظ القرآن الكريم في الثامنة من عمره، ثم بدأ يحفظ أمّات الكتب في العلوم الدينية واللغوية والبلاغية، وفي النحو والمنطق والأصول، كما رحل سنة 869هـ إلى بلاد الشام، فالحجاز للحج وعمره عشرون عاماً، وفي السنة التالية زار كبرى المدن في مصر، وكان يجتمع بأهل العلم في كل مكان ينزل فيه، فيأخذ عنهم ويأخذون عنه، حتى تصدر للإفتاء سنة 871هـ وهو في الثانية والعشرين من عمره. أما شيوخه فأبرزهم: جلال الدين المحلّي، شريكه في «تفسير الجلالين» وعلَم الدين البُلقيني، والشُّمُنّي النحوي، وسيف الدين الحنفي، ومحيي الدين الكافِيَجي، وابن قُطْلو بُغا الحنفي، وتقي الدين الشبلي، وغيرهم.

وكان لذلك كله أثر كبير في اتساع علمه ومعارفه وتكوينه الثقافي، حتى أحاط بمختلف الفنون والعلوم المعروفة في عصره. وأساس ذلك كله طموحه العلمي، وسعيه إلى أن يتفرد بين أقرانه، وصبره العجيب على البحث والدرس والمتابعة، شأنه في ذلك شأن الأعاجم المسلمين الذين أخلصوا في خدمة العلوم العربية والإسلامية.

أما من تتلمذوا له من طلاب العلم فهم كثُر، وقد أصبحوا فيما بعد من جهابذة العلوم العربية والإسلامية، ومنهم: شمس الدين الداودي، وابن طولون الدمشقي، وزين الدين الشماع، وعبد القادر الشاذلي، الذي ألّف كتاباً خاصاً في سيرة أستاذه السيوطي سماه «بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي».

ولما بلغ السيوطي الأربعين من عمره، اعتزل الناس، وانصرف إلى التأليف، وخلا بنفسه في منزله بروضة المقياس، على نهر النيل، فكان الأغنياء وأولو الأمر يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردّها معتذراً، وطلبه السلطان مراراً، فلم يحضر إليه.

كان السيوطي ذا قدرة عجيبة على التأليف؛ وقد بدأ به يافعاً في السابعة عشرة من عمره، حتى إنه لم يدع علماً معروفاً في عصره إلا وله فيه مؤلَّف أو أكثر، وقد عُدّت مؤلفاته بالمئات، وكانت تتزايد في حياته تزايداً مستمراً. ويروي عنه تلميذه عبد القادر الشاذلي أنه كان يصنف في اليوم الواحد ثلاث كراريس. ويذكر السيوطي نفسه أنه فسّر النصف الأول من القرآن الكريم في أربعين يوماً، بعد أن فسّر أستاذه جلال الدين المحلي قبله النصف الثاني منه ومات المحلي ولم يتمّه. ويبدو أنه كان يتخذ لنفسه طرائق خاصة تسهل له كثرة التصنيف وتوفر عليه كثيراً من الجهد والوقت، فضلاً عن اعتماده على مخزونه العلمي وما وعاه صدره منه. وبقي على ذلك حتى توفي بالقاهرة في حياة أمه، وقد ناهز الثانية والستين، بعد أن رأته عالماً ذائع الصيت، وبنت له ضريحاً لائقاً، وكانت تكثر من زيارته حتى أتاها اليقين ودفنت إلى جانبه.

وقد اختلف أهل العلم في تعداد مؤلفاته وطريقة إحصائها، حتى أوصلها بعضهم إلى الألف، على أن عبد القادر الشاذلي، تلميذ السيوطي، يذكر في كتابه «بهجة العابدين» أنه لزم السيوطي نحواً من أربعين سنة، وكتب من مؤلفات أستاذه كثيراً، له ولغيره، من أهل مصر والشام وحلب والحجاز واليمن والروم والمغرب والتكرور والعجم وغيرها، ويقول الشاذلي: "وفي آخر الأمر، بالقرب من وفاته، قرأت عليه الفهرست المتضمن لأسماء مؤلفاته التي استقر رأيه على إبقائها وإظهارها ونشرها، وهي قريب من نحو ست مئة مؤلف، وأجازني رحمه الله برواية جميعها...."[196].

ومن مؤلفات السيوطي كتاب «الإتقان في علوم القرآن»، وله مع الجلال المحلّي التفسير المشهور المعروف بتفسير الجلالين، وله أيضاً واحد من أشهر كتب التراجم وأكثرها تداولاً وهو «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»، ومن أجود كتب السيوطي اللغوية «المزهر في علوم اللغة وأنواعها» ومن أفضل كتبه النحوية «الأشباه والنظائر» الذي طبق فيه على فروع العربية المنهج الذي اتخذه الفقهاء في مصنّفاتهم للأشباه والنظائر في فروع الفقه، و«الاقتراح» وهو كتاب صغير في علم أصول النحو وجدله، لخّص فيه تلك الأصول وأبان طرق الجدل فيها، وقد اعتمد فيه كثيراً على كتابَيْ «لمع الأدلّة» و«الإغراب في جدل

196 عبد القادر الشاذلي، بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الإله نبهان، دمشق، 1998، ص: 121.

الإعراب» وكلاهما لابن الأنباري، وتناول فيه السماع والإجماع والقياس واستصحاب الحال والتعارض بين الأدلّة والترجيح بين مذهبَيْ البصريين والكوفيين مستضيئاً في كل ذلك بعلم أصول الفقه .[197]

وله في النحو أيضاً شرح على مغني ابن هشام سمّاه «الفتح القريب على مغني اللبيب» وشرح لشواهد المغني وشرح لألفية ابن مالك سمّاه «البهجة المضيّة في شرح الألفية» وأشهر كتبه النحوية «جمع الجوامع وشرحه همع الهوامع» وهو شامل لآراء النحاة من مختلف المدارس، ومع كل رأي حججه وقد جمعها من نحو مئة مصنّف لعلّ أهمّها «ارتشاف الضرب» لأبي حيّان الأندلسي، وهو يستقصي فيه آراء النحاة حتى عصره استقصاءً دقيقاً[198]، أمّا آراؤه النحوية فيه وفي سائر كتبه النحوية فهي في جمهورها اختيارات من آراء سابقيه، وهو بذلك يجري في اتجاه مدرسته التي كان أفرادها لا يزالون يتخيّرون من الآراء النحوية ما تستقيم حججه وبراهينه عندهم، وله وراء ذلك تحقيقات خاصة لا بأس بها.

اللغة العربية في العهد العثماني

تطوّرت اللغة العربية وتقدمت في كل المناطق الجغرافية التي انتشرت فيها لأسباب دينية وسياسية، مما لا شك فيه أن أحد أكبر المساهمات في هذا التطور كان العمل الذي قام به المصريون في الجنوب والأتراك العثمانيون في الأناضول. خصوصاً بعد غزو وتدمير بغداد من قبل المغول، استمرت الحياة العلمية في هذه المناطق الجغرافية التي ذكرناها.

هذا النوع من التطوير لقد ازداد لمصلحة الأتراك العثمانيين في القرن السادس عشر وأدّى إلى تفوّقهم، والسبب في ذلك نقل الحياة العلمية من المناطق التي انتصرت فيها الفتوحات إلى الدولة العثمانية والقيمة التي أعطاها السلاطين العثمانيون للعلم والعلماء. خاصة مع عمليات الضم التي حدثت في عهدَي السلطان سليم وسليمان القانوني، تم الدخول في حوار

---

[197] جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تحقيق عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، دمشق، 2006، ص: 15-20.

[198] انظر في كتاب همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 4 ج، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص: 1/17-18.

ثقافي وثيق مع المراكز العلمية مثل دمشق وبغداد والقاهرة. وهكذا، كان للأناضول حوض واسع حيث تدفقت تراكمات الجغرافيا الإسلامية وأصبحت امتزاجاً مركّباً في المجال العلمي.[199]

كانت الحياة العلمية في الأناضول تتغذّى من فرعين. أحدهما هو الفرع الشرقي القادم من بلاد ما وراء النهر وإيران والعراق، والآخر هو الفرع الجنوبي القادم من الأندلس وشمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام. نظراً لأن العديد من العلماء أتوا إلى الأناضول من هذين الطريقين، فقد ذهب العديد من الطلاب إلى هذه المناطق من الأناضول لإكمال تعليمهم، فعادوا بعد تحصيلهم، وبقي بعضهم في البلدان التي ذهبوا إليها.[200]

لُوحظ على مرّ القرون زيادة كبيرة في عدد الدراسات حول اللغة العربية لدى الأتراك العثمانيين. ومع ذلك يُلاحظ أن الأعمال المنجزة تحت اسم الشرح والحاشية والتعليق في هذه الفترة هي أكثر بكثير من الأعمال المؤلّفة والمصنّفة. إنّ هذه الأعمال، تهدف إلى إعادة تفسير وشرح النص الذي أجريت عليه الدراسة وأحياناً إعادة هيكلته على مستوى مختلف. وبناءً على ذلك، فقد حظيت هذه الدراسات بقدر من الاهتمام مثل النص الأصلي وأحياناً أكثر من ذلك. بالإضافة إلى ذلك، فهي مليئة بالتحليلات الدقيقة والنقد للفهم الأدبي والعلمي. لذلك، لا يمكن القول: إنها خالية تماماً من الأصالة.

منذ القرن الخامس عشر، كتب العلماء العثمانيون مثل جمال الدين الأقصرايي، الملا فناري، بدرالدين العيني، أحمد دينكوز، مصنفك، علي قوشجو، محيي الدين الكافيجي، شمس الدين السيواسي شروحاً وتعليقات توضيحية لكتب النحو الموجزة التي تُدرّس في العهد العثماني. وفي القرن السادس عشر ألّف كمال باشا زاده كتابه «أسرار النحو»، وكذلك ألّف معاصره الإمام البيركيوي كتابه «العوامل» الذي أعدّه بترتيب فريد وشرحه «إظهار الأسرار» الذي تم تدريسه في المدارس لعدة قرون واكتسب شهرة مستحقة بجدارة بأسلوبه

[199] Nasrullah Hacımüftüoğlu, “Belagat Ekolleri ve Anadolu Belagat Çalışmaları” Atatürk Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Dergisi, Sayı: 8, Erzurum, 1988, s. 121.
[200] Ramazan Şeşen, “İlk Devir Osmanlı Âlimleri ve Yazdıkları Eserler”, Türklük Araştırmaları Dergisi, Sayı: 12, Eylül 2002, İstanbul, s. 261.

البسيط[201]. إضافة إلى هذين العملين للبيركيوي، عُرِفَ كتاب «الكافية» لابن الحاجب، الذي يتعامل مع قضايا النحو امتداداً لمنهج سيبويه، باسم «الجملة النحوية» في التعليم المدرسي.

استمرت كتابة الشروح والحواشي ما بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، ولكن في أواخر هذا القرن ألّف محمد ذهني أفندي كتاب «المقتضب» في النحو وكتاب «المنتخب» في الصرف، والحاج إبراهيم أفندي كتاب «ترجمة النحو»، والحنبلي زاده محمد شاكر كتاب «اللسان العربي بالتمرين والإعراب»، وكل هذه الأعمال غيّرت مفهوم تعليم قواعد اللغة العربية بالعربية وظهرت مؤلفات باللغة التركية. ومع مرّ العصور ظلّ اهتمام الأتراك باللغة العربية وتدريسها في معاهدهم العلمية، واحتفظت مدينة إسطنبول بمكانتها كعاصمة ثقافية تُشدّ إليها الرحال.

وبعد هذه المقدمة حول دراسة اللغة العربية في العهد العثماني سنقدم تراجم لبعض العلماء الذين ساهموا في تطوير هذه اللغة الجليلة.

- **الملا الفناري (834 هـ):**

شمس الدين محمد بن حمزة الفناري[202] نسبة إلى قرية في مدينة بورسا. ولد في صفر سنة 751 وأخذ عن علاء الدين الأسود وعن محمد الأقصرائي ببلاده، وارتحل إلى مصر وأخذ عن الشيخ أكمل الدين البابرتي وغيره، ثم رجع إلى الروم فولي قضاء بروسا وارتفع قدره عند السلطان العثماني بايزيد الأول وحلّ عنده المحل الأعلى فصار في مرتبة الوزير. واشتهر ذكره وشاع فضله قيل إنّه كان عارفًا بعلم العربية والمعاني والبيان والقراءات، كثيرَ المشاركة في الفنون، وكان حسن السَّمت كثير الفضل والإفضال. ولما دخل

---

[201] Kenan Demirayak-Selami Bakırcı, Arap Dili Grameri Tarihi, Atatürk Üniversitesi Fen-edebiyat Fakültesi Yayını, Erzurum, 2001, s. 149-155.

[202] انظر في ترجمته: طاشكبري زاده، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، تحقيق أحمد صبحي فرات، استانبول، 1985، ص: 22-29، شذرات الذهب، ص: 209/7، البدر الطالع، ص: 266/2-269، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تحقيق محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، مصر، 1324، ص: 166-167، محمد ثريا، سجل عثماني، 4 ج، دار الطباعة العامرة، استانبول، 1311، 159/3، برسه لي محمد طاهر، عثمانلي مؤلفلري، 3 ج، دار الطباعة العامرة، استانبول، 1333، 390/1-392، هدية العارفين، ص: 188/2-189.

القاهرة يريد الحج اجتمع به فضلاء العصر وذاكروه وباحثوا وشهدوا له بالفضيلة. مات بشهر رجب سنة 834.

وهو مصنّف «فصول البدائع في أصول الشرائع» وهو من أجلّ الكتب الأصولية وأنفعها وأكثرها فوائد، وله تفسير للفاتحة، ورسالة أتى فيها بمسائل من مئة فن وتكلم فيها على مسائل مشكلة وسماها «نموذج العلوم»، وله منظومة في عشرين فنّاً أتى في كل فن بمسألة، وغيّر أسماء تلك الفنون بطرائق الألغاز امتحاناً لفضلاء دهره ولم يقدروا على تعيين فنونها فضلاً عن حلّ مسائلها، مع أنه قال: إنه عمل ذلك في يوم وقد حلّها ابنه محمد وكتب منظومة يتضمن الجواب على منظومة والده. ولصاحِب الترجمة «شرح على الرسالة الأثيرية» في المنطق وذكر أنه عمل ذلك في يوم، وله «تعليقة على شرح المواقف» للسيّد شريف الجرجاني وأخذ عليه مؤاخذات لطيفة، وله «حاشية على ضوء المصباح» لتاج الدين الإسفراييني في النحو، وله «أساس التصريف» في علم الصرف.[203]

وقد انتفع بعلمه الطلبة في بلاد الروم مع اشتغاله بالقضاء، وكان له جلالة وأبّهة ومع ذلك كان متزهداً في ملبسه على زي الصوفيّة، وكان يقول إذا عُوتب في ذلك: "إنّ ثيابي وطعامي من كسب يدي ولا يفي كسبي بأحسن من ذلك". وخلّف ثروة عظيمة فيها من الكتب نحو عشرة آلاف. ومن تصلّبه في الدين وتثبّته في القضاء أنّه ردّ شهادة السلطان بايزيد الأول في قضيّة، فسأله السلطان عن سبب ذلك، فقال: "إنّك تارك للجماعة". فبنى السلطان قدّام قصره جامعاً وعيّن لنفسه فيه موضعاً، ولم يترك الجماعة بعد ذلك.

- **بدر الدين العيني (855 هـ):**

بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى العَينتابي المولد والمنشأ، ثمَّ القاهري، المعروف بالبدر العيني[204]. ولد في عَيْنتاب (بين حلب وأنطاكية)، وبها نشأ وترعرع وبدأ الاشتغال بالعلوم، وتفقه على والده الذي كان قاضياً في عينتاب، وقرأ على عدد من شيوخ العلم في بلده، منهم ميكائيل بن حسين التركماني الحنفي نزيل عَيْنتاب، وناب عن والده في

---

[203] Mehmet Yavuz, Osmanlı'dan Cumhuriyete Arapça Grameri Yazarları, Asmaaltı Yayınevi, İstanbul, 2019, s. 12.

[204] انظر في ترجمته: الضوء اللامع، ص: 10/131-135، شذرات الذهب، ص: 7/286-288، البدر الطالع، ص: 2/294-295، الفوائد البهية، ص: 207-208، عثمانلي مؤلفلري، ص: 1/352-353.

القضاء مدَّة، ارتحل بعد ذلك في البلاد لطلب العلوم، فدخل حلب سنة 783هـ، وأخذ عن أجلَّة شيوخها، ثم دمشق والقدس وغيرهما، وحضر عند أكابر العلماء، ثم عاد إلى بلده، وفي سنة 788هـ دخل الحجاز، وزار القدس، فلقي فيها علاء الدين علي بن أحمد السيرامي، فاتَّصل به وصحِبَه إلى مصر، وسكن المدرسة البرقوقية الكبرى ملازماً له، وتلقى عن غيره من أعيان مصر وعلمائها، ومنهم الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، ومن مشايخه سراج الدين البلقيني، والحافظ نور الدين علي الهيثمي، وشرف الدين بن الكويك، وقاضي القضاة النجم ابن الكشك، والشيخ فتح الدين محمد بن أحمد العسقلاني المقرئ، وغيرهم ممن ذكرهم في معجمه وفي تواريخه عند تراجم مشايخه.

اشتغل بعد ذلك بالتدريس، وتتلمذ على يديه عددٌ كبيرٌ جداً من طلاب العلم، لطول مدارسته العلم، ولأنه من المعمَّرين. داوم على إقراء الحديث في المؤيدية وحدها ما يقارب أربعين سنة، خلا ما له من الدروس في بقية مدارس القاهرة. ولأنه لطيف العشرة متواضع، اشْتُهِرَ اسْمُهُ وبَعُد صيته، ومن أشهر تلامذته كمال الدين بن الهمام والحافظ ابن قطلوبغا والحافظ شمس الدين السخاوي والحافظ ابن زريق محدث الديار الشامية وقاضي القضاة عز الدين الكناني الحنبلي وأبو المحاسن ابن تَغْري بَرْدي المؤرِّخ المعروف، وغيرهم من كبار العلماء في عصره.

امتاز بدر الدين العيني بكثرة التصنيف، وسعة العلم، وجودة البحث، وحسن التأليف، فلا يقاربه أحد من أهل عصره في كثرة المصنفات، وقد تنوعت مؤلفاته، فترك كتباً في الحديث والفقه والتاريخ والعربية وغيرها، وهي تشهد له بالبراعة وغزارة العلم. ومن أجلِّ مُصنفاته «عمدة القاري في شرح الجامع الصحيح للبخاري» وهو من أوسع شروح صحيح الإمام البخاري، وأجمعها للفوائد، ومن كتبه «نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار» للإمام أبي جعفر الطحاوي في عشرة مجلدات، أوسع ما أُلِّف في أحاديث الأحكام، و«مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار» في مجلدين، رتَّبه على الطبقات من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وفي كتابه ما ليس في الكتب الستة من الرواة، و«البناية في شرح الهداية: هداية المهتدي شرح بداية المبتدي للمرغيناني» في الفقه الحنفي، شرحه في عشرة مجلدات، و«عقد الجمان في تاريخ الزمان» وهو تاريخ كبير، في خمسة وعشرين مجلداً، انتهى فيه إلى سنة 850هـ.

ومن كتبه في علم النحو «المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية» ويُعرف بالشواهد الكبرى، في مجلدين، و«فرائد القلائد» مختصر شرح شواهد الألفية، ويُعْرَفُ بالشواهد الصُّغرى، في مجلد، و«شرح اللمع» لابن جنّي، و«إعراب العوامل» لعبد القاهر الجرجاني، و«وسائل الفئة في شرح العوامل المئة» لعبد القاهر الجرجاني أيضاً، و«شرح شواهد القطر» لابن هشام، و«حاشية على شرح الألفية» لبدر الدين ابن الناظم، و«حاشية على شرح الشافية» لجاربردي، وفي علم الصرف «مِلاح الألواح في شرح مراح الأرواح» لأحمد بن علي، و«وسائل التعريف في مسائل التصريف»، ومن كتبه أيضاً: «الحواشي على كلٍّ من: تفسير الكشاف، وتفسير أبي الليث السمرقندي، وتفسير البغوي»، «شرح لامية ابن الحاجب» في العروض، وجمع «مُعْجَم شيوخه» في مجلد، وغير ذلك.[205]

بنى بدر الدين العيني في آخر حياته مدرسة إلى جانب الجامع الأزهر، انصرف فيها إلى التأليف والتدريس، ولازمها إلى أن توفي وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، وصُلِي عليه بالجامع الأزهر، ودفن بمدرسته.

- **علاء الدين مُصَنّفك (875 هـ):**

علاء الدين علي بن محمد بن مسعود الشاهرودي البسطامي[206]، المعروف بـ(مصنفك) لاشتغاله بالتأليف من صغره والكاف فارسية للتصغير. ولد بخراسان عام 804 ثمّ جاء إلى هراة لدراسة العلوم مع أخيه عام 812، فدرس على يد تلاميذ الإمام التفتازاني، الملا جلال الدين يوسف الأوْبهي وقطب الدين أحمد الهروي. وقرأ وتعلم الفقه الشافعي من عبد العزيز الأبهري والفقه الحنفي من فسيح الدين محمد.

ثمّ غادر هراة وجاء إلى الأناضول وصار مدرّساً في مدينة قونية، ثمَّ عرض له الصمم فأتى بلدة قسطنطينية في أيّام وزارة محمود باشا وعرضه على السلطان محمد الفاتح، فعيّن له كل يوم ثمانين درهماً، ثمّ مات بقسطنطينية في سنة 875 هـ ودفن عند مزار أبي أيوب الأنصاري.

---

[205] Yavuz, Arapça Grameri Yazarları, s. 19-25.

[206] انظر في ترجمته: الشقائق النعمانية، ص: 162-167، شذرات الذهب، ص: 7/319-321، البدر الطالع، ص: 497/1، الفوائد البهية، ص: 192-194، هدية العارفين، ص: 735/1.

وكان مصنّفك شيخاً على طريقة الصوفيّة أيضاً، وأُجِيز له بالإرشاد من بعض خلفاء زين الدين الحافي، وكان جامعاً بين رياستي العلم والعمل، وكان يلبس عباءة وعلى رأسه تاج، روي أنّه حضر يوماً مجلس الوزير محمود باشا وحضر أيضاً المولى حسن جلبي الفناري، فذكر حسن جلبي تصانيف المولى مصنّفك عند الوزير محمود باشا، وقال: "قد رددتُ عليه في كثير من المواضع ومع ذلك قد فضّلتَه عليّ في المنصب". وكان المولى حسن جلبي لم ير المولى مصنّفك من قبل، وقال الوزير محمود باشا: "هل رأيتَ المولى مصنفك". قال: "لا"، قال: "هذا هو". وأشار إلى المولى مصنفك، فخجل المولى حسن جلبي من كلامه في حقّه خجلاً شديداً. وقال الوزير: "لا تخجل إنّ له صمماً لا يسمع كلاماً أصلاً". وكان مصنّفك سريع الكتابة يكتب كل يوم كرّاساً من تصانيفه وغيرها، وكان يدرّس الطلبة بالكتابة يكتبون إليه مواضع الإشكال، فيكتب حلّ كل منها في ورقة ويدفعها إلى صاحب الإشكال.

ومن مصنّفاته «شرح الهداية» للمرغيناني في علم الفقه و«شرح مصابيح السنة» للبغاوي في علم الحديث و«شرح تفسير الكشاف» للزمخشري، وفي علم النحو «شرح المصباح» للمطرّزي، و«شرح العوامل» لعبد القاهر الجرجاني، و«الرشاد في شرح إرشاد الهادي» للتفتازاني، و«شرح اللباب» للإسفراييني، و«شرح الكافية» لابن الحاجب، وفي علم الصرف «الدرر المنقود في شرح المقصود» و«شرح مراح الأرواح» لأحمد بن علي.[207]

- **محيي الدين الكافيجي (879 هـ):**

هو الإمام محيي الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود، الرومي الحنفي المعروف بالكافيجي[208]، ولقب بذلك لكثرة اشتغاله بكتاب «الكافية» في النحو لابن الحاجب فنسب إليها بزيادة الجيم.

ذُكر مكان ولادته في أغلب المصادر في برجاما (إزمير)، وفي بعض المصادر في بلاد صروخان (مانِيسا) من ديار الروم. اشتغل الكافيجي بطلب العلم ورحل إلى بلاد العجم

[207] Yavuz, Arapça Grameri Yazarları, s. 28-33.

[208] انظر في ترجمته: بغية الوعاة، 1/117-119، حسن المحاضرة، ص: 1/549-550، الضوء اللامع، ص: 7/259-261، شذرات الذهب، ص: 7/326-327، البدر الطالع، ص: 2/171-173، الفوائد البهية، ص: 169-170، سجل عثماني، ص: 4/339، عثمانلي مؤلفلري، 2/4-5.

والتقى بالعلماء الأجلاء وقدم الشام، ومن هناك للحج، ثم ذهب إلى القدس ومكث فيها لمدة ثلاث سنوات، وبعدها إلى القاهرة عام 830 وذلك في عهد حاكم مصر السلطان المملوكي أشرف بارسباي، فأقام في مدرسة البرقوقية سنين. والتقى في القاهرة بكثير من الأئمة المحققين، كان من أبرز شيوخه: شمس الدين الملا الفناري، حافظ الدين البزازي، ابن ملك (ابن فرشتا)، عبد الواجد بن محمد الكوتائي.

ولما استقر الكافيجي في القاهرة ظهرت مكانته واشتهر بين العلماء الأفاضل بعلمه وتقواه، وأقبل عليه طلاب العلم من كل مكان، وكثر تلامذته، ومن أبرز مَن أخذ عنه: جلال الدين السيوطي، وشهاب الدين بن أسد، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وعبد القادر الدميري، ومحمد بن محمد السعدي، ومحمد ابن جمعة، وغيرهم الكثير.

كان بارعاً في جل العلوم عامة، والعلوم العقلية خاصة. فقد صار علامة الدهر وأوحد العصر ونادرة الزمان وفخر هذا الوقت والأوان، الأستاذ في التفسير والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والهيئة والهندسة والحكمة والجدل، مع مشاركة حسنة في الفقه والطب، ومحفوظ كثير من الأدب واستعمال للنثر في كتاباته، بل ربما اخترع بعض العلوم. وقد عظّمه الملوك خصوصاً السلطان محمد الفاتح، إلى جانب حكام المماليك المصريين، وقد رثاه غير واحد من شعراء الوقت كالشهاب المنصوري، ورثاه البدر حسن بن إبراهيم الخالدي بقوله:[209]

لَكَ اللهُ مُحْيي الدِّينِ بَحرَ مَكارم وبحرَ علوم لا يُحاط عميقُهُ

فيا مَجمعَ البحرين قد فُقْتَ حاتماً وفي الفضل للنعمان أنت شقيقُهُ

قال عنه السيوطي: "لزمته أربع عشرة سنة، فما جئت من مرة إلا وسمعت منه من التحقيقات والعجائب ما لم أسمعه قبل ذلك؛ قال لي يوماً: أعرب (زيد قائم)، فقلت: قد صرنا في مقام الصغار ونسأل عن هذا؟! فقال لي: في (زيد قائم) مئة وثلاثة عشر بحثاً. فقلت: لا أقوم من هذا المجلس حتى أستفيدها، فأخرج لي تذكرته فكتبتها منها".[210]

---

[209] الضوء اللامع، ص: 261/7.

[210] بغية الوعاة، 118/1.

تولى الكافيجي مشيخة تربة الملك الأشرف برسباي والملك الأشرف شعبان، ومشيخة زاوية الأشرف، ثم مشيخة التدريس بتربته، وتولى رئاسة المذهب الحنفي بمصر، وتصدى للتدريس والإفتاء. كما اشتهر بين أفاضل العلماء بالتقوى والورع والخوف من الله عزّ وجلّ، فضلاً عن كرمه وجوده وكثرة عطاياه.

لقد كثرت مؤلفاته في التفسير والحديث والفقه والمنطق وغيرها من فروع العلم ولكن أكثرها مختصرات، ومن أنفس مصنّفاته النحوية شرحه على «الإعراب عن قواعد الإعراب» لابن هشام وهو المعروف بشرح القواعد الكبرى، وله في النحو أيضاً «نزهة المعرب في المشرق والمغرب» و«الإلماع بإفادة لو للامتناع»، وفي علم البلاغة «الإشراق في مراتب الطباق» و«الأنموذج في بحث الاستعارة» و«حاشية على شرح المطوّل» .[211]

- **ابن كمال باشا (940هـ):**

شمس الدين أحمد بن سليمان الرومي، الشهير بابن كمال باشا[212]، ولد بمدينة طوقات في تركيا ونشأ في بيت عزّ، إذ كان جده أحد أمراء الدولة العثمانية، وأبوه من السادة المشهورين في الإسلام. حفظ القرآن، وضبط في ابتداء أمره من اللغة ما نقع به غُلَّة صدره. كان على جانب عظيم من الخلق والأدب، وكمالٍ في السجايا الحميدة، فقد غلب عليه حبُّ الفضل والكمال، شهد له بذلك أهل عصره من علماء وعامة، وذكروه بغاية التبجيل والإجلال.

اشتغل بالعلم وهو شاب، ثم ألحقوه بالعسكر، ولما رأى توقير الأمراء، والقادة وأصحاب السلطنة للعلماء، وتقديمهم في مجالسهم، دعاه ذلك إلى العلم، وقرر أن يسلك طريقه وينهج نهج أهله لعله يحظى بالمنزلة التي نالها العلماء، فلجأ إلى حلقات العلم، واستظل بظل العلماء حتى أصبح واحداً منهم، فقد تتلمذ على يد المولى لطفي في مدرسة دار الحديث بأدرنة، وقرأ على المولى القسطلاني، والمولى خطيب زاده، وصار مدرساً في مدرسة علي بيك بأدرنة، ثم قاضياً، ثم أعطي قضاء العسكر الأناضولي ثم عزل عنه، وأعطي دار الحديث

[211] Yavuz, Arapça Grameri Yazarları, s. 37-39.

[212] انظر في ترجمته: الشقائق النعمانية، ص: 377-379، شذرات الذهب، ص: 8/238-239، الكواكب السائرة، ص: 2/107-108، الفوائد البهية، ص: 21-22، عثمانلي مؤلفلري، 1/223-224.

بأدرنة، وأعطي تقاعداً على جهوده التي بذلها، ثم صار مفتياً بالآستانة بعد وفاة المولى علي الجمالي، وبقي على منصب الإفتاء إلى وفاته.

تنقل ابن كمال باشا في مناصب عدة، وجالس العلماء فتتلمذ على الأفاضل منهم، فأعدوه إعداداً حسناً في الخلق والأدب، وزودوه بالمعرفة النافعة، وصحب الأمراء فكان الناصح الأمين والسند المعين في نصرة الحق والدفع عن المظلوم.

كان من العلماء الذين صرفوا جميع أوقاتهم إلى العلم، وكان يشتغل به ليلاً ونهاراً، ويكتب جميع ما سنح بباله، فقالوا فيه: "قد فتر الليل والنهار ولم يفتر قلمه"[213]، له تصانيف كثيرة معتبرة ورسائل مهمة في فنون عديدة جلّها بالعربية، ومنها بالتركية والفارسية فقد تجاوزت مصنفاته خمسة وثمانين ومئة مصنف، منها «في علم النحو أسرار النحو» و«رسالة في الإضافة» و«رسالة في أفعل التفضيل» و«رسالة من التبعيضة» وفي علم الصرف «صرف ابن كمال باشا» و«فلاح شرح المَراح»[214] وفي علم البلاغة «تغيير مفتاح العلوم» و«رسالة في مدار البلاغة من جهتين» وفي الأدب «كتاب الفنون السبعة» و«شرح الخمرية لابن الفارض» و«شرح قصيدة البردة للإمام البوصيري»، وفي التاريخ «تاريخ آل عثمان» كتبه بالتركية بطلب من السلطان بايزيد الثاني، وأرّخ فيه للدولة العثمانية حتى سنة 933هـ، ولما أكمله صار مدرساً بمدرسة طاشلق[215]، و«تجريد التجريد» شرح فيه كتابه «تجويد الكلام»، و«شرح تغيير التنقيح» شرح فيه كتابه «تغيير التنقيح» الذي تضمن تعليقات وردوداً على ما في كتاب «تنقيح الأصول» لصدر الشريعة[216]، و«طبقات المجتهدين في مذهب الحنفية» وغيرها كثير.

نال ابن كمال شهرة علمية واسعة، جعلته محل تقدير وإعجاب من لدن علماء عصره، فقارنوه في كثرة التأليف وسعة الاطلاع بالجلال السيوطي، إذ برع في علوم عصره كلها، وقلَّ أن يوجد فنّ من فنون العلم إلا له فيه مصنف أو مصنفات، فتكاملت شخصيته بصحبته للعلماء، ورفقته للأمراء، وإجادته التامة للغتي العربية والفارسية إضافة إلى اللغة

---

213 الشقائق النعمانية، ص: 378.

214 Yavuz, Arapça Grameri Yazarları, s. 65-69.

215 كشف الظنون، ص: 283/1.

216 المصدر نفسه، ص: 499/1.

التركية، الأمر الذي جعله يقف على أسرار تلك اللغات، ويؤلف فيها مؤلفات متعددة وتكون له شخصية فريدة. وكان ابن كمال ذلك النجم الساطع لكلّ من يشكّك في اهتمام الدولة العثمانية باللغة العربية وعلومها، إذ من يطّلع على مؤلّفاته يعرف المدى المرموق الذي وصلته هذه اللغة الجليلة في عهد الدولة العثمانية العتيدة.

- **طاشكبري زاده (968هـ):**

أبو الخير عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل الدين الشهير بطاشكبري زاده[217]، من أشهر مؤرخي الدولة العثمانية وكبار موسوعيّيها وكتّاب السير وتراجم الرجال. ولد بمدينة بروسة بتركيا، حيث تلقى علومه الأولى في مجالس شيوخها، وأتقن قراءة القرآن بعناية والده مصطفى طاشكبري الذي كان مدرساً في مدارس بروسة وإسطنبول العليا، كما كان مؤدباً لولي عهد السلطان سليم الأول؛ إذ كانت أسرة طاشكبري من علماء الترك الذين نسبوا إلى قرية طاشكبري وهي في مدينة قسطموني شمال تركيا.

أتقن طاشكبري زاده دراسة اللغة العربية وصرفها ونحوها، وأخذ علم المنطق عن عمه، ودرس علوم الهيئة والفلك والرياضة على مِيرم الجلبي، وكان اهتمامه الأول هو دراسة التفسير والحديث فقد أخذهما عن عدة مشايخ، وكان من شيوخه ابن حجر العسقلاني الذي كان مشهوراً برواية الحديث وصحته، وقد أجازه شيوخ الحديث في روايته.

تنقّل طاشكبري زاده في عدة مدن في تركيا طلباً للعلم والاستزادة منه؛ فطلبه في مجالس شيوخ أنقرة وإسطنبول وأماسيا ومدارسها حتى تأهّل لممارسة التدريس مباشرة في مدينة دموتيقا، ثم انتقل إلى التدريس في مدارس إسطنبول وذلك في بداية عام 933هـ. وفي عام 945هـ، انتقل إلى أدرنة للتدريس في مدارسها ثم أصبح قاضياً فيها، وفي عام 958هـ أصبح قاضياً في إسطنبول، واستمرّ في منصبه هذا مدة ثلاث سنوات أصيب في نهايتها

[217] انظر في ترجمته: الشقائق النعمانية، ص: 552-560، علي بن بالي، العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، تحقيق محمد طباطبايي، طهران، 2010، ص: 6-9، شذرات الذهب، ص: 8/352-353، البدر الطالع، ص: 1/121، سجل عثماني، ص: 3/471، عثمانلي مؤلفلري، 1/346-347، هدية العارفين، ص: 1/143-144.

بمرض أصابه في عينيه فَقَدَ إثر ذلك البصر نهائياً، ومع ذلك البلاء فقد استمرّ بنشاطه العلمي إلى أن وافته المنية بإسطنبول، حيث دفن فيها بتكية عاشق باشا.

صنف طاشكبري زاده في علوم الدين والدنيا مصنفات يُذكر منها: كتاب «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم»، وهو موسوعة في الآداب وعلوم اللغة العربية وذلك باللغة العربية، يبحث فيها فضيلة العلم والتعليم وفي العلوم الشرعية والعادات والتقاليد الاجتماعية[218]، نقلها بعد وفاته ابنه كمال الدين محمد إلى اللغة التركية، وطبعت بإسطنبول بعنوان «موضوعات العلوم».

ومن أشهر مصنّفاته كتاب «الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية» صنّفه باللغة العربية، اشتمل على ترجمة لحياة (522) عالماً من علماء الطرق وشيوخها، كما احتوى على ذكر أنواع العلوم ومن صنف فيها وموضوعاتها، إضافة إلى ذكر سيرة حياتهم، ورَتّبهم في عشر طبقات موافقة لعهد السلاطين العثمانيين العشرة، من بداية عهد السلطان عثمان (699 - 726هـ) حتى عهد السلطان سليمان (926-947هـ)، كما أضاف في نهاية الكتاب سيرة حياته وتفاصيل مراحلها. ويُعد كتاب «الشقائق النعمانية» من أهم المصادر التي تصور تطوّر الثقافة في تلك العهود العثمانية، وقد طبع عدة طبعات بالعربية ثم بالتركية بعد ترجمته.

وضع طاشكبري زاده كتباً ورسائل في علم النحو، منها كتاب «مُعرِب العوامل المئة» لعبد القاهر الجرجاني، وكتاب «مختصر في علم النحو» وكتاب «مُفتِّح الإعراب» و«رسالة في بحث الاسم» و«رسالة الاستقصاء في مباحث الاستثناء».[219]

وفي علم البلاغة لقد ألّف «شرح الفوائد الغياثية» لعضد الدين الإيجي و«حاشية على شرح المفتاح» للسيد الشريف الجرجاني[220]، ورسالة «العناية في تحقيق الاستعارة بالكناية» ورسالة «الإنصاف في مشاجرات الأسلاف» دافع فيها عن سعد الدين التفتازاني

---

[218] طاشكبري زاده أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، 3 ج، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ص: 1/5-7.

[219] Yavuz, Arapça Grameri Yazarları, s. 78-80.

[220] كشف الظنون، ص: 2/1299-1300.

الذي فشل في المناظرة أمام السيد الشريف الجرجاني في موضوع الاستعارة التمثيلية والتبعية .[221]

- **الإمام البِرْكِوي (981هـ):**

هو تقي الدين محمد بن بير علي بن إسكندر البركوي[222]، نسبة إلى بركي وهي بلدة في مدينة إزمير غرب تركيا. نشأ البركوي في أسرة علمية جليلة، وكان له حب عظيم للعلم والعلماء فطلب العلم منذ صغره على يد والده بير علي الذي كان عالماً من علماء الدولة العثمانية، فحفظ القرآن في صغره، وواكب على طلب العلم مدارسة ومطالعة ومذاكرة إلى أن أصبح يشار إليه بالبنان وبرع في علوم متعددة، فبرز في الفقه والتفسير والحديث والعقيدة والفرائض والتجويد والنحو والصرف، بل كان عالماً بالبيان والحساب حتى أصبح علامة عصره ووحيد دهره رحمه الله.

تتلمذ البركوي على عدد من علماء الدولة العثمانية، منهم الشيخ محيي الدين الشهير بأخي زاده، والقاضي عبد الرحمن بن علي الأماسي وكان البركوي ملازماً له، والمولى شمس الدين أحمد اللازمي الشهير بالشمس الأصغر درس عليه الفقه الحنفي. بعدما تلقّى البركوي في بلدته شتى العلوم والفنون، التحق بمدرسة الحسكي في إسطنبول، ثم ذهب إلى أدرنة حيث عُيّن قساماً شرعياً في الجيش العثماني بترشيح من أستاذه عبد الرحمن الأماسي، كان للبركوي مكانة لدى الشيخ عطا الله أفندي المشهور بمعلم السلطان سليم الثاني الذي بنى مدرسة في بركي وأسند أمرها للإمام البركوي، وكلّفه بالتدريس فيها، فبقي هناك إلى أن وافته المنية.

كان البركوي زاهداً، ورعاً، تقياً، قال عنه صاحب العقد المنظوم: "كان- رحمه الله- آية في الزهد والصيانة، ونهاية في الورع والديانة، رأساً في التجنب والتقوى، ملتمساً بما هو أتم وأقوى"[223]، وكان رحمه الله قوياً في كلمة الحق، لا يخاف بالله لومة لائم.

---

[221] Hacımüftüoğlu, Belagat Ekolleri ve Anadolu Belagat Çalışmaları, s. 123.

[222] انظر في ترجمته: العقد المنظوم، ص: 114-116، شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، 6 ج، استانبول، 1889، ص: 2/1284-1285، سجل عثماني، ص: 4/121، هدية العارفين، ص: 2/252، عثمانلي مؤلفلري، 1/253-256.

[223] العقد المنظوم، ص: 115.

وقد اشتغل الإمام البركوي بالتأليف والتصنيف، حيث وصل عدد مؤلفاته المختصرة والمطوّلة إلى نحو ستة وخمسين كتاباً، لقد صنف البركوي الكثير من المصنفات في مختلف العلوم، منها: كتابه المشهور «الطريقة المحمدية» في الأخلاق والتصوّف، رسالة «جلاء القلوب» في التصوّف، كتاب «الأربعون» في الحديث، كتاب «إيقاظ النائمين وإفهام القاصرين» وكتاب «إنقاذ الهالكين» في الفقه، و«تحفة المسترشدين في بيان مذاهب فرق المسلمين» و«تفسير سورة البقرة» و«الدرّ اليتيم في علم التجويد» و«رسالة في آداب البحث والمناظرة» .[224]

أمّا مصنّفاته في النحو فأشهرها «العوامل المئة» المعروفة بالعوامل الجديدة نسبة إلى كتاب «العوامل» لعبد القاهر الجرجاني، فقد صنّف البركوي علم النحو في هذا الكتاب بثلاثة عناوين، هي العامل والمعمول والإعراب، ومثّل لكل مسألة بجملة مفيدة، وأصبح هذا الكتاب من أهمّ المختصرات النحوية، فقام الإمام البركوي بعد ذلك بشرحه تحت عنوان «إظهار الأسرار» فأضاف إليه مقدمّة، وفصّل في المسائل وزاد عليها بالشواهد من القرآن الكريم والحكم والأمثال. والناظر في هذين الكتابين يدرك بوضوح الغايةَ التعليمية الموجودة فيهما، فقد راعى البركوي مستوى الطلبة المبتدئين في كل مرحلة من مراحل الطلب وتدرّجهم في فهم مسائل النحو ودقائقه، فخاطبهم بأسلوب سهل ميسّر بعيد عن الخلافات النحوية، فقد عوّل في شرح المسائل على آراء العلماء البصريين واستفاد كثيراً من كتاب المفصّل للزمخشري وكتاب الكافية لابن الحاجب وكتاب مغني اللبيب لابن هشام. وأمّا كتابه «امتحان الأذكياء» فهو شرح كتاب «لب الألباب في علم الإعراب» للبيضاوي.

إضافة إلى مصنّفاته في النحو لقد ألّف البركوي كتباً في علم الصرف، منها «الأمثلة الفضلية» فأعدّها لابنه فضل الله، وكتاب «كفاية المبتدئ» وكتاب «إمعان الأنظار» في شرح كتاب المقصود، و«رسالة في الصرف». اشتهرت معظم الكتب التي ألّفها الإمام البركوي وتمّ الاعتماد عليها في المدارس والمعاهد العلمية منذ العصر العثماني حتى يومنا هذا، فكثرت الشروح والحواشي عليها وأُعِيدت طباعتها في العالم الإسلامي.[225]

[224] Ahmet Turan Arslan, “Birgivi Mehmed Efendi”, İslam İktisadi Düşünce Tarihi, 2 c., İZÜ Yayınları, İstanbul, 2021, C. II, s. 791-797:
[225] Yavuz, Arapça Grameri Yazarları, s. 99-103.

- **محمد ذهني أفندي (1846-1913):**

وهو فقيه حنفي وأديب بالعربية، وُلد في عام 1846، اسمه الحقيقي محمد، ولكن أستاذه لقبَّه بذهني لأنَّه كان ذكيًا جدّاً، أصله)رومي) من أهل إسطنبول[226]. يُعدّ محمد ذهني أفندي من علماء القرن الأخير للعهد العثماني، حيث كان من أعضاء مجلس المعارف العثماني ومن المدرسين بالمكتب السلطاني (ثانوية غلطة سراي اليوم)، ولقد عمل أيضاً مصححاً بدار الطباعة العامرة في إسطنبول مدة عشر سنوات، استطاع خلالها التأكد من طباعة الكثير من الأعمال الدينية والأدبية دون أخطاء، كما شغل منصب عضو ورئيس وزارة التربية والتعليم. ولقد تميّز محمد ذهني بحفظه للقرآن بعمر صغير، كما تلّقى تعليماً جاداً في الدروس العلمية والدينية، فلم يكتف بتعلّم اللغة العربية فحسب إنّما تعلّم أيضاً لغات أخرى، وقد كان يفهم جيداً كل ما يقرأ ويقوم بتدوينه بشكل منتظم محاولاً بذلك أن يرفع مستوى مجتمعه علماً وثقافةً، حيث قضى سنوات حياته وهو يحاول أن يتعلّم ويعلّم أيضاً، واستطاع بذلك أن يصل إلى منهج غير مسبوق في تعليم اللغة العربية، وقد استطاع في أثناء عمله في ثانوية غلطة سراي أن يُخرّج العديد من الطلاب القيمين.

ولقد كان لمحمد ذهني رأيه في أنَّ تعلّم اللغة العربية أسهل من تعلّم اللغات الأوروبية نظراً لوجود الكثير من المفردات العربية في اللغة التركية، ورأى أنَّ أسهل طريقة لتعلّم لغة ثانية أن يتعلمها الفرد بلغته، وعلى صعيد الحياة الشخصية فقد عُرف محمد ذهني بإتقانه لكلّ عملٍ يُكلّف به كما عُرف بطيبة قلبه وصدقه في جميع أمور حياته، ولأنّه كان متفوقاً في الدولة العثمانية وبسبب ما قدّمه من مؤلفات علمية وخدمات في سبيل تعليم العربية كُوفئ بمؤتمر المستشرقين في مدينة ستوكهولم عام 1889 من خلال إعطائه قلادة ذهبية لا تزال موجودة حتّى الآن في متحف ثانوية غلطة سراي. بالإضافة إلى أنَّ محمد ذهني استطاع أن يمتلك مكتبةً ضخمة تحتوي على ما يُقارب 1025 كتاباً وذلك بسبب معرفته الواسعة في عدة لغات كالعربية والتركية والفارسية، والتي قام بالتبرع بها فيما بعد إلى مكتبة بايزيد الحكومية.

---

[226] انظر في ترجمته: هدية العارفين، ص: 400/2، عثمانلي مؤلفلري، 310/1-312
Ahmet Turan Arslan, Mehmed Zihni Efendi, İFAV Yayınları, İstanbul, 1999, s. 27-50.

ومن مؤلفاته: «المنتخب في تعليم لغة العرب» في علم الصرف، وفي النحو له كتاب «المقتضب في نحو لسان العرب»، وفي هذين الكتابين فصّل محمد ذهني أفندي قواعد اللغة العربية باللغة التركية واستشهد لها بالآيات والأحاديث والأشعار والحكم والأمثال وذيّلها بالتمارين المفيدة، وهذا ما لفت انتباه طلاب اللغة العربية في عصره، إذ كانت الكتب الأخرى خالية منها، وفيما بعد قام محمد ذهني أفندي باختصار الكتابين وسمّاهما «المشذّب».

وفي علم البلاغة فقد ألّف كتاباً سمّاه «القول الجيد في شرح أبيات التلخيص وشرحيه وحاشية السيد»، وكما يبدو من عنوانه فهو جمع الشواهد الشعرية الموجودة في تلخيص المفتاح للقزويني وفي شرحيْه المطوّل ومختصر المعاني للتفتازاني وفي حاشية السيد الشريف الجرجاني على المطوّل، وقام بشرحها باللغة التركية وقدّم معلومات عن شعرائها.

وفي علم التراجم فقد ألّف كتاباً عن النساء وسمّاه «مشاهير النساء» فيه 1165 ترجمة لمشاهير النساء من العرب والأتراك والفرس، وفي «كتاب التراجم» ذكر 160 ترجمة باللغة العربية لكبار العلماء والأدباء.

ولمحمد ذهني أفندي العديد من الكتب أيضاً مثل «نعمة الإسلام» و«الألغاز الفقهية» في علم الفقه، و«الحقائق مما في الجامع الصغير والمشارق من حديث خير الخلائق» في علم الحديث، و«دستور الموحدين في العقائد» و«القول السديد في علم التجويد»، وترجم عن اللغة العربية كتباً عديدة مثل كتاب «أطواق الذهب» للزمخشري، و«لامية الإخوان ومرشدة الخلان» لزين الدين ابن الوردي، وكتاب «المنقذ من الضلال» لأبي حامد الغزالي، وكتاب «تحفة الراغب» لأحمد القليوبي، وكتاب «سهام الإصابة» للسيوطي .[227]

[227] Arslan, Mehmed Zihni Efendi, s. 99-146.

الدراسات اللغوية في العصر الحديث

مع حلول القرن الثامن عشر، تم إجراء بعض الدراسات التي تراعي التعليم الرسمي وتحاول شرح علم النحو وفهمه بسهولة أكبر، كما لعبت قواعد اللغات الغربية دوراً في بعض منها. الدراسة الأولى في هذا المجال هي «بحث المطالب وحثّ الطالب»، حيث قام جرمانوس فرحات الحلبي في هذا الكتاب بتكييف تراث النحو الذي أنشأه علماء النحو مثل ابن الحاجب وابن مالك وابن هشام من أجل تلاميذ المدارس المسيحية. طُبع هذا الكتاب عدة مرات وشرحه بطرس البستاني وسمّاه «مصباح الطالب» ثمّ اختصره وسمّاه «مفتاح المصباح». فاقتفى آثار هذه الدراسة كتاب «فصل الخطاب» لناصيف اليازيجي. كان عمل جرمانوس رائد الكتب المدرسية المكتوبة في لبنان[228]. وألّف بعده أحمد فارس الشدياق وإبراهيم الأحدب ورشيد الشرتوني ومصطفى الغلاييني كتباً في قواعد اللغة العربية. أعدّ رشيد الشرتوني كتاب «تمرين الطلاب» وكتاب «مبادئ العربية» وفق أسلوب التدريس التدريجي.

كانت الخطوة الأولى نحو تحسين كتب القواعد في مصر اعتماداً على التعليم الرسمي، هي كتاب «التمرين» لعلي باشا مبارك الذي أعدّه للمدارس الابتدائية. في الماضي، كانت الأعمال الكلاسيكية مثل الآجورمية والألفية وقطر الندى وشذور الذهب تُدرَّس في المدارس الرسمية. فأعد علي مبارك عمله بالتخلّي عن الموضوعات غير الضرورية فيها. فتبع هذا العمل كتاب «التحفة المكتبية» لرفاعة الطهطاوي الذي ألّفه متأثّراً بكتاب «التحفة السنية» لسلفستر دي ساسي. ثمّ بدأ أول عمل مجموعي وتطبيقي للطريقة التدريجية في قواعد اللغة العربية عام 1887 من قبل لجنة بما فيها حفني ناصف وأعدّت هذه اللجنة كتاب «الدروس العربية» للمرحلة الابتدائية وكتابَيْ «الدروس النحوية» و«دروس البلاغة» للمرحلة الإعدادية، ثمّ جمعت هذين الكتابين تحت اسم «قواعد اللغة العربية». فيما بعد تأثّر علي جارم ومصطفى أمين بعمل هذه اللجنة وكتبا سلسلة «النحو الواضح» للتعليم الابتدائي والثانوي. على عكس أعمال اللجنة وغيرها، لفتت هذه السلسلة مزيداً من الانتباه لاحتوائها على الكثير

[228] جرمانوس فرحات، بحث المطالب وحثّ الطالب، بيروت، 1854.

من التدريبات والتمارين. ثمّ أعدّ المؤلّفان لاحقاً بنفس المنهج كتاب «البلاغة الواضحة». أما كتاب «النحو المصوّر» لزكي محمد مهندس، فهو أول كتاب نحو يشرح القواعد بالصور.[229]

ظهرت دراسات حول تسهيل مسائل النحو منذ بداية القرن العشرين، وكان أوّلها مقال جرجيس خوري المقدسي حول تسهيل بعض القضايا الصعبة، ومحاولة قاسم أمين تسكين نهايات الكلمات للقضاء على صعوبة الإعراب، واقتراحات سلامة موسى بالتخلي عن اللغة الفصحى واللجوء إلى اللغة العامية[230]. فتحققت أول حركة منهجية بكتاب «إحياء النحو» لإبراهيم مصطفى الذي اقترح في عمله هذا بنبذ المسائل الصعبة والقضايا غير الضرورية جانباً، مثل العامل والمعمول والإعراب المحلي والتقديري والضمير المستتر والعلّة والقياس والإغراء إلخ[231]. كانت آراء إبراهيم مصطفى مؤثرة في قرارات هيئات تيسير النحو التي شكلتها وزارة التربية والتعليم المصرية في عامي 1938 و1958 .[232]

استمرّ العمل التيسيري التضامني بين مصر وسورية والعراق بجهود اللجنة التي شكلها مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 1945 وجهود لجنة اللغة العربية بدمشق عام 1956. وعندما نشر شوقي ضيف لأول مرة كتاب «الردّ على النحاة» لابن مضاء القرطبي كتب في مقدّمة هذا الكتاب آراءه حول تيسير النحو مستوحياً من آراء ابن مضاء، وألّف بعد ذلك كتابه «تجديد النحو» على غرارها. فاعتمد مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 1979على توصيات شوقي ضيف ورحّب بها. واقترح شوقي ضيف وبعض اللغويين الآخرين قواعد وظيفية في الأعمال التي كتبوها، وطالبوا بالتخلي عن الموضوعات الأخرى غير تلك التي تصون الألسنة من الخطأ .[233]

استمرّت في القرن العشرين الجهود المبذولة لتجديد النحو العربي من خلال أخذ كتب القواعد المكتوبة في الغرب من قبل اللغويين الذين تلّقوا تعليمهم في أوروبا، مثل علي عبد

---

229 شوقي ضيف، تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً، ط 2، دار المعارف، مصر، ص: 26-27.

230 Hüseyin Yazıcı, "Arapça'da Mahalli Lehçelerin Yazı Dili Yerine Kullanılma Teşebbüsleri", İlmî Araştırmalar Dergisi, sayı 2, İstanbul, 1996, s. 168.

231 إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012، ص: 13-16.

232 شوقي ضيف، تيسير النحو، ص: 31-32.

233 شوقي ضيف، تجديد النحو، ط 6، دار المعارف، مصر، 2013، ص: 3-5.

الواحد وإبراهيم أنيس وتمّام حسّان وعبد الرحمن أيوب ومحمود السعران وطه عبد الحميد طه وكمال بشر. تم شرح مقترحات تمّام حسّان الجديدة المستوحاة من فرديناند دي سوسور، والتي تقارن اللغة بالكائن الحي، في كتابه «اللغة العربية معناها ومبناها»، وأثار تداعيات كبيرة وتعرّض لنقد شديد .[234]

لقد أجريت دراسات في جامعات وكليات وأكاديميات ومعاهد الوطن العربي لنشر وتحليل التراث النحوي القديم. فيعتبر كتاب «النحو الوافي» لعباس حسن أكثر الأعمال شمولاً للأغراض العلمية في العصر الحديث ويتضمن جميع الموضوعات النحوية[235]. في وقتنا الحاضر تم إعداد العديد من السلسلات التي تهدف إلى تعليم اللغة العربية وقواعدها بالطرق الحديثة مثل «العربية للناشئين» و«العربية للحياة» و«سلسلة اللسان» و«مفتاح العربية». وفي الغرب تمت كتابة بعض الأعمال في شكل كتاب مدرسي، مثل كتاب «قواعد اللغة العربية (Grammaire Arabe)» لسلفستر دي ساسي، وكتاب «قواعد اللغة العربية (Grammaire Arabe)» لـكارل بـول كاسـباري، وكتاب «قواعد العربية (Grammatica)» لـلُورا فيتشا فاليري. إضافة إلى ذلك تم إعداد قواميس للمصطلحات النحوية، تحت أسماء «معجم، موسوعة» إلخ. من قبل مؤلفين مثل إميل بديع يعقوب وعزيزة فوال بابتي ومحمد آلتونجي وحسن قطرب وعبد الغني دكار وأنطوان الدحداح[236]. وفيما يلي تعريف بأهم الأعلام الذين نهضوا باللغة العربية في العصر الحديث.

- **جرمانوس فرحات (1670-1732):**

المطران جرمانوس فرحات[237]؛ عالم لغوي ونحوي دقيق، وشاعر من أكبر شعراء عصره ورائد من رواد النهضة الأدبية الحديثة. أمضى حياته في بثّ حب اللغة العربية

---

[234] İsmail Durmuş, “Nahiv” Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi, İstanbul, 2006, C. 32, s. 305.

[235] عباس حسن، النحو الوافي، ط 3، دار المعارف، مصر، ص: 5-11.

[236] Durmuş, “Nahiv”, s. 306.

[237] انظر في ترجمته: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص: 7/4-8، مارون عبود، روّاد النهضة الحديثة، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1952، ص: 27-31، خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، 8 ج، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص: 2/109-110، يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، الطبعة الألفية، 4 ج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ص: 3 (القسم الثاني) / 982-985، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: تراجم مصنّفي

والعناية بها، فكان بذلك نقطة انطلاق للنهضة التي طلعت على العالم العربي منذ مطلع القرن التاسع عشر.

ولد المطران جرمانوس في حلب من والدين لبنانيين ينتميان إلى أسرة مطر التي ارتحلت من حَصْرُون في لبنان الشمالي إلى حلب، وتلقّى في مدارسها مبادئ اللغتين العربية والسريانية، ولما بلغ العاشرة من عمره لازم الخوري بطرس التولاوي أحد خريجي المدرسة المارونية الأعلام في العلوم والفنون في روما، فدرس عليه اللغتين اللاتينية والإيطالية مدة أربع سنوات، ثم انصرف إلى التضلع في العربية، فأخذ النحو وعلوم اللغة عن الشيخ سليمان النحوي الحلبي أشهر نحاة زمانه، وأخذ المعاني والبيان والبديع والعروض عن أبي المواهب يعقوب الدبسي، واجتمع أيضاً بالمرسلين فأخذ عنهم علومهم، ثم انصرف لتحصيل العلوم من منطق وفلسفة وخطابة وطبيعيات كالطب والفلك والكيمياء والتاريخ.

دخل سلك الرهبنة عام 1693 على يد البطريرك اسطفان الدويهي الماروني، فأذن له بالإقامة في دير القديسة في إهْدَن، ورحل إلى روما عام 1711 ومنها إلى صقلية وإسبانيا حيث تفقد ما بقي من آثار العرب في الأندلس، وحصل على بعض المخطوطات العربية القيّمة، ثم قفل عائداً إلى لبنان في سنة 1712، ولما انتُخب أسقفاً على حلب في سنة 1725؛ أنشأ مكتبة كبيرة عُرفت بالمكتبة المارونية ضمنها نفائس الكتب المخطوطة التي حصل عليها.

قام جرمانوس فرحات بإصلاحات وتجديدات كان لها أطيب الأثر في العقول والنفوس، ووضع سلسلة من الكتب في النحو واللغة سهَّلت درس اللغة ويسَّرت طريقة أخذها وقرَّبت قواعدها وصرفتها عن القوالب الجامدة، وألَّف أيضاً في العروض والقوافي والمعاني والبيان كتباً نحا فيها منحى الابتكار والتجديد، وقام أيضاً بحركة واسعة في الترجمة إلى العربية، فنقل إليها المزامير والأناجيل والكتب الطقسية المارونية، فعرفت الكنيسة على يده فصاحة العرب الأوائل وقد آزره في حركة الترجمة هذه لفيف من علماء الموارنة.

كان له فضل التأليف في الصرف والنحو، فهو أول نصراني ألَّف فيهما حين أصدر كتابه الشهير «بحث المطالب» الذي طبع طبعات عدة، وكان مثالاً اقتدى به نحاة ذلك العصر، كما

الكتب العربية، 4 ج، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ص: 483/1، عيسى فتوح، "جرمانوس فرحات"، الموسوعة العربية، ص: 382/14.

ألف «معجم إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب» الذي طبعه الشيخ رشيد الدحداح في مرسيليا عام 1849 وهو معجم جاء في 723 صفحة استفاد فيه من قاموس المحيط للفيروزابادي وأضاف إليه بعض الكلمات والمصطلحات النصرانية، و«المثلثات الدرية» وهي منظومة جمع فيها الكلمات المثلثة، وكتاب "بلوغ الأرب في علم الأدب» في علمَيْ البيان والبديع، و«رسالة الفوائد في العروض» و«التذكرة في القوافي» و«فوائد نحوية وإعرابية» و«الأجوبة الجلية في الأصول النحوية» وديوانه الذي طبع ثلاث طبعات، أما كتبه المترجمة فمنها «العنوان الحبيب في تفسير رؤيا يوحنا الحبيب» وكتاب «الأناجيل» وكتاب «الرسائل» وغيرها، ويقال: إن كتبه بلغت المئة بين مؤلَّف ومترجَم.

- **ناصيف اليازجي (1800-1871):**

ناصيف بن عبد الله اليازجي[238]، أديب، لغوي، ناثر، شاعر، أصله من حمص وولد في في كفرشيما من أعمال لبنان في ١٢ آذار من أسرة كريمة من أسر لبنان المسيحية، تعلم مبادئ القراءة على راهب من (ليت شباب) اسمه متّى، ثم أخذ يطالع ما يقع في متناوله من الكتب بشغف.

اتصل اليازجي بالأمير بشير الشهابي، واستخدمه في أعماله الكتابية ١٢ سنة ثم ارتحل بأسرته إلى بيروت، وفيها انقطع إلى التأليف والتدريس، واشتغل زمناً بتصحيح مطبوعات المراسلين الأميركان، التفّ حوله الأجانب يفيدون من معرفته المدهشة للعربية ومن ثقافته الواسعة في النحو والبيان، فتتلمذوا عليه وجعله الأميركان أستاذاً في مدرستهم التي تحولت فيما بعد إلى الجامعة الأمريكية .

برع الشيخ ناصيف اليازجي في علوم اللغة من صرف ونحو ومعان وبيان وبديع وعروض وقافية ولغة، وأتقن المنطق، وتم له اطّلاع واسع على الطب والفقه والموسيقا، وقد

238 انظر في ترجمته: جرجي زيدان، مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، جزآن، ط 3، مطبعة الهلال، مصر، 1922، ص: 2/13-21، أدهم آل جندي، أعلام الأدب والفن، مجلدان، دمشق، ص: 2/279-281، روّاد النهضة الحديثة، ص: 63-70، أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ص: 67-107، مصادر الدراسة الأدبية، ص: 2/356-359، معجم المؤلفين، 10/4، حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب الحديث، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1986، ص: 49-57.

ألف في تلك العلوم جميعاً ما عدا الفقه والموسيقا، وللشيخ ناصيف أيضاً قدر غير يسير من القصائد المختلفة ومقطوعات زجلية .

كان شعر ناصيف اليازجي رقيقاً وأنيقاً، مهد للشعر الجليل الذي انطلق آخر القرن التاسع عشر في مصر وسورية، إلا أنّه لم يلتفت إليه كل أيامه، فانصرف عنه إلى كتب كثيرة، فتفرعت قواه وتوزّع نشاطه وكتب في الفنون جميعها وفي ألوانها المختلفة على طريقة حديثة، فيها بساطة المبنى ووضوح العبارة والبعد عن التعقيد.

مؤلفات اليازجي لا تكاد تحصى؛ منها ما طبع ومنها ما ظلّ مخطوطاً، ولكنها تلمّ بالعربية في قوة وبالدقّة في وعي، فهي رسالة جيل لا رسالة فرد. من مؤلفاته في اللغة، «مجمع البحرين» وهي مجموعة مقامات بلغت الستين، وقد قال الشيخ اليازجي في مقدمة الكتاب: إنه أراد أن يجمع فيها ما استطاع من الفوائد والقواعد، والغرائب والشوارد والأمثال والحكم والقصص ونوادر التراكيب، ومحاسن الأساليب، والأسماء التي لا يُعثر عليها إلّا بعد جهد[239]. وفيها أيضاً الرموز والأحاجي والحوادث التاريخية والتفاصيل الدقيقة عن عوائد العرب ومفاخراتهم وغزواتهم ومأكلهم ومشربهم وملابسهم ومعاملاتهم للغريب والضيف.

وقد جرى الشيخ ناصيف في مقاماته مجرى الحريري من حيث الأسلوب وتعمّد السجع وجمع الغريب والشارد، فهي مجموعة لغوية عجيبة، فيها من ضروب النظم وأفانين التراكيب الكثير، يستطيع كل إنسان أن يستفيد من معلوماته الواسعة وأساليبه الممتعة.

وفي علمَيْ الصرف والنحو «الخزانة» أرجوزة في الصرف، و«الجمانة في شرح الخزانة» و«طوق الحمامة» وهي رسالة في مبادئ النحو، و«الباب في أصول الإعراب» أرجوزة قصيرة في النحو، و«فصل الخطاب في أصول لغة الأعراب» كتاب مختصر فيه مسائل صرفية ونحوية، و«نار القرى في شرح جوف الفرا» أرجوزة نحوية في ألف بيت تشبه ألفية ابن مالك.

وفي علم البيان «عقد الجمان في علم البيان» و«القطوف الدانية» شرح مطوّل في علم البديع.

---

239 ناصيف اليازيجي، مجمع البحرين، دار صادر، بيروت، ص: 9.

- **أحمد فارس الشدياق (1804-1887):**

ولد فارس الشدياق[240] في عشقوت من قرى كسروان بلبنان سنة 1804، ولأحوال سياسية انتقل والده منصور إلى قرية الحدث على مقربة من بيروت فترعرع فيها، وتعلم في مدرسة عين ورقة. ولما مات والده انكبّ على المطالعة، واحترف مهنة نسخ الكتب.

ولما مات أخوه بطرس الذي كان حبيس البطريرك الماروني في دير قنوبين خاف فارس على نفسه فعاف وطنه مغاضباً، وسافر إلى القاهرة ليكون أستاذ اللغة العربية عند رجال البعثات الأميركيين، وهناك انكبّ على دراسة اللغة العربية وعلى الاتصال بالأئمة المصريين والعلماء، فبلغ أبعد أعماقها. ولذلك عهد إليه محمد علي الكبير والي مصر بتحرير جريدة الحكومة في «الوقائع المصرية».

وفي سنة 1824 ذهب الشدياق إلى مالطة بناء على طلب المرسلين الأميركان، ولبث في تلك الجزيرة أربع عشرة سنة يعلم في مدرسة هؤلاء، ويصحح مطبوعات مطبعتهم .وفي سنة 1848 طلبته وزارة الخارجية الإنكليزية من حاكم مالطة ليعاون الدكتور)لي(على ترجمة التوراة، فلبى طلبها ومكث في لندن عشر سنوات، تعرف خلالها على أكبر علماء أوروبا وأدبائها. وهناك ألف كتبه «الواسطة» و«كشف المخبأ» و«الساق على الساق» الذي طبعه في باريس سنة 1855.

وفي باريس ألف وأصدر كتباً أخرى أبرزها «سر الليال» الذي كشف به الغطاء عن عظمة اللغة العربية، وصادف أن جاء باريس وقتئذ أحمد باشا باي تونس، فمدحه الشدياق بقصيدة كان أولها: "وزارت سعاد"، ثم بعث بها إليه بعد عودة الباي إلى بلاده فأعجب هذا بها، وأرسل يستقدمه إلى تونس على سفينة بخارية ليبحر الشدياق عليها هو وعائلته. وفي تونس غمر الباي الشدياق بنعمه، وقلده أسمى المناصب، وفضلاً عن مديرية المعارف عهد إليه برياسة تحرير جريدة الرائد التونسي. وفي غمرة هذه النعم أعلن فارس الشدياق إسلامه وأضاف إلى اسمه أحمد.

---

[240] انظر في ترجمته: مشاهير الشرق، ص: 74/2-83، أعلام الأدب والفن، ص: 364/1-365، روّاد النهضة الحديثة، ص: 156-160، الأعلام، ص: 193/1، الفنون الأدبية وأعلامها، ص: 139-182، مصادر الدراسة الأدبية، ص: 409/2-413، معجم المؤلفين، 224/1، حنا الفاخوري، ص: 58-68.

وحينئذ، وقد ذاع صيته في الشرق والغرب، فاستدعاه السلطان عبد المجيد العثماني بوساطة الباي، ولما جاء دار السعادة)إسطنبول) رحّب به السلطان وعهد إليه بإدارة المطبعة السلطانية طوال عدة سنوات. وفي سنة 1861 أنشأ الشدياق جريدة «الجوائب»، فكانت تنطق بلسان الشرق، ومرجعاً للصحف الأوروبية في القضايا الشرقية التي كان يطلق عليها (المسألة الشرقية) وكانت هذه الجريدة تحمل لواء العرب والعربية، الأمر الذي أفضى إلى إسكاتها سنة 1884.

وفي 1886 زار أحمد الشدياق القاهرة، وهو شيخ، فأكرمه الخديوي توفيق باشا ونوّه بخدماته للشرق أفضل تنويه، ولكنه مع ذلك ظل يحنّ إلى العاصمة العثمانية فعاد إليها ومات بها سنة 1887، ونقل جثمانه عملاً بوصيته إلى بيروت ودفن في الحازمية الكائنة بسفح لبنان على مقربة من الحدث وطن آل الشدياق.

لقد ترك أحمد الشدياق عدداً من المؤلفات اللغوية مثل «كنز الرغائب في منتخبات الجوانب» سبع مجلدات، اختارها ابنه سليم من مقالاته في الجوائب، و«سر الليال في القلب والإبدال» في اللغة جزآن، طبع الأول منهما، و«الواسطة في أحوال مالطة»، و«كشف المخبا عن فنون أوربا»، و«الجاسوس على القاموس»، و«اللفيف في كل معنى طريف»، و«الساق على الساق في ما هو الفارياق»، حيث تتجلى عبقرية الشدياق وتمكنّه من اللغة العربية في كتابه هذا. وقد قال عنه الدكتور جبور عبد النور في كتابه «المعجم الأدبي»: "إنّه طرفة أدبية لا شبيه لها في الأدب العربي القديم والحديث تسمو بصاحبها إلى مستوى كبار الأدباء في عصره"[241]. و«غنية الطالب» و«الباكورة الشهية في نحو اللغة الإنكليزية» و«سند الراوي في الصرف الفرنساوي» وله عدة كتب لا تزال مخطوطة، منها «ديوان شعره» يشتمل على اثنين وعشرين ألف بيت، طبع نحو ربعه في الجزء الثالث من «كنز الرغائب».

[241] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص: 494.

- **حفني ناصف (1856-1919):**

محمد الحفني بن محمد بن إسماعيل بن خليل ناصف[242]، ولد في قرية بركة الحج المجاورة لضاحية المرج القريبة من القاهرة، وعاش في عدة مدن مصرية، وطاف ببعض الأقطار العربية، وتركيا، وبعض بلدان أوروبا. حفظ القرآن الكريم بكتّاب القرية، ثم التحق بالأزهر مدة عشر سنوات (1869 - 1879) درس فيها علوم التجويد وحفظ المتون ودرس الفقه الشافعي، والنحو والصرف وعلوم البلاغة والعروض والقوافي والمنطق والتوحيد والحديث والتفسير، وحصل على إجازة برواية الحديث من الشيخ الأشموني، ثم التحق بمدرسة دار العلوم عند إنشائها وحصل على إجازتها، فدرس الحساب والهندسة والكيمياء والطبيعة والتاريخ والجغرافيا ومبادئ اللغة الفرنسية.

اشتغل مدرساً بمدرسة الصم والبكم والعميان ثلاث سنوات، وتنقل في وظائف وزارتي المعارف والحقانية (العدل)، وفي أثناء عمله بمدرسة الحقوق اشترك في ترجمة القوانين المصرية، كما اشتغل في القضاء الأهلي عشرين عاماً. كان من دعاة إنشاء الجامعة المصرية عام 1908وقد تبرع لها، ورأس لجنة الاكتتاب، ثم انتخب أول رئيس لها. آخر عمل مارسه كتابة القرآن الكريم بخط يده، حسب قواعد الإملاء الحديثة.

تتلمذ على يديه: مصطفى كامل، أحمد شوقي، أحمد لطفي السيد، طلعت حرب، طه حسين، أحمد زكي (شيخ العروبة) وغيرهم. اشترك مع الشيخ محمد عبده في تحرير «الوقائع المصرية»، وكان يكتب في «الأهرام»، كما شارك في تحرير «المؤيد» وكان أحد خطباء الثورة العرابية. شارك في تأسيس المجمع اللغوي (الأول) ونادي دار العلوم.

إضافة إلى شعره لقد ألّف حفني ناصف عدة مؤلفات في تاريخ الأدب ومميزات لغة العرب، وفي البلاغة، وتعريب أسماء المستحدثات الحضارية والمدنية، وله رسائل في المنطق والبحث والمناظرة وعلم الأصول والتوحيد. ومن أبرز إنجازاته كانت ريادته في تأليف مجموعة مبكرة من كتب اللغة العربية المدرسية بالطرق الحديثة، يمكن لنا بلغة العصر أن

---

[242] انظر في ترجمته: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، ص: 455-457، الأعلام، ص: 265/2، مصادر الدراسة الأدبية، ص: 722/2-723، معجم المؤلفين، 649/1، حنا الفاخوري، ص: 130-131.

نسميها: الجيل الأول من الكتب المدرسية، وقد تولى رياسة لجنة علمية تولت تأليف الكتب المدرسية في النحو والصرف والبلاغة على نحو يفيد الطالب المبتدئ، ألفت هذه اللجنة سلسلة «الدروس النحوية» في أربعة كتب، الأول والثاني والثالث للمدارس الابتدائية، والرابع للمدارس الثانوية، كما ألفت كتاباً خاصاً بالبلاغة وفروعها من معان وبيان وبديع. وهكذا بدأ التأليف المدرسي في علوم اللغة العربية على نحو تربوي حديث يستهدف التلميذ والمدرس ويخاطبهما معاً، وقد أخذت هذه السلسلة المدرسية بأسلوب التدرج، بحيث يكون درس أي باب سهلاً في الجزء الأول ثم يضاف إليه في الكتب التالية ما يكمله من التقسيمات اللازمة. أما الذين شاركوا حفني ناصف في تأليف الكتب المدرسية فكانوا زملاءه محمد دياب، محمود عمر، مصطفى طموم، وسلطان بك محمد.

وقد ظلت سلسلة «الدروس النحوية» تدرس في المدارس المصرية قرابة نصف قرن، حتى حلت محلها كتب الجيل الثاني وأبرزها: «النحو الواضح» و«البلاغة الواضحة» للأستاذين علي الجارم ومصطفى أمين. ولهذا فإنّ حفني ناصف وزملاءه هم الجيل الأول من مؤلفي الكتب المدرسية الحديثة، أما الجارم فهو رأس الجيل الثاني، ثم يأتي الجيل الثالث ممثلاً في محمد مهدي علام وأقرانه.

- **علي الجارم (1881-1949):**

علي بن صالح بن عبد الفتاح الجارم[243]، شاعر وكاتب ومربٍّ. ولد في بلدة رشيد بمصر في أسرة ذات علم وأدب، درس في الأزهر وأنهى دراسته العليا في مدرسة دار العلوم بالقاهرة، أوفدته وزارة المعارف المصرية في بعثة إلى إنجلترا لدراسة علوم التربية والمنطق، وهناك تفوَّق في دراسته كما أتقن اللغة الإنكليزية. ولما عاد إلى مصر عُيّن أستاذاً في مدرسة التجارة المتوسطة ثم نقل إلى كلية دار العلوم، وتنقَّل في وظائف التعليم حتى صار كبيراً لمفتشي اللغة العربية ثم وكيلاً لكلية دار العلوم، واخْتُير عضواً في المجمع اللغوي بالقاهرة كما انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق عضواً مراسلاً فيه، وكان يُختار في كثير من الأحيان لتمثيل مصر في المؤتمرات الثقافية في مختلف البلدان العربية، وله الفضل في

[243] انظر في ترجمته: أعلام الأدب والفن، ص: 2/472-473، الأعلام، ص: 4/294، مصادر الدراسة الأدبية، ص: 2/310-312، معجم المؤلفين، 2/450-451، حنا الفاخوري، ص: 667-668، نهلة الحمصي، "علي الجارم"، الموسوعة العربية، ص: 7/405.

الإشراف على إعداد جيل من أساتذة اللغة العربية، وكان في عمله خير مشجع للمعلمين وأفضل مرشد لهم إلى سبل التدريس الناجح.

امتدَّ نشاط علي الجارم إلى نواح كثيرة، فقد اشترك في لجنة مناهج اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية، وعمل على تيسير النحو للمتعلمين بسلسلة كتب بعنوان «النحو الواضح» و«البلاغة الواضحة» بالاشتراك مع مصطفى أمين، وانتشرت هذه الكتب في البلاد العربية انتشارها في مصر.

كما شارك في إعداد كتب أخرى تعليمية وأدبية وتربوية منها: «من أدب العرب» و«المجمل» و«المفصَّل» لطلاب الثانوية وكتاب «علم النفس وآثاره في التربية والتعليم».

توفَّر على الكتابة الأدبية بعد أن ترك الوظيفة عام 1942م فألَّف جملة من الكتب والقصص الأدبية، إضافة إلى بحوث نشرها في مجلة المجمع اللغوي، غير أنَّ الشِّعر كان أعظم همّه منذ بدء حياته حتى سنواته الأخيرة، وعُني بشعر المناسبات ومختلف فنون الشعر التقليدية، وله قليل من المقطوعات يُعبِّر فيها عن وحي وجدانه الخاص، وله ديوان شعر في أربعة أجزاء.

- **إبراهيم أنيس (1906-1977):**

رائد الدراسات اللغوية في العالم العربي إبراهيم أنيس أحمد ولد في القاهرة سنة 1906، ولما اشتد عوده بدأ رحلته للتلقي والدرس؛ فالتحق بإحدى المدارس الابتدائية، وبعد ذلك انتقل إلى المدرسة التجهيزية التي كانت ملحقة بدار العلوم، وعندما حصل منها على شهادة الدراسة الثانوية انتقل إلى دار العلوم العليا وتخرج فيها سنة 1930.

عمل إبراهيم أنيس بعد تخرجه مدرساً في المدارس الثانوية. ولمَّا أعلنت وزارة المعارف مسابقتها لاختيار بعثة دراسية إلى أوروبا تقدم لها، وفاز بها وسافر إلى إنجلترا للحصول على الدكتوراه، وفي جامعة لندن حصل على درجة البكالوريوس في الآداب سنة 1939، ثم دكتوراه الفلسفة في الدراسات اللغوية السامية سنة 1941، ولم تصرفه دراسته الجادة عن العمل الاجتماعي، فقد كان له دور بارز فيه، فانتخب رئيساً للنادي المصري بلندن، يدير أعماله وشؤونه.

وبعد عودته من البعثة عُين مدرساً بكلية دار العلوم، ثم انتقل إلى كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وظل بها عامين أنشأ خلالهما معمل الصوتيات لتحديث الدراسات اللغوية ودراسة الأصوات ومقاييس تصنيفها، ثم عاد إلى دار العلوم، وترقّى في وظائفها إلى أن أصبح أستاذاً ورئيساً لقسم اللغويات، ثم تولّى العمادة سنة 1955 للمرة الأولى، ثم عين عميداً لها مرة أخرى سنة 1958، وظل في منصبه عدة سنوات حتى قدَّم استقالته وانصرف إلى دراسته وبحوثه وعمله بالتدريس .[244]

ودارت بحوث إبراهيم أنيس حول الأصوات اللغوية، واللهجات العربية، ودلالات الألفاظ، وموسيقى الشعر، إلى جانب طائفة من قضايا النحو والصرف رآها مجالاً للنظر والتأمل، وفي كل ما يكتب كان يلجأ في مواقف الاحتجاج وإصدار الأحكام إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم والكلام المأثور من منظوم ومنثور وكلام العلماء. واشتغل بدراسة الأصوات اللغوية، ومقاييس تصنيفها ومنهج القدماء فيها، وكذلك موسيقا الكلام، وتكَوُّن الأصوات عند الأطفال والكبار. ودرس دلالة الألفاظ وأنواعها، وبيَّن كيف تكون الدلالة عند الأطفال وعند الكبار، وكيف تتطور مع الزمن، وتطرَّق إلى أثر الدلالة في الترجمة .[245]

وقد تضمنت مؤلفات إبراهيم أنيس هذه القضايا وغيرها، ومن أشهر مؤلفاته «الأصوات اللغوية»، و«من أسرار اللغة العربية»، و«موسيقا الشعر»، و«في اللهجات العربية»، و«دلالة الألفاظ»، الذي نال عنه جائزة الدولة التشجيعية سنة 1958.

- **تمّام حسّان (1918-2011):**

ولد تمّام حسّان عام 1918 بقرية الكرنك بمحافظة قنا في صعيد مصر، أتمَّ حفظ القرآن الكريم سنة 1929، ثم غادر قريته ليلتحق بمعهد القاهرة الأزهري عام 1930، ليحصل على الثانوية الأزهرية عام 1935.

---

[244] انظر في ترجمته: محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام، ط 2، دار ابن حزم، بيروت، 2002، ص: 11-12، أحمد العلاونة، ذيل الأعلام، ط 1، دار المنارة، السعودية، 1998، ص: 17، نزار أباظة – محمد رياض المالح، إتمام الأعلام، ط 1، دار صادر، بيروت، 1999، ص: 14.

[245] علي النجدي ناصف، "الدكتور إبراهيم أنيس"، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مج 40، 1977، ص: 203-204.

وبعدها التحق بكلية دار العلوم عام 1939 وحصل على دبلوم دار العلوم عام 1943 ثم إجازة التدريس عام 1945، ولم يكد يبدأ تمّام حسّان حياته العلمية معلماً للغة العربية بمدرسة النقراشي النموذجية عام 1945 حتى حصل على بعثة علمية إلى جامعة لندن لينال درجة الماجستير في لهجة الكرنك من صعيد مصر، ثم يحصل على الدكتوراه في لهجة عدن.

وعقب عودته من الرحلة العلمية عُين مدرساً بكلية دار العلوم كما انتدب مستشاراً ثقافيّاً للجمهورية العربية المتحدة في العاصمة النيجيرية لاجوس عام 1961. وحين عاد إلى مصر عام 1965، شغل منصبي رئيس القسم ووكيل الكلية قبل أن يتولى عمادتها عام 1972.

وأسس تمّام حسّان الجمعية اللغوية المصرية عام 1972، وكان أول رئيس لها، وأنشأ أول قسم للدراسات اللغوية بجامعة الخرطوم في السودان، كما أسّس بجامعة أم القرى قسم التخصص اللغوي والتربوي، وتولى أمانة اللجنة العلمية الدائمة للغة العربية بالمجلس الأعلى للجامعات المصرية، وانتخب عضواً بمجمع اللغة العربية عام 1980. وأشرف الدكتور تمام على العديد من الرسالات الجامعية في مصر والدول العربية.[246]

يعد تمّام حسّان أول عالم لغوي يدرس المعجم باعتباره نظاماً لغويّاً متكاملاً تربطه علاقات محدودة وليس مجموعة مفردات أو كلمات كما كان المستقر عليه عالميّاً، فهو الذي نبه إلى فكرة النظام اللغوي للمعجم، وأن هناك كلمات تفرض الكلمات التي تستعمل معها، وهو أول من أعاد تقسيم الكلام العربي على أساس المبنى والمعنى رافضاً التقسيم الثلاثي (اسم وفعل وحرف) إلى سبعة أقسام، وهي الاسم والصفة بحيث يختلف الاسم عن الصفة أنه لا يكون إلا مسنداً إليه مبتدأ بخلاف الصفة، ثم الفعل ثم الظروف ثم الضمائر ثم الأدوات ثم الفواصل؛ وذلك بحسب السلوك النحوي الخاص بكل لغة، وهذا مفاد كتابه «اللغة العربية معناها مبناها». كان أول من فرَّق بين الزمن النحوي والزمن الصرفي فقال بالزمن الصرفي الذي هو وظيفة الصيغة المفردة من دون الجملة (ماضٍ، مضارع، أمر) والزمن النحوي الذي يختلف عنه.[247]

---

[246] محمد حماسة عبد اللطيف، "الدكتور تمام حسان رائد علم اللغة الأول"، جسور، ع 1، 2012 ص: 262-264.

[247] سعد عبد الحسين آل فرج الله، "المعجم وعلاقته بالنحو عند د. تمام حسان"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 91، ج 3-4، 2018، ص: 463-467.

وتعمق حسّان في دراسة قواعد التوجيه المتصلة بالاستدلال، ويقصد بتلك القواعد الضوابط المنهجية التي وضعها النحاة ليلتزموا بها عند النظر في المادة اللغوية التي تستعمل لاستنباط الحكم حيث كان كتابه «اللغة العربية معناها ومبناها» مشروع قراءة أخرى للتراث اللغوي العربي من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، وبعبارة ثانية هو إعادة صياغة النحو العربي وترتيب الأفكار اللغوية بوجه عام في ضوء أحد مناهج البحث اللغوي الحديث وهو المنهج الوصفي .[248]

على مدى هذه السنوات الطويلة لم ينقطع تمّام حسّان عن العطاء العلمي من تأليف وترجمة؛ فألف أهم كتبه «مناهج البحث في اللغة»، و«اللغة العربية بين المعيارية والوصفية»، و«اللغة العربية معناها ومبناها»، و«الأصول والتمهيد لاكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها» و«مقالات في اللغة والأدب»، و«البيان في روائع القرآن»، و«الخلاصة النحوية»، إضافةً إلى عشرات المقالات والبحوث التي نشرت في الدوريات العربية. ومن الكتب التي قام بترجمتها «مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب» و«الفكر العربي ومكانته في التاريخ» و«اللغة في المجتمع» و«أثر العلم في المجتمع» و«النص والخطاب والإجراء».

- **عبد الرحمن الحاج صالح (1927-2017):**

ولد عبد الرحمن حاج صالح عام 1927 في ولاية وهران غربي الجزائر، ودرس في المدارس الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي للبلاد، وفي الوقت نفسه كان يتلقى دروساً بالعربية في إحدى المدارس الحرة التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. اختار حاج صالح دراسة الطب، وتوجّه عام 1954 إلى مصر ليكمل دراسة التخصص في جراحة الأعصاب، وكان وقتها يتردد على جامع الأزهر ويحضر بعض دروس اللغة العربية، مما جعله يغوص أكثر في لغة الضاد.

وبعد مغادرته مصر التحق بجامعة بوردو بفرنسا ثم المغرب؛ حيث قام بتدريس اللسانيات في كلية الآداب بجامعة الرباط، وحصل على دبلوم العلوم السياسية من كلية الحقوق، كما درس الرياضيات في كلية العلوم بالرباط في المغرب. وفي عام 1968 أصبح حاج

[248] محمد بودية، "مفهوم النظام اللغوي عند تمام حسان: قراءة فى كتابي مناهج البحث فى اللغة واللغة العربية معناها ومبناها"، حوليات المخبر، ع 1، 2013، ص: 181-182.

صالح أستاذاً زائراً بجامعة فلوريدا الأمريكية، وفي عام 1979 حصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية واللسانيات من جامعة السوربون بفرنسا.

تفرغ حاج صالح للدراسة والبحث في اللسانيات، حيث أنشأ عام 1980 ماجستير علوم اللسان، قبل أن يتم تعيينه عضواً مراسلاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ثم انتخب عضواً عاملاً به عام 2003. وعيّن قبل ذلك عضواً في كل من مجمع دمشق ومجمع بغداد ومجمع عمان للغة العربية، كما كان عضواً في عدة مجالس علمية دولية.

وفي عام 2000 عين حاج صالح رئيساً للمجمع الجزائري للغة العربية، إضافة إلى عمله أستاذاً وباحثاً في جامعة الجزائر، كما شغل أيضاً منصب رئيس اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية في الجزائر، وترأس مشروع الذخيرة اللغوية العربية الذي أسّسه.[249]

لقب حاج صالح بـ(أبو اللسانيات والرائد في لغة الضاد)، لأنه كرّس حياته في البحث والتنقيب في مجال اللغة العربية، ومن خلال عشقه لهذه اللغة اكتشف أهمية التراث العلمي اللغوي العربي من خلال ما اطلع عليه خاصة من كتاب سيبويه.[250]

ومن أبرز أعمال حاج صالح تأسيسه للدرس اللساني في الجامعة الجزائرية، ومشروع الذخيرة اللغوية العربية الذي أسّسه بفضل أبحاثه عن طريق البرمجة الحاسوبية، وكان أول عالم عربي يدعو إلى ذلك المشروع، وإلى إنشاء برنامج عربي للبحث (غوغل)، وكان حاج صالح يدعو دائماً إلى تعدد اللغات عند الفرد، معتبراً أن وحيد اللغة مسكين ومعاق .[251]

ترك حاج صالح عشرات الأبحاث والدراسات في اللغة واللسانيات ومعاجم علوم اللسان نُشرت في مختلف المجلات العلمية المتخصصة باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية. وألّف وشارك في تأليف عدّة كتب في علوم اللغة العربية واللسانيات العامة، منها «معجم علوم اللسان»، و«بحوث ودراسات في علوم اللسان»، و«السماع اللغوي عند

---

[249] معالي هاشم علي أبو المعالي، "الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة: الدكتورعبد الرحمن الحاج صالح انموذجاً"، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، 2014، ص: 6-7.

[250] الشريف بوشحدان، "الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح وموقفه من التراث اللغوي العربي القديم"، مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 25، ع 1، 2019، ص: 14-15.

[251] بختة تاحى، "عبدالرحمان الحاج صالح - جهوده اللغوية واللسانية من خلال مشروع الذخيرة العربية"، مجلة اللغة العربية، مج 21، ع 46، 2019، ص: 107-110.

العرب ومفهوم الفصاحة»، و«علم اللسان العربي وعلم اللسان العام» (بالفرنسية في مجلّدين)، و«النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية»، و«منطق العرب في علوم اللسان».

ثبت المصادر والمراجع

المصادر والمراجع باللغة العربية:

1- ابن خالويه وجهوده في اللغة، محمود جاسم محمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986

2- ابن يعيش النحوي، عبد الإله نبهان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997

3- الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة: الدكتورعبد الرحمن الحاج صالح انموذجاً، معالي هاشم علي أبو المعالي، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، 2014

4- إتمام الأعلام، نزار أباظة – محمد رياض المالح، ط 1، دار صادر، بيروت، 1999

5- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012

6- أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد السيرافي، تحقيق فريتس كرنكو، بيروت، 1936

7- "الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح وموقفه من التراث اللغوي العربي القديم"، الشريف بوشحدان، مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 25، ع 1، 2019

8- الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، 9 ج، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985

9- إصلاح المنطق، ابن السكيت، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر

10- الأصول في النحو، أبو بكر محمد ابن السراج، 3 ج، ط 3، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996

11- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، 5 ج، ط 1، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000

12- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، 8 ج، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002
13- أعلام الأدب والفن، أدهم آل جندي، مجلدان، دمشق
14- الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، دمشق، 2006
15- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، 3 ج، المكتبة العصرية، بيروت، 1953
16- إنباه الرواة على أنباه النحاة، ابن القفطي، 4 ج، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986
17- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، كمال الدين الأنباري، جزآن، دار الفكر
18- بحث المطالب وحثّ الطالب، جرمانوس فرحات، بيروت، 1854
19- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد الشوكاني، مجلدان، دار الكتاب الإسلامي
20- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، أحمد بن يحيى الضبي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967
21- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، مجلدان، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، 1979
22- بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي، عبد القادر الشاذلي، تحقيق عبد الإله نبهان، دمشق، 1998
23- البيان والتبيين، الجاحظ، 6 ج، ط 7، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998
24- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر
25- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، 3 ج، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000،
26- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، 4 ج، بيروت: دار الفكر، 2005،

27- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، 14 ج، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1931
28- تاريخ العرب قبل الإسلام، محمد سهيل طقوش، دار النفائس، بيروت، 2009
29- تتمة الأعلام، محمد خير رمضان يوسف، ط 2، دار ابن حزم، بيروت، 2002
30- تجديد النحو، شوقي ضيف، ط 6، دار المعارف، مصر، 2013
31- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، 1967
32- تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 8 ج، ط 1، تحقيق عادل أحمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993
33- تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً، شوقي ضيف، ط 2، دار المعارف، مصر
34- الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب الحديث، حنا الفاخوري، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1986
35- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي، مجلدان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، 1967،
36- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، 4 ج، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967
37- الخلاف بين النحويين، السيد رزق الطويل، ط 1، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1985
38- الخصائص، ابن جني، 3 ج، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1950،
39- العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة عبد الحليم النجار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014
40- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، 4 ج، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1993
41- دروس في المذاهب النحوية، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، 1980
42- "الدكتور إبراهيم أنيس"، علي النجدي ناصف، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مج 40، 1977

43- "الدكتور تمام حسان رائد علم اللغة الأول"، محمد حماسة عبد اللطيف، جسور، ع 1، 2012
44- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، برهان الدين ابن فرحون، دار الكتب العلمية، بيروت
45- ديوان جار الله الزمخشري، شرح فاطمة يوسف الخيمي، دار صادر، بيروت، 2008
46- ذيل الأعلام، أحمد العلاونة، ط 1، دار المنارة، السعودية، 1998
47- الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، ط 2، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1982
48- روّاد النهضة الحديثة، مارون عبود، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1952
49- الزجاجي حياته وآثاره ومذهبه النحوي من خلال كتابه (الإيضاح)، مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، 1984
50- السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1980
51- سيبويه حياتُه وكتابه، أحمد أحمد بدوي، مؤسسة هنداوي، 2019
52- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، 25 ج، تحقيق شعيب الأرناؤوط وبشار معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982
53- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، 8 ج، مكتبة القدسي، القاهرة، 1351
54- شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، بهاء الدين بن عقيل، جزآن، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت
55- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، طاشكبري زاده، تحقيق أحمد صبحي فرات، استانبول، 1985
56- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، 12 ج، دار الجيل، بيروت، 1992،
57- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، مصر، 1954

58- "عبدالرحمان الحاج صالح - جهوده اللغوية واللسانية من خلال مشروع الذخيرة العربية"، بختة تاحى، مجلة اللغة العربية، مج 21، ع 46، 2019
59- العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، علي بن بالي، تحقيق محمد طباطبايي، طهران، 2010،
60- عيون الأخبار، ابن قتيبة، 3 ج، تحقيق: منذر محمد سعيد أبو بشر، بيروت: المكتب الإسلامي، 2008،
61- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين ابن الجزري، مجلدان، تحقيق ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982
62- الفنون الأدبية وأعلامها، أنيس المقدسي، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1980
63- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي، تحقيق محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، مصر، 1324
64- فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، 5 ج، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيوت، 1973
65- الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط، ابن الحاجب، تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، 2010
66- كتاب العين، خليل بن أحمد الفراهيدي، 4 ج، ط 1، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002
67- كتاب الكتّاب، ابن درستويه، تحقيق لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1921
68- الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط، صالح بن إبراهيم الحسين، دار الفيصل الثقافية، الرياض، 2003
69- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة المعروف بكاتب چلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
70- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين الغزي، 3 ج، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979
71- اللغة العربية عبر القرون، محمود فهمي حجازي، دار الثقافة، القاهرة، 1978

72- ليس في كلام العرب، ابن خالويه، ط 2، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، 1979
73- المثلث، ابن السِّيْد البَطَلْيَوْسي، تحقيق صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد، العراق، 1981
74- مجالس ثعلب، أبو العباس ثعلب، مجلدان، ط 2، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1960
75- مجالس العلماء، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت، 1962
76- مجمع البحرين، ناصيف اليازيجي، دار صادر، بيروت
77- المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1968
78- مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، 1955
79- المذكّر والمؤنّث، أبو بكر بن الأنباري، جزآن، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1981
80- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، مجلدان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة
81- المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل، 4 ج، ط 1، تحقيق محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، 1982
82- مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، جرجي زيدان، جزآن، ط 3، مطبعة الهلال، مصر، 1922
83- مصادر الدراسة الأدبية، يوسف أسعد داغر، الطبعة الألفية، 4 ج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت
84- معاني القرآن، الأخفش الأوسط، 2 ج، ط 1، تحقيق هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990
85- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 5 ج، ط 1، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1988
86- معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس، 6 ج، ط 1، تحقيق محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، 1988

87- "المعجم وعلاقته بالنحو عند د. تمام حسان"، سعد عبد الحسين آل فرج الله، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 91، ج 3-4، 2018
88- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 20 ج، مطبوعات دار المأمون
89- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، 1984
90- معجم المؤلفين: تراجم مصنّفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، 4 ج، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993
91- المُغرب في حُلى المَغرب، ابن سعيد المغربي، مجلدان، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1978
92- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1991
93- مفتاح السعادة ومصباح السيادة، طاشكبري زاده أحمد بن مصطفى، 3 ج، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985
94- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، 10 ج، ط 2، بغداد، 1993
95- "مفهوم النظام اللغوي عند تمام حسان: قراءة فى كتابي مناهج البحث فى اللغة واللغة العربية معناها ومبناها"، محمد بودية، حوليات المخبر، ع 1، 2013
96- المقتضب، أبو العباس المبرد، 4 ج، ط 3، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1994
97- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، مجلدان، ط 1، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، 2004
98- المقدمة الجزولية في النحو، أبو موسى الجزولي، تحقيق شعبان عبد الوهاب محمد، مطبعة أم القرى
99- من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر
100- المنصف في شرح التصريف، ابن جني، 3 ج، ط 1، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية، 1954
101- الموجز في نشأة النحو، محمد الشاطر أحمد محمد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1983
102- الموسوعة العربية، 22 ج، ط 1، هيئة الموسوعة العربية، دمشق

103- الموسوعة العربية العالمية، 30 ج، ط 2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999
104- النحو الوافي، عباس حسن، ط 3، دار المعارف، مصر
105- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، كمال الدين الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، 1998
106- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، ط 2، القاهرة: دار المعارف
107- "نظرات في كتاب معاني القرآن للفراء"، إبراهيم عبد الله، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 78، الجزء 2،
108- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد المقّري، 10 ج، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1949
109- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، وزارة الثقافة، مصر، 1963
110- نهج السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه، عبد الحميد علي الفلاح السالم، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية كلية الدراسات العليا، 1988
111- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، مجلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت
112- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، 4 ج، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998
113- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، 29 ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000
114- الوسيط فى تاريخ النحو العربى، عبد الكريم محمد الأسعد، ط 1، دار الشوّاف، الرياض، 1992
115- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلّكان، 8 ج، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978

المصادر والمراجع باللغة التركية:

116- سجل عثماني، محمد ثريا، 4 ج، دار الطباعة العامرة، استانبول، 1311

117- عثمانلي مؤلفلري، برسه لي محمد طاهر، 3 ج، دار الطباعة العامرة، استانبول، 1333

118- قاموس الأعلام، شمس الدين سامي، 6 ج، استانبول، 1889

119- Arslan, Ahmet Turan; “Birgivi Mehmed Efendi”, İslam İktisadi Düşünce Tarihi, 2 c., İZÜ Yayınları, İstanbul, 2021.

120- Arslan, Ahmet Turan; Mehmed Zihni Efendi, İFAV Yayınları, İstanbul, 1999.

121- Demirayak, Kenan - Bakırcı, Selami; Arap Dili Grameri Tarihi, Atatürk Üniversitesi Fen-edebiyat Fakültesi Yayını, Erzurum, 2001.

122- Durmuş, İsmail; “Nahiv” Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi, İstanbul, 2006, C. 32, s. 300-306.

123- Hacımüftüoğlu, Nasrullah; “Belagat Ekolleri ve Anadolu Belagat Çalışmaları” Atatürk Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Dergisi, Sayı: 8, Erzurum, 1988.

124- Şeşen, Ramazan; “İlk Devir Osmanlı Âlimleri ve Yazdıkları Eserler”, Türklük Araştırmaları Dergisi, Sayı: 12, Eylül 2002, İstanbul.

125- Yavuz, Mehmet; Osmanlı’dan Cumhuriyete Arapça Grameri Yazarları, Asmaaltı Yayınevi, İstanbul, 2019.

126- Yazıcı, Hüseyin; “Arapça’da Mahalli Lehçelerin Yazı Dili Yerine Kullanılma Teşebbüsleri”, İlmî Araştırmalar Dergisi, sayı 2, İstanbul, 1996.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدّمة	1
أصل العرب	3
أقسام العرب	5
اللغة العربية	6
العربية بعد نزول القرآن	7
نشأة علم النحو	9
من بوادر اللحن التي كانت سبباً في وضع علم النحو	10
واضع علم النحو	12
تطوّر النحو بعد النشأة	13
1- طور الوضع والتكوين	13
مشاهير النحاة في طور الوضع والتكوين	14
الطبقة البصرية الأولى:	14
أبو الأسود الدؤلي 14، نصر بن عاصم الليثي 16، عَنْبَسَة الفِيل	16
عبد الرحمن بن هُرْمُز 17، يحيى بن يَعْمُر	17
الطبقة البصرية الثانية:	18
عبد الله بن أبي إسحاق 18، عيسى بن عمر الثقفي 18، أبو عمرو بن العلاء	19
2- طور النشوء والنمو	20
مشاهير النحاة في طور النشوء والنمو	21
الطبقة البصرية الثالثة: الأخفش الأكبر 21، الخليل بن أحمد الفراهيدي	22
نموذج من كتاب العين	23
يونس بن حبيب	25
الطبقة الكوفية الأولى: أبو جعفر الرؤاسي 26، معاذ الهراء	26
الطبقة البصرية الرابعة: سيبويه	27

كتاب سيبويه 29
اليزيدي 30، أبو زيد الأنصاري 31، الأصمعي 32
الطبقة الكوفية الثانية: الكسائي 33
الطبقة البصرية الخامسة: الأخفش الأوسط 36، قطرب 37
الطبقة الكوفية الثالثة: الفراء 38، الأحمر 40، اللحياني 40
3- طور النضج والكمال 41
الطبقة البصرية السادسة: الجَرْمِي 42، المازني 43، الرياشي 44
الطبقة الكوفية الرابعة: ابن سعدان 45، ابن السكيت 46
الطبقة البصرية السابعة: المبرِّد 47
الطبقة الكوفية الخامسة: ثعلب 48
وجوه الخلاف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة 50
جدول بأهم مصطلحات بصرية وما يقابلها من مصطلحات كوفية 52
4- طور الترجيح 53
المدرسة البغدادية 53
البغداديون الذين تحرّروا من قيود العصبية 54
ابن قتيبة 54، ابن كيسان 55، الأخفش الأصغر 55
البغداديون أصحاب البصريين 56
الزجّاج 56، ابن السرّاج 58، الزجّاجي 59، ابن درستويه 60
السيرافي 61، الفارسي 63، ابن جني 65، الزمخشري 68
البغداديون أصحاب الكوفيين: ابن الأنباري 70، ابن خالويه 71
المدرسة الأندلسية 73
أشهر نحاة الأندلس: الزبيدي 75، البطليوسي 76، ابن مضاء القرطبي 78
الجزولي 79، ابن مالك 80، ابن آجرّوم 84، أبو حيان الأندلسي 85
المدرسة النحوية في مصر والشام 88
أبو جعفر النحّاس 89، ابن برّي 91، ابن يعيش 93، ابن الحاجب 94

ابن هشام الأنصاري 96، ابن عقيل 99، السيوطي 100
اللغة العربية في العهد العثماني 103
الملا الفناري 105، بدر الدين العيني 106، علاء الدين مصنّفك 108
محي الدين الكافيجي 109، ابن كمال باشا 111، طاشكبري زاده 113
الإمام البركوي 115، محمد زهني أفندي 117
الدراسات اللغوية في العصر الحديث 119
جرمانوس فرحات 121، ناصيف اليازجي 123، أحمد فارس الشدياق 125
حفني ناصف 127، علي الجارم 128، إبراهيم أنيس 129
تمّام حسّان 130، عبد الرحمن الحاج صالح 132
ثبت المصادر والمراجع 135
فهرس الموضوعات 144

Demavend Yayınları

Elektronik Yayınlar Serisi: 26

İstanbul, Ekim 2022

Yayın yönetmeni: Neval Güzelyüz

Editör: Prof. Dr. Ali Güzelyüz

Kapak tasarımı ve iç düzen: Demavend

Dili: Arapça

© Bütün hakları saklıdır. 5846 Sayılı Fikir ve Sanat Eserleri Yasası'nın hükümlerine göre bu kitabın tamamı ya da bir bölümünün, Demavend Yayınları'nın yazılı izni olmadan elektronik, mekanik, fotokopi veya herhangi bir kayıt sistemi ile yayınlanması, çoğaltılması ya da depolanması yasaktır.

T.C. Kültür ve Turizm Bakanlığı Yayıncı Sertifika No: 27406

ISBN: 978-625-7087-29-2

Kütüphane Bilgi Kartı (Cataloging-in-Publication Data)

1. Arap dili ve edebiyatı 2. Arap dili tarihi 3. el-Muktadab 4. Nahiv

Demavend Yayınları

Başak Mah. Mimar Sinan Cad. Vadipark, D14 Blok, D. 47
Başakşehir-İSTANBUL

: 0090 212 500 36 07 – 0090 542 311 17 89

E-mail: demavend@demavend.com.tr
Web: http://www.demavend.com.tr

EL-MUKTADAB FÎ TARÎH LİSÂNİ'L-ARAB

Doç. Dr. Ömer İshakoğlu

DEMAVEND